المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

عمر الخيام

عالم الفلك والرياضيات وكتابه نوروز نامه

ترجمة: رمضان رمضان متولى

مراجعة وتقديم: السباعى محمد السباعى

1202

عمر الخيام عالم الفلك والرياضيات

وكتابه نوروز نامه

المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ١٢٠٢
- عمر الخيام عالم الفلك والرياضيات وكتابه نوروزنامه
- عمر بن إبراهيم خيام نيشابورى
- رمضان رمضان متولى
- السباعى محمد السباعى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٨

هذه ترجمة كتاب :

نوروزنامه

(از آثار قرن پنجم هجرى)

تأليف

عمر بن إبراهيم خيام نيشابورى

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

عمر الخيام

عالم الفلك والرياضيات

وكتابه نوروز نامه

ترجمة : رمضان رمضان متولى

مراجعة وتقديم : السباعى محمد السباعى
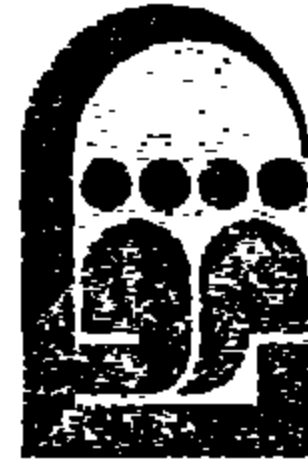
٢٠٠٨

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عمر الخيام عالم الفلك والرياضيات وكتابه نوروزنامه ،
ترجمة : رمضان رمضان متولى ، مراجعة وتقديم : السباعى محمد
السباعى ، المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٨ ، ٢٥٦ ص ، ٢٤ سم .
١ - عمر الخيام ، عمر بن إبراهيم الخيامى النيسابورى ، ٠٠ - ١١٢١
٢ - العلماء الفرس .
(أ) متولى ، رمضان رمضان (مترجم)
(ب) السباعى ، السباعى محمد (مراجع)
(ج) العنوان ٩٥٢/٥١

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٣٢٩٠
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 437 - 735 - 4
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

المقدمة

الباب الرابع :

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

المراجع

إهداء

الى

زهرتي حياتي الدنيا

الباسمتين الجميلتين

الى

ابنتيّ

عبير وأمينة

مقدمة

عُرِفَ الخيام حق المعرفة، وذاعت شهرته بشاعريته الفذة فى رباعياته المشهورة، والتى طبقت شهرتها الآفاق بعد ترجمتها عن الفارسية إلى مختلف لغات العالم، ومن ثم فإن الجانب الأكبر من الدراسات التى أُخرجت عن الخيام تتعلق بهذا الجانب من شخصيته .. وهو جانب الشاعر، لكن هناك جانبًا آخر هامًا، يعد الجانب الرئيسى المكون لشخصية الخيام، وأعنى به جانب عالم الفلك والرياضيات .

ولما كانت الرياضة والفلك من العلوم الخاصة التى لا يقبل عليها إلا الخواص من العلماء، فقد ذاعت شهرته كشاعر، وطغت على شهرته كعالم ، لما هو معروف من أن ذيوع الشعر وشيوعه أسهل من ذيوع العلوم ومختلف الفنون الأخرى .

وقد عُرِف الخيام لدى علماء أوربا واحداً من أهم فلاسفة الشرق وشعرائهم فى القرن الخامس الهجرى[1] ، وزادت هذه النظرة عمقًا بعد أن نقل الشاعر الإنجليزى "إدوارد فيتز جرالد" رباعياته إلى الإنجليزية (١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩ م)، ومع هذا فإن عدداً غير قليل من العلماء فى أوربا لم يبهره هذا الجانب فى شخصية الخيام – وهو جانب الشاعر – وعمل على التنويه بالجانب العلمى فى شخصيته .

وقد بدأ أول اهتمام فى أوربا بالخيام وأعماله الفلكية والرياضية حين قام العالم الهولندى " جيرورد ميرمن " بجهود دائبة، استطاع فى نهايتها الحصول على نسخة من رسالة " الخيام الجبر والمقابلة "، ونشرها ضمن سلسلة كانت تصدر فى "ليدن" (١١٥٥ هـ ١٧٤٢ م) ، وجذب بذلك اهتمام العلماء إلى أهمية هذه الرسالة وأثرها فى تطور علوم الرياضيات فى العالم .

وبعد ذلك بعدة سنوات ، وبعد جهود مضنية – استطاع المستشرق "سيديو" الحصول على نسخة أخرى ناقصة لرسالة الخيام " الجبر والمقابلة " فى المكتبة الملكية بباريس ، وكتب حول ذلك مقالة في " مجلة آسيا الجديدة "[٢] . واستمر بحث العلماء ودأبهم حول هذه الرسالة إلى أن استطاع العالم " ليبرى " العثور فى نفس المكتبة السابقة على نسخة كاملة للرسالة ، ومن صور هاتين النسختين ونسخة ليدن التى نشرها "ميرمن" قام المستشرق "ويكه" (١٢٥٦ هـ / ١٨٥١ م) بنشر رسالة الخيام كاملة مع ترجمتها إلى الفرنسية، وتصديرها بترجمة لحياة الخيام .

وكانت هذه الترجمة ونشرها، إيذانا بتحول النظرة الأوربية إلى الوجه الصحيح من شخصية الخيام، وكما يقول " داود قصير " أصبح الخيام بعد نشر هذه الترجمة معروفًا معرفة كاملة لدى طلبة العلوم الرياضية وأساتذتها فى أوربا وأمريكا، وقد تتابع اهتمام علماء أوربا بعد ذلك بأعمال الخيام :

ففى بسنة(١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م) أصدر " كارل بروكلمن " الطبعة الأولى للجزء الأول من كتابه " تاريخ الأدب العربى "، وفيه لفت الأنظار إلى مخطوط آخر لرسالة "الجبر والمقابلة" فى جامعة " ليدن " ، ثم عاد فى الطبعة الثانية لهذا الكتاب (١٣٦٢ هـ /١٩٤٣ م) وأشار إلى مخطوط آخر للرسالة فى " المكتبة الملكية بباريس"، وواصل جهوده بعد ذلك فى التنويه بأهمية المعادلات الرياضية التى توصل إليها الخيام فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ، وفى بسنة(١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥م) قام "دافيد سمث"[٣] بإعداد دراسة تحليلية لجبر الخيام ونظرياته فى الهندسة وذلك فى كتابه " تاريخ الرياضيات[٤] ".. وفى بسنة (١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م) قام عالم الرياضيات "كاجورى" "Cajori" بدراسة نظريات الخيام الهندسية ومعادلاته الجبرية وذلك فى كتابه " تاريخ الرياضة "[٥].

ولم ينصرم العام حتى قام العالم الرياضى "بول Ball" بدراسة عن الأثر الذى أحدثته معادلات الخيام والحلول التى توصل إليها فى تطور علوم الرياضيات، وذلك فى كتابه "تاريخ مختصر للرياضيات[٦]" الذى صدر فى لندن (١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧م)، وفى

سنة (١٣٥٠ هـ / ١٩٣١) قام "داود قصير" بإعداد بحث عن جبر الخيام، ونشر هذا البحث في نيويورك في نفس العام[٧] .. مع ترجمة رسالته " الجبر والمقابلة " إلى الإنجليزية .

وكان" جورج سارتون" (١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م) أول من لفت الأنظار إلى الجانب الفلكي في شخصية الخيام حين قام بعمل دراسة للتقويم السلطاني، الذي أعده الخيام للكشاه السلجوقي ، وعقد مقارنة بين نتائج هذا التقويم والتقويم الجريجوري السائد في أوربا ، وأثبت الدقة المتناهية لتقويم الخيام وتفوقه على التقويم الجريجوري، وسماه "تقويم عمر"، واعتبر عصر الخيام قمة تقدم المسلمين العالمي في الرياضيات ، واحتلت دراساته عن الخيام صفحات طويلة من كتابه " مقدمة لتاريخ العلم"[٨].

وتوالى الاهتمام بأعمال الخيام في الفلك بعد ذلك ، فقام العالم الإيطالي "الدوميلي" بدراسة النتائج التي توصل إليها الخيام في التقويم السلطاني ، وذلك في كتابه "العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي "وأصدره في " ليدن" (١٣٥٧ هـ ١٩٣٨م) [٩]...

هذا هو جزء من الاهتمام الذي لقيته أعمال الخيام في الرياضة والفلك لدى علماء الغرب .. أما عند العرب فعلى الرغم من شهرة الخيام كشاعر ذائع الصيت، فإن نفراً غير قليل من علمائنا قد اهتموا بعلمه في الرياضيات والفلك .. ومن هؤلاء "أحمد حامد الصراف"، الذي أعد دراسة عن الخيام عرض فيها آراء العلماء في كتب الخيام وأعماله ، كما قدم ترجمة لحياته، ونقل رباعياته إلى العربية ،[١٠] وذلك سنة (١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م)، وبعد ذلك بعدة سنوات (١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م) قام " قدري طوقان " في كتابه " تراث العرب العلمي " بدراسة تفصيلية لجبر الخيام ونظرياته في الهندسة ، وفي سنة ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م قام " عبد الحميد صبره[١١] " بنشر رسالة الخيام " شرح ما أشكل من مصادرات إقليدس " بعد تحقيقها وتقديمها بدراسة لنظريات الخيام في الهندسة .

ويرجع اختيارى لهذا الجانب من شخصية الخيام – موضوعًا لهذه الدراسه – لرأيى أنها المكون الرئيسى لشخصيته ، وإن جانب الشعر والأدب عنصر مكمل لها . وذلك لأن الخيام لم يكن من هؤلاء العلماء الجامدين، الذى يغلقون شخصياتهم داخل دائرة البحث العلمى، ويعرضون نظرياتهم فى قوالب جامدة .

كما أنى لا أرى اختلافًا كبيراً بين هذين الجانبين من شخصيته ، وأعنى بهما جانب الشاعر وجانب العالم ، فهو فى لحظات شاعريته لم يكن ينسى أنه عالم فلكى ومصداق ذلك قوله فى إحدى رباعياته :

أنت يا من هو نتيجة أربعة عناصر وسبع

سمــوات لقد جعلت نفسك فى شغل فيها[١٢]

احتس الخمر ، فقد قلت لك ألف مرة

ألا أمل لك فى عودة ، فالمسافر راحل إلى غير رجعة .[١٣]

وفى رباعية أخرى يقول :

منذ ظهرت الزهرة والقمر فى السماء

ما رأى أحد أحسن من الخمر الصافية

ياعجبى من باعة الخمر ، أى شىء سيشترون

أحسن مما يبيعون[١٤] .

كما اخترت له للتدليل على ذلك رسالته المنثورة المعروفة "برسالة نوروزنامه" ، وتبين لى بعد دراستها، ونقلها إلى العربية أن لب الرسالة قائم على أساس فلكى ، إلا أنه يبسط موضوعاتها فى قالب أدبى يعكس طابع شخصيته، وكان اختيار الخيام لعيد النوروز موضوعًا لهذه الرسالة، قائمًا على أساس ارتباط هذا العيد بإنشاء أول تقويم فارسى، واتخاذ هذا العيد بداية له، ويربط الخيام بين هذا الموضوع وبين تقاليد الاحتفال بهذا العيد ، ويتتبع تلك التقاليد منذ العصر الأسطورى فى إيران حتى القرن

الخامس الهجرى ، ويحرص فى أثناء هذا العرض على إعطاء تأصيل تاريخى لكل السنن والتقاليد المرعية فى هذا الاحتفال .

تاريخ ظهور رسالة نوروزنامه :

كان المستشرق "فريدرك روزن " أول من أشار إلى هذه الرسالة وقيمتها الأدبية والعلمية الكبيرة، وذلك فى مقدمته التى صدَّر بها ترجمته للرباعيات (١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م)[١٥] ، وبعد ذلك بعام واحد استطاع محمد بن عبد الوهاب القزوينى الحصول على نسخة لها تحوى ستًا وخمسين صحيفة من القطع المتوسط بخط نسخ وبإملاء قديم .. وقام القزوينى بتصوير هذه النسخة فى شهر رجب (١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م) الموافق لآبان " ١٣١٠ هـ . ش " ، وبعد ذلك قام مجتبى مينوى (١٣١٢ هـ ش / ١٩٣٣م) بإعداد الرسالة للطبع والنشر معتمداً على نسخة القزوينى المصورة .

وكتاب النوروز فى حديثه عن هذا العيد يوضح جوانب مهمة ، منها اتصال هذا العيد بالدراسات الإيرانية القديمة المتعلقة بالعادات، والتقاليد، والأساطير، التى ترتبط بعيد من أهم أعياد الفرس وأقدسها قبل الإسلام وبعده .

وقد أردت بهذه الدراسة توضيح الصلات الوثيقة فى العادات والتقاليد التى ربطت بين العرب، والفرس، والمصريين نتيجة لاشتراكهم فى إحياء تقاليد هذا العيد.

وأما عن الدافع الذى دفعنى إلى نقل هذه الرسالة إلى العربية ، فذلك راجع إلى كونها الرسالة المنثورة الوحيدة فى الأدب الفارسى التى اقتصر حديثها على موضوع النوروز ، وهى تعرض صورة مفصلة دقيقة لتقاليد الاحتفال بهذا العيد منذ عصر كيومرث الأسطورى، حتى القرن الخامس الهجرى ، والخيام فيها يبسط الكلام تفصيلاً كما يعطى تأصيلاً لكل التقاليد الفارسية المرتبطة بالنوروز، مما يجعل منها مصدراً عظيم القيمة، ومرجعًا نادراً يحوى مادة غزيرة لا وجود لها فى أى مرجع آخر ، كما

تمتاز بالأصالة إلى حد بعيد، مما يبوئها منزلة عظيمة ، ويجعل النظر فيها ضرورة علمية لا مندوحة عنها، لأنها تسد في المعرفة بهذا الجانب المهم من الدراسات الإيرانية فراغًا كبيرًا ما في ذلك شك .

هذا ويجدر بنا أن نضمن هذه المقدمة دراسة موجزة عن العصر السياسي والعلمي، الذي أبدع فيه الخيام كتابه نوروزنامه وسائر مؤلفاته العلمية القيمة، كما نقدم للقارئ العربي ترجمة موجزة لحياة الخيام ومؤلفاته في علمي الفلك والرياضيات، كما رأيت أن ألحق بالمتن المترجم دراسة تحليلية للمتن الفارسي، شملت جوانب لآراء العلماء والنقاد في نسبة الكتاب إلى الخيام من عدمه، إضافة إلى دراسة تاريخية عن تأثير هذا العيد الفارسي في الأدبين العربي والفارسي، وكذلك دراسة عن عادات وأساليب المصريين وتقاليدهم المتوارثة في الاحتفال بهذا العيد.

هذا ... والله من وراء القصد،،،،

الهوامش

(١) Daoud kasir : The Algebra of khayyam . P .I , New york 1931

(٢) Le Nouveau Journal Asratique . May 1934 .

(٣) أستاذ الرياضيات بجامعة كولمبيا .

(٤) Smith : History of Mathematics, Colombia 1925

(٥) Cajori : A history of Mathematics . New york 1926

(٦) Ball : A short history of Mathematica , London 1927

(٧) Daoud S. Kasir : The Algebra of Omar Khayyam, Newyork 1931

(٨) Sarton : Introduction to the history of Sciene Washington Vol I. 1921

(٩) الدوبيلى : العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى . ت : عبد الحليم النجار ، محمد يوسف موسى . القاهرة ١٩٦٢ .

(١٠) حامد الصراف : عمر الخيام الحكيم الفلكى النيسا بورى . بغداد ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م .

(١١) أستاذ بجامعة الإسكندرية .

(١٢) أى آنكـه نتيجـه جـهار وهفـت   درهفـت وجهـار دائـم ركعتـى

(١٣) مى خوركه خزار بار بيش كفتـم   باز آمـدند نيسـت جورنى رفتـى

(١٤) تا زهره ومه در آسمان كشت بديد   بهتـر زمـى ناب كـس هيـج نديـد

من درعجبم زمى فروشان كايشان   به ازآنجه فروشند جه خواهند خريد

(١٥) Rosen : The quatrains of Omar Khayyam, Lond on 1930.

الباب الأول

الفصل الأول

"تمهيد عن العصر السياسى والعلمى للخيام"

العصر السياسى

"دولة السلاجقة"

كان السلاجقة فرعًا من الأتراك الفرزنويين، الذين أخذوا يغيرون فى (٤٢٢ هـ/ ١٠٣٠ م) على حدود إيران الشمالية الشرقية ، ويذكر ابن الأثير أن جدهم الأعلى كان يسمى " تقاق[١] ، وهو والد " سلجوق "، الذى نزل مع جماعته فى منطقة ما وراء النهر بالقرب من السواحل الشرقية لبحر قزوين، وكانت مساكنهم تجاور ممتلكات السامانيين والخانيين والغزنويين ، وأدى جوارهم لهذه الدول إلى اعتناقهم الإسلام وتحمسهم للمذهب السنى، الذى كان يرعاه الخليفة العباسى فى بغداد ، و نتيجة لغدر السلطان محمود الغزنوى بهم وقتله لإسرائيل - الذى كان قد تبوأ مركز الزعامة بين إخوته بعد وفاة والده سلجوق - أن تحرك السلاجقة جنوبًا ، واستقروا فى الإقليم الواقع بين "نسا" وباورد "[٢] ، واستطاع زعيمهم طغرل بيك بن ميكائيل بن سلجوق أن يقودهم فى عدة معارك، عقد لهم فيها لواء النصر، فعظمت شوكتهم وانتشروا فى خراسان ، وأقبل طغرك بيك - بعد هزيمته للسلطان مسعود الغزنوى عند "دند انقان" (٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م) - إلى نيسابور، وأعلن نفسه ملكًا على السلاجقة .

ويرجع الفضل فى تدعيم أركان هذه الدولة إلى الجهود التى بذلها ألب أرسلان خليفة طغرل بيك على عرش السلاجقة ، فقد استطاع بعد توليه الحكم (٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م) أن يخمد الثورات التى قامت ضد دولتهم فى مناطق فارس وكرمان، وأن يحد من شوكة الفاطميين[٣] ، كما استطاع أن يوسع رقعة الإمبراطورية ، وأن ينشر الإسلام فى كثير من البقاع التابعة للإمبراطورية الرومية ، وسيطر على بيت

المقدس، وأحرز للإسلام نصراً كبيراً بهزيمته لإمبراطور الروم عند ملازكرد(٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م).

وقد أحدثت هذه الموقعة آثاراً سياسية وحضارية كبيرة ، فقد كانت الحضارة اليونانية والآداب المسيحية هى المسيطرة على هذه البلاد ، كما كانت تمتد منها إلى حدود أذربيجان ، فلما أفل نجم الروم من أفق هذه المنطقة، وأخذ نفوذهم فى الانكماش، وبدأت أجزاء من بلاد الروم تفلت من أيديهم جزءاً فى إثر جزء ، وتنضم إلى العالم الإسلامى، تبع ذلك حلول الحضارة الإسلامية محلها ، فجاءت الحضارة الإسلامية بعقائدها، ونظمها، وآدابها، وجميع مظاهرها ، وأخذ الإسلام وحضارته ينتشران فى تلك البلاد ، كما بدأت اللغة الفارسية فى الانتشار هناك .

السلطان ملكشاه :

خلف أباه على عرش السلاجقة (٤٦٥ هـ / ١٧٠٢ م .)، وما لبث بعد توليه العرش أن دخل فى سلسلة من المعارك المتصلة مع أفراد أسرته الخارجين عليه ، واستطاع فى النهاية التغلب على خصومه ومنافسيه ، وكان لوزيره "نظام الملك" فضل كبير فى الخروج من كل هذه المعارك بنصر باهر ، وقد استطاع ملكشاه أن يوسع رقعة إمبراطوريته، وأن يمد سيطرته ونفوذه على بخارى، وسمرقند، وبلاد كثيرة فى منطقة ما وراء النهر ، وتلقى وهو فى مدينة كاشغر الجزية التى بعث إليه بها من القسطنطينية الإمبراطور البيزنطى ، ووضع فى النواحى التى فتحها خمسين منبراً إسلامياً[٤] ، وكان ملكشاه قريب المنال لكل مظلوم ، يشرف على توزيع الصدقات بنفسه على رعاياه .

والطابع المميز لهذا العصر من الناحية السياسية هو ازدياد نفوذ الحشاشين حتى استطاعوا بقيادة زعيمهم " الحسن بن الصباح " الاستيلاء على حصن[٥] "الموت" (٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م)، وتبع سقوط " الموت " سقوط كثير من الأماكن الحصينة فى

قبضة أتباعه مثل "شاه در" و"خالنجان" بالقرب من أصفهان، و"طبس"، و"تون" و"قائن"، و"زوزن"، وغيرها ، وكان استيلاء الحسن الصباح وأتباعه على هذه القلاع بداية ما نالوه من سلطة سياسية، استطاعوا بها توجيه ضربات قوية إلى الدولة السلجوقية ، مما دفع نظام الملك إلى تنبيه سلطانه إلى خطرهم على الدولة فى كتابه "سياست نامه"، وتعقبه شخصيًا لهم ، للقبض عليهم والتخلص من أتباعهم ، لكنهم تمكنوا فى النهاية من التخلص من نظام الملك نفسه وقتله (٤٨٥ هـ / م)، كما استطاعوا التخلص من كثيرين ممن تصدوا لهم فيما بعد .

هذا عن العصر السياسى ، أما عن العصر العلمى ، فقد امتاز هذا العصر بازدهار ألوان شتى من العلم والمعرفة... وكان مرجع ذلك إلى شخصية الوزير الفاضل "نظام الملك"، "فقد كان عالمًا دينًا جوادًا عادلاً حكيمًا".[٦] ومن أجلِّ الأعمال التى قام بها فى هذا المجال تأسيسه للمدارس النظامية، ومدها بالأموال والعلماء، والدارس لما كانت عليه هذه المدارس يدرك إلى أى حد ازدهر العلم بشتى فروعه فى هذا العصر . فقد كان يقوم بالتدريس فيها صفوة علماء هذا العصر وعلى رأسهم المفكر والعالم الإمام الغزالى[٧] ، وقد أخرج الإمام الغزالى للناس كتابه القيم " إحياء علوم الدين " مهيئًا به لصرح العقيدة الإسلامية أساسًا قائمًا على الأسلوب الجدلى، كما قدم رسائل أخرى منها :" رسالة فى الرد على الباطنيه أو الإسماعيليه " وكتابيه " المنقذ من الضلال" و"تهافت الفلاسفه" وغيرها من المؤلفات التى كانت ذات أثر كبير فى الصراع الفكرى بين الإسماعيلية وأهل السنة .

وإلى جانب الغزالى نجد طائفة أخرى من علماء التصوف، والحديث، وعلماء اللغة، والنحو ممن لهم الفضل فى إثراء المذاهب الإسلامية بأبحاث ودراسات أسهمت فى تطور هذه العلوم وانتشارها بين جماهير المسلمين .

وإلى جانب قيادة نظام الملك للحركة العلمية فى هذا العصر، نجده يسهم بنفسه فى هذه النهضة، فكتب للناس رسالته " سياست نامه "، والتى تعد من أهم الكتب التى كتبت نثرًا فى الفارسية ، وذلك لأنه – من ناحية – يشتمل على قدر كبير من الأخبار

والروايات التاريخية عن هذه الفترة ، ولأنه من ناحية أخرى يشتمل كذلك على الآراء السياسية ، التى كان يراها واحد من أعظم وأنبغ الوزراء الذين ظهروا فى المشرق، والذين بلغوا قدراً من القوة والحكمة، لا نستطيع تقدير مداه إلا بالنظر إلى الفوضى المتصلة، التى أعقبت مقتله فى إيران ، وفى مناطق كثيرة من العالم الإسلامى ، ومن العسير علىَّ فى هذه المقدمة استعراض محتويات هذا الكتاب الواسع الكبير(٨) .

وإلى جانب العناية بالدراسات السابقة ، نجد اهتماماً كبيراً من السلاجقة بالعلوم الطبيعية والرياضية ، وقد حظى علما التنجيم والفلك بعناية خاصة منهم ، وكان مرجع ذلك إلى بداوة السلاجقة وأمية بعض سلاطينهم ، وكان لذلك أثره فى احتضانهم لعلماء الفلك والرياضيات ، حتى أن ملكشاه لم يكن يخرج لحرب أو لصيد دون استطلاع رأى عمر الخيام عن طالع يومه ، ومن هنا كان اهتمامه ورعايته للخيام ومصاحبته له فى غدوه، ورواحه، وفى صيده، ولهوه، وحربه ، وقد دفعه اهتمامه بهذه العلوم إلى إقامة " الزيج الملكشا هى " لإصلاح التقويم الإيرانى، وتعيين يوم ثابت لبداية السنة الإيرانية ، واستغرق هذا العمل أربع سنوات إلى أن تم فى " ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م،(٩) وقد عمل فى إعداد هذا الزيج مع عمر الخيام مجموعة من أبرز علماء الرياضيات والهندسة فى هذا العصر ، أذكر منهم :

أبا حاتم المظفر بن إسماعيل الإسفزارى : وكان من طبيعيى المسلمين ، ويقول عنه "سارتون" إنه كان من أهم علماء المسلمين الدارسين لهندسة إقليدس ، فقد قام بعمل اختصار لكتاب(١٠) "الأصول" لإقليدس ، وأخرجه فى كتاب سماه :" اختصار الأصول لإقليدس " ، كما قام بعمل ميزان مضاه لميزان أرشميدس ، ويعرف به الغش والعيار، وللإسفزارى مؤلفات أخرى نذكر منها :

١- إرشاد ذوى العرفان إلى صناعة القبان .

٢- مقدمة فى المساحة .

٣- اختصار كتاب " الحيل " لبنى موسى بن شاكر .

هذا .. وقد نشأ الإسفزارى فى مدينة " إسفزار " من نواحى سجستان من جهة "هراة ". وتوفى (٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م)[١١].

وأذكر منهم أيضاً :

ميمون بن نجيب الواسطى : " وكان واسطى الأصل خوزى المولد ، وقد عمل مع الخيام فى تجاربه العلمية المتعلقة بالفلك والتنجيم " . ويقول عنه البيهقى : إنه كان طبيباً فاضلاً حكيماً ، وسمعت أنه كان يحفظ المنطق، والطبيعيات، والإلهيات من كتاب الشفاء[١٢] .

كما عمل مع الخيام في هذا الزيج :

الفيلسوف محمد بن أحمد المعمورى البيهقى، ويقول عنه" البيهقى" فى كتابه "تاريخ حكماء الإسلام ": إنه " كان تلو بنى موسى فى الرياضيات ، وكان بيهقى الأصل والمولد ، وصنف كتاباً فى دقائق المخروطات ما سبقه به أحد . والإمام عمر الخيام يعترف بتبريزه ومكانته فى تلك العلوم[١٣] .

ومن علماء الرياضيات فى هذا العصر أيضاً : الشيخ عبد الملك بن منصور بن يوسف ، ويقول عنه البندارى :" إنه كان من أماثل بغداد ومن خيراته أنه تسلم البيمارستان العضدى ، فعمَّره، وطبَّقه، وأحسن فى أحواله ترتيباً، وأقام فيه ثلاثة خزانات وعشرين طبيباً[١٤].

الهوامش

(١) ابن الإثير : الكامل : ج ١٠ حوادث ٤٥٣ هـ . القاهرة ١٣٤٨ هـ .

(٢) الرواندي : راحة الصدور : ص ١٥٦ – ت : الشواربي وعبد النعيم حسنين والصياد . القاهرة ١٩٦٠ م.

(٣) الفتح البنداري : تاريخ آل سلجوق : ص ٤٣ . القاهرة ١٣١٨ هـ .

(٤) الراوندي : راحة الصدور : ص ٢٠٢ . ت : الشواربي وعبد المنعم حسنين والصياد .

(٥) حمد الله المستوفي القزويني : تاريخ كزيده : ج ١ : ص ٤٨٨ . لندن ١٩١٠م .

(٦) ابن الأثير : الكامل : ج ١٠ حوادث ٤٨٥ هـ .

(٧) بروكلمن : تاريخ الشعوب الإسلامية . ص : ١٢٨ . ت : أمين فارس . بيروت سنة ١٩٤٩ م .

(٨) براون : تاريخ الأدب في إيران : ج ٢ : ص ٣٧٣ ت : الشواربي . القاهرة ١٩٥٤ م .

(٩) ابن الأثير : الكامل : ج ١٠ ، حوادث سنة ٤٦٧ هـ .

(١٠) Sarton : Introduction to the history of scince : Washington Vol :1:P:204

(١١) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام : ص ١٢٥ .

(١٢) المرجع السابق ص ١٥٠ .

(١٣) المرجع السابق ص ١٧١ .

(١٤) الفتح البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق : ص : ٢٩ .

الفصل الثانى

"دراسة عن الحياة العلمية فى عصر الخيام"

السمة الغالبة على الفترة الثانية من حكم السلاجقة[1] أنه لم يعد ما كان لهم من القوة والسلطان والنفوذ أثناء حكم ألب أرسلان وملكشاه ، لأننا لو تجاوزنا – فرضاً – الأثر البالغ، الذى أحدثته الحروب المتواصلة، التى وقعت فى بداية هذه الفترة بين أبناء ملكشاه ، وكذلك عن المصائب الكثيرة التى نتجت عن الغارات المتتالية، التى قام بها بعض أمراء المقاطعات الثائرة ، فإننا نجد أن إيران فى ذلك الوقت كان يقوم بها إلى جانب " السلاجقة العظام " بيوت ملكية أخرى، تنازعهم السيطرة والسلطان ، وكان أهم هذه البيوت وأكثرها خطراً بيت " الغوريين " فى الشمال الشرقى من إيران ، ثم دولة ملوك خوارزم ، وهى الدولة التى أصبحت أكبر خصم للسلاجقة عند تولى "اتسز " (٥٢١ هـ / ١١٢٧ م)، وربما كان فريق الإسماعيلية أو " ملاحدة الموت " أشد خطراً من هؤلاء جميعاً، لانتشارهم فى مختلف الولايات، وسيطرتهم على سائر الأنحاء ، فقد استطاعوا رغم المقاومة الشديدة العاتية التى تصدوا لها من آن لآخر أن يقوموا بكثير من الأعمال، التى كانت مصدر فزع كبير ورعب فى إيران، ما لبث أن امتد حتى الشام [٢].

هذا عن الحياة السياسية فى هذه الفترة .. أما عن الحياة العلمية ، فقد امتازت هذه الفترة بكثير من البهاء، الذى امتازت به الفترة السابقة عليها والفترة اللاحقة لها ، فإلى جانب الاهتمام بالدراسات الفقهية، واللغوية، ورعاية السلاجقة لعلماء الفقه، والحديث، واللغة نجد اهتماماً كبيراً بالعلوم الطبيعية والرياضية وعلوم الطب، فقد استفاد علماء المسلمين فى هذا العصر من حركة الترجمة والاقتباس من التراثين اليونانى والفارسى ، وتدبروا ما فيهما ، ثم أخذوا يستنبطون منهما ويضيفون عليهما ،

فظهرت مآثر المسلمين فى كثير من هذه العلوم[٣] ، وأصبح هذا العصر قمة احتكار المسلمين للتقدم العلمى فى العالم[٤] وبلوغهم درجة من التقدم، شهد بها كل من أرّخوا لهذه الفترة ، وكان قوام هذه الحركة مجموعة من العلماء حظوا برعاية سلاطين السلاجقة ووزرائهم، فأخرجوا للحضارة الإنسانية مؤلفات علمية، ساهمت فى تطور العلم فى مجال الرياضيات، والطب، والفلك، منذ هذه الفترة حتى اليوم ، وهؤلاء العلماء كثرة كبيرة، تصل إلى مائة وأحد عشر عالمًا وطبيبًا، أفرد لهم أبو الحسن البيهقى صفحات كتابه : " تاريخ حكماء الإسلام " .. هذا وسأكتفى بعرض ترجمة مقتضبة لمجموعة منهم ، ممن عاصروا الخيام، وكانت له بهم صلة وصداقة علمية ..

الحكيم أبو الحسن الأنبارى :

يقول عنه البيهقى " إنه كان حكيمًا، يغلب عليه علم الهندسة ، وكان مبرزًا فى علم الفقه والقراءات والتفسير ، وكان الحكيم عمر الخيام يستفيد منه وهو يقرر المجسطى "[٥].

أبو بكر محمد بن أحمد الخرقى :

يقول عنه البيهقى " إنه كان فلكيًا ورياضيًا وجغرافيًا ، ولعل أشهر مصنفاته :

" كتاب منتهى الإدراك فى تقسيم الأفلاك " ، وقد اعتمد فى بعض أقسامه على نظريات "ابن الهيثم الفلكية" ويرى "سارتون" أن هذا الكتاب من أحسن الكتب، التى تبحث فى الأفلاك[٦] ، وللخرقى كتاب آخر لخص فيه كتابه السابق وسماه " كتاب التبصرة "، ويذكر" قدرى طوقان" أن المستشرق " ويدمان "ترجم أجزاء من كتاب "التبصرة" إلى اللاتينية[٧] ، كما ترجم المستشرق " نيللنو " بعض أقسام هذا الكتاب إلى اللاتينية[٨] ، وللخرقى مؤلفات أخرى منها : "كتاب الرسالة الشاملة فى الحساب"، و"كتاب الرسالة المغربية " .

عبد الرحمن الخازنى :

أبو الفتح عبد الرحمن بن منصور الخازنى المعروف بالخازن . نشأ فى مرو، ودرس فيها ، وعلى علمائها نبغ ، ولمع فى سماء البحث والابتكار ، واشتغل بالطبيعة ولاسيما بحوث الميكانيكا ، فبلغ الذروة وأتى بما لم يأت به غيره من الذين سبقوه من علماء اليونان والعرب ، كما وفق فى عمل زيج فلكى، سماه " الزيج المعتبر السنجرى " نسبة إلى السطلان سنجر السلجوقى، وفيه حسب مواقع النجوم لعامى (١١١٥ ، ١١١٦م)، وجمع أرصاداً أخرى، تعد غاية فى الدقة ، وقد ألف الخازن كتاباً فى الميكانيكا سماه "ميزان الحكمة" وذلك فى عام (٥١٥ هـ) ، ويعد هذا الكتاب الأول من نوعه بين الكتب القديمة ، وقد يكون الكتاب الوحيد المعروف، الذى يحتوى على بحوث مبتكرة وجليلة، لها أعظم الأثر فى تقدم " علم الإيدروستاتيكا" . والكتاب مجموعة من المقالات فى الفلزات، والموازين، والطبيعة، والهندسة ، ويقول عنه "سارتون" إنه من أحسن الكتب التى تبحث فى هذه الموضوعات، وإنه أروع ما أنتجته القريحة الإسلامية فى القرون الوسطى[٩] .

وقد اخترع الخازن فى هذا الكتاب ميزانًا لوزن الأجسام فى الهواء والماء ، وتحدث فيه عن نظريات الجذب ومراكز الأثقال ، وكلها نظريات هامة وضرورية فى التحليل الكيميائى ، وكان الخازن من أصدقاء الخيام ، وقد تحدث الخازن فى كتابه – الذى ذكر – عن الميزان الذى اخترعه الخيام، والذى أسماه" القسطاس المستقيم"، هذا وقد طبع كتاب الخازنى (١٣٥٩ هـ)، بالهند كما قام فؤاد جميعان بنشره وتحقيقه مرة أخرى فى القاهرة ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات .

ومن علماء هذا العصر ، ممن كان لهم الفضل فى تقدم علوم الرياضيات والفلك يذكر لنا البيهقى :

على بن شاهك القصارى البيهقى : " وكان بيهقى المولد ، اشتغل بتحصيل الرياضيات والأعمال النجومية ، ثم استخرج تقاويم الكواكب وطوالع السنين "[١٠] .

ومن أطباء هذا العصر المبرزين :

بهاء الدين محمد بن محمود : وكان طبيبًا مباركًا ، أعلى ذكره السلطان سنجر، وفاز منه بقربه وكرامته وخلقه ، وكان مقدم الأطباء ، عالج السلطان مرارًا بعد ما اشتدت علته وضعفت قوته ، وله شأن عجيب فى المعالجة وتجربة لطيفة "(١١) .

ومن حكماء هذا العصر – أيضًا – الذين اتصل بهم الخيام، وتأثر بهم :**الحكيم أبو الفتح كوشك** : وكان حكيمًا صاحب خاطر قوى ، وقد رأى البيهقى كتبه فى خزانة السلطان سنجر ، وكان السلطان سنجر شغوفًا بكتبه ، وكان أبو الفتح عارفًا بأجزاء علوم الحكمة(١٢) " .

ويلغت شدة اهتمام المسلمين بعلم الفلك فى هذا العصر مبلغًا، جعلت بعضهم يضع فى بيته هيئة وزيجًا خاصًا به، يجرى عليهما ماشاء من التجارب العلمية ، ويضرب البيهقى مثلاً لهؤلاء العلماء :

الحكيم أبو الحسن النسوى : وكان من حكماء الرى ، وله الزيج الذى يقال له: "الزيج الفاخر" ، وكان النسوى حكيمًا مهندسًا ، ويقال إنه كان من تلاميذ أبى(١٣) معشر " .

وحسبنا أن نعلم أن الأمراء والملوك فى ذلك العصر الزاهر كانوا يتذوقون العلم، بل كانوا يتعشقونه ، ويصنفون التصانيف الجليلة فيه ، وكانوا من التواضع وحب العلم بحيث لا يتحرج أحدهم أن يعرض مصنفه على أحد علماء زمانه، وقد ذكر لنا البيهقى أن ملك الرى الإمام العادل " علاء الدولة فرامرز بن على " عرض على والده تصنيفه الذى سماه " مهجة التوحيد "، وكان بيته قبلة للعلماء والمشايخ ، وإنه كان ملكًا متخلقًا بأخلاق الحكماء(١٤) .

وهناك عشرات من علماء المسلمين فى هذا العصر، ممن نبغوا فى علوم الفلك، والتنجيم، والرياضيات، والطب، تزخر بهم كتب التراجم والمراجع التاريخية، التى أرّخت لهذه الفترة .

وفى هذا الجـو العلمى ، ووسط هؤلاء العلمـاء عـاش الخـيـام ، فـأخـذ من هؤلاء، وتفاعل معهم حتى استطاع أن يقدم للإنسانية هذه المؤلفات القيمة فى مختلف ألوان المعرفة ، والتى تفخر بها المكتبة الشرقية ..

***

الهوامش

(١) تبدأ هذه الفترة بعد وفاة السلطان ملكشاه ، وتولى أبنائه الحكم من بعده وهم : بركيارق ، محمد ، سنجر ، محمود .

وقد استطاع بركيارق (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) أن يستقر على عرش السلاجقة بعد صراع مع إخوته ، ونصب أخاه سنجر حاكمًا من قبله على خراسان . وبعد حروب متواصلة بينه وبين أفراد أسرته ، كان آخرها الحرب بينه وبين أخيه محمد ، وكان النصر فيها لمحمد ، فتولى محمد عرش السلاجقة بعد وفاة بركيارق (٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م) وظل محمد بن ملكشاه متربعًا على عرش السلاجقة أكثر من ثلاث عشرة سنة ، وفي كنف السلطان محمد بن ملكشاه عاش الخيام الفترة الباقية من حياته ، بعد أن اتخذه صديقًا ومنجمًا خاصًا له .

(٢) براون : تاريخ الأدب في إيران : ج ٢ : ص ٤٥٩ . ت : الشواربي .

(٣) عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق . ص ٦٠ . القاهرة ١٩٥٩ م .

(٤) Sarton : Introduction to the history of scince : Vol :1:P:201. Washington 1927

(٥) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام . ص : ١٠٤ دمشق سنة ١٣٢٤ هـ .

(٦) Sarton : Introduction to the History of science Vol 2. P. 205

(٧) قدري طوقان : تراث العرب العلمي : ص ٣٦٦ .

(٨) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلامي : ص ١٢٥ .

(٩) Sarton : Introduction to the history of science Vol .I P: 206

(١٠) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام : ص ١٧١ .

(١١) المرجع السابق . ص : ١٥٨ .

(١٢) المرجع السابق . ص : ١٠٦ .

(١٣) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام : ص ١١٩ .

(١٤) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام : ص ١٢٣ .

الباب الثانى

الفصل الأول

"ترجمة لحياة عمر الخيام"

أولاً – اسمه :

تجمع أغلب المصادر التاريخية على أن اسمه " عمر "، واسم والده" إبراهيم"، ولقبه " الخيام[١] . وأما عن كنيته فإن عبد الرحمن الخازن – عالم الرياضات المعاصر له – يكنيه بالإمام أبى حفص[٢] ، كما أن له كنية أخرى هى "أبو الفتح " ، وقد حظى الخيام بألقاب تبجيل وتعظيم كثيرة ، فلقّبه الكثيرون بـ " حجة الحق، والإمام، والحكيم، والفيلسوف، والشيخ، والدستور، وسيد حكماء المشرق والمغرب، ونصرة الدين، وسيد المحققين "[٣] .

ثانيًا – مولده :

اختلف كل الذين بحثوا فى سيرة الخيام فى تاريخ مولده ، ولم أستطع العثور عليه، كما لم يعثر عليه غيرى من قبل، سواء فى كتب التراجم، أو فى المؤلفات، التى تحدثت عنه ، وإن كان " جورج سارتون " يذكر أنه ولد فى أواسط القرن الخامس الهجرى فى الفترة ما بين سنتى (١٠٣٨ – ١٠٤٨ م)[٤] ، لكنه لم يحدد تحديداً دقيقًا السنة التى ولد فيها الخيام .

ثالثا – وفاته :

وكما اختلفوا فى تاريخ مولده ، فقد اختلفوا فى تاريخ وفاته ، فذهب " براون " إلى أن وفاة الخيام كانت (سنة ٥١٧ هـ)، بينما ذهب " كارل بروكلمن " فى كتابه

"تاريخ الأدب العربي " إلى أن وفاته كانت (سنة ٥١٥ هـ)، ويتضح مما نذكره عنه "البيهقي " في كتابه " تاريخ حكماء الإسلام "، أنه كان حياً حتى (سنة ٥١٧ هـ) ، إذ يذكر البيهقي أنه دخل على الخيام في خدمة والده سنة سبع وخمسمائة، وأن الخيام سأله عن بيت في الحماسة(٥) ، ولما كان من غير المعقول أن يجيب البيهقي عن سؤال الخيام وهو في الثامنة من عمره(٦) ، فمن الجائز أنه يقصد " السابعة عشرة " وأن هذا خطأ من الناسخ ، وبدراسة رواية " جهار مقالة" نرى صاحبها يقول إنه زار قبره (سنة ٥٣٠ هـ)، وإنه كانت قد مضت بضع سنوات على وفاة هذا العظيم ، وترد جملة "بضع سنوات" في النسخة التي ترجم عنها "عبد الوهاب عزام" و"يحى الخشاب" على أنها أربع سنوات، وبما أن النسخة التي ترجما عنها هي أوثق النسخ "لجهار مقالة" فإن وفاة الخيام تكون قد حدثت (سنة ٥٢٦ هـ).

رابعاً – موطنه :

تجمع المصادر التي تناولت حياة الخيام على أنه كان نيسابوري المولد والآباء والأجداد، وإن كان هناك بعض المؤرخين مثل أحمد بن نصر "التتوي" في كتابه "التاريخ الألفي"، يقول إنه ولد في قرية " شمشاد " التابعة لمدينة " بلخ " .

خامساً – نشأة الخيام :

بدأ الخيام حياته الدراسية في مدرسة نيسابور ، ودرس فيها الرياضيات والهندسة إلى جانب الفقه، وعلوم الحديث، واللغة، وتتلمذ في صباه على الحكيم أبي الحسن الأنباري ، الذي يقول عنه "البيهقي" إنه كان عالماً يغلب عليه علم الهندسة إلى جانب الفقه ، وقد درس الخيام على يديه كتاب " المجسطي،(٧)" كما تتلمذ الخيام في

صباه على الحكيم ناصر الدين محمد منصور ، الذى كان أستاذاً لحكيم سنائى ، وعلى يديه درس ألواناً مختلفة من العلوم، كان أهمها المنطق، والفلك، والرياضيات، وقد داوم الخيام على الدراسة فى " نيسابور " إلى أن أصبح أستاذاً فى مدرستها ، وانتقل بعد ذلك إلى ركب السلطان ملكشاه السلجوقى، ليصبح فلكيه الخاص منذ (٤٦٧ هـ) حتى وفاة ملكشاه (سنة ٤٨٥ هـ) .

سادساً – شخصية الخيام ومكانته العلمية :

يبدو لنا مما ذكره المؤرخون، الذين عنوا بترجمة حياة الخيام، أنه كان فطناً سريع الحفظ ، قوى الذاكرة ، ذا قريحة فذة وعبقرية نادرة ، ويؤكد ذلك ما ذكره معاصره "البيهقى" من أنه " تأمل كتاباً بأصفهان سبع مرات وحفظه وعاد إلى " نيسابور " وأملاه، فقوبل بنسخة الأصل، فلم يوجد بينهما تفاوت كثير[٨] .. ويقول عنه مجتبى مينوى ": إنه كان عالماً رياضياً، ومنجماً، وفيلسوفاً، وفقيهاً، وطبيباً"، لكنه لم يكن من هؤلاء العلماء الجامدين، الذين لا يشتغلون بشىء خارج دائرة العلم ، فقد أدرك الخيام بحسه الرقيق جمال الطبيعة، وجاذبية الورود والرياحين فى الحدائق الغناءة بذوق، وحسّ مرهف، ووجْد، قَلّما وُجد له نظير[٩] .

وأما عن مكانته بين علماء عصره، فإن " البيهقى" يعده تالياً لابن سينا فى أجزاء علوم الحكمة، فضلاً عن تمكنه من علوم القراءات واللغة ، ويتضح مما ذكره الزمخشرى عنه فى كتابه " الزاجر للصغار عن معارضة الكبار " أنه كان متبحراً فى اللغة العربية، ونحوها، وصرفها، وأنه فى مناقشاته مع العلماء كان يحترم آراءهم مع اختلافها مع آرائه[١٠] .

كما تتضح مكانته فى عصره مما ذكره " البيهقى " عنه من أن السلطان ملكشاه السلجوقى كان ينزله منزل الندماء ، والخاقان شمس الملك ببخارى يعظمه غاية التعظيم، ويجلسه معه على سريره .

ويستفاد من حكاية "النظامي العروضي السمرقندي" في " المقالات الأربع " أن السمرقندي كان قد استبعد في بادئ الأمر مقدرة الخيام، وصدق نبوءته عن موضع قبره، إلا أنه بعدما خبر شخصيته جيداً، أدرك أنه لا يكذب، ووصفه بلفظ "بزرك " أي العظيم. وقد أفاد "العروضي" فيما بعد أن وفاة الخيام تركت العالم السفلي يتيماً محروماً من صحبته وإرشاده ، ولما تحقق من صدق نبوءته بشأن قبره بكى ، وقال إنه لم يجد للخيام نظيراً في بسيط العالم وأقطار الربع المسكون(١١) .

وتؤكد الأبيات التي رواها الشهرزوري عن الخيام والتي بدايتها :

تدين لي السبعة العلى بل الأفق الأعلى إذا جاش خاطري

تؤكد هذه الأبيات خُلق الخيام ونفسه الطيبة ، وخاصة ما يتضح من الشطر الثاني عن فِطَرِه الروحي بتقديس ربه سبحانه وتعالى، وبعده عن الفحشاء، سواء بين الناس أو بينه وبين نفسه(١٢) .

ويؤكد ذلك ما وصفه به " القفطي " بقوله : "إمام خراسان " وعلامة الزمان، يعلم علم اليونان ، ويحث على طلب الواحد الديان بتطهير الحركات البدنية، لتنزيه النفس الإنسانية، ويأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية(١٣)" .

وربما تتضح منزلة الخيام وخلقه القويم من الأبيات التي مدحه بها القاضي الإمام محمد بن عبد الرحيم النسوي، والتي يقول فيها :(١٤) .

إن كنت ترعين يا ريح الصبا ذمعي

فأقري السلام على العلاقة الخيمي

بوسي لدية تراب الأرض خاضعة

خضوع من يجتدي جدوى من الحكم

فهو الحكيم الذى تسقى سحائبه

ماء الحياة رفاة الأعظم الرمم

عن حكمة الكون والتكليف يأتى بما

تغنى براهينه عن أن يقال لم

سابعاً - الخيام ودوره فى تقدم الفلك والرياضيات :

شهد علماء المشرق والمغرب - قديمهم وحديثهم - بمهارة الخيام وغزارة علمه وذكائه الخارق فى علوم الرياضيات والفلك ، فقال عنه البيهقى : و"أما أجزاء الحكمة والرياضيات والمعقولات فكان ابن بجدتها"[١٥] . وقال عنه القفطى: "وكان عديم القرين فى علوم النجوم والحكمة وبه يضرب المثل فى هذه الأنواع "[١٦] ، ويقول عنه سارتون: "إنه أعظم عباقرة الرياضة فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى " الخامس الهجرى[١٧] .

هذا .. وقد دفعه اهتمامه بدراسة الفلك والرياضيات إلى إنشاء برج خاص به على هيئة زيج " مرصد " ، مارس فيه دراساته فى الفلك والرياضيات حتى علا نجمه، وأصبح فلكى الأمير الشاب " ملكشاه السلجوقى " منذ عام (٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م) حتى وفاته عام (٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) ..

وأيا كان الطريق الذى سلكه الخيام ليصبح فلكى السلطان الشاب ، فقد تحقق حلمه وأصبح له مرصد حقيقى به أسطرلاب من صنع بغداد، وجداول نجوم بطليموس، وكرة سماوية من البرنز اللامع، ومصباح للنجوم، وهى آلات لابد من توفرها لأى فلكى .. وفى كنف ملكشاه وتحت رعاية نظام الملك بدأ الخيام ومعه صفوة علماء الفلك فى عصره، أذكر منهم اللوكرى، والإسفزارى، والواسطى ، بدءوا جميعًا (سنة ٤٦٧

هـ /١٠٧٥ م) فى العمل لإصلاح التقويم الفارسى، ووضع تقويم جديد، عرف فيما بعد "بالتقويم الجلالى... "

ولكي تتضح أهمية هذا العمل الذى أسهم فيه الخيام، سأتعرض له بشيء من التفصيل:

التقويم الجلالى :

ذكر المؤرخون أن العمل الذى قام به الخليفة المتوكل العباسى، والذى أكمل وتم تطبيقه فى عهد الخليفة المعتضد بالله العباسى – والذى تحدثت عنه فى الفصل الخاص بعيد النوروز عند العرب – لم يكن عملاً شاملاً، يهدف إلى إصلاح التقويم والسنة الخراجية من جميع نواحيها ، بل اقتصر على تأخير موعد النوروز، وتثبيته فى وقت من السنة، ملائم لافتتاح الخراج ، ولذلك ذكر المؤرخون أنه كثيراً ما كان يحدث خلل فى السنين الخراجية الشمسية وتطبيقها من السنين القمرية الرسمية، مما أدى إلى ضرورة إجراء إصلاح جذرى فى السنة الخراجية الشمسية ، ولهذا رأى نظام الملك – المعروف بمهارته الإدارية فى الحكم – ضرورة إجراء هذه الإصلاحات ليستقيم التقويم الفارسى ، وتنتظم بالتالى أمور الدولة والناس ، وعهد بهذا العمل إلى الخيام وزملائه، ممن ذكرتهم ، وفى سبيل تحقيق هذا الإصلاح وفّر للخيام كل ما يلزم من آلات للرصد والحساب، وأجرى عليه راتبًا سنويًا ، مهيئًا له سبل العيش الطيب ، حتى استطاع الخيام إتمام هذا العمل، فيما يقرب من خمس سنوات . وقد تحمل الخيام العبء الأكبر فى هذا العمل ، ويتضح ذلك مما ذكره عنه القزوينى فى كتابه " آثار البلاد وأخبار العباد"(١٨) ، كما يتضح ذلك أيضًا من حديث " ابن الأثير " عنه، ووضعه الخيام على رأس العلماء ، الذين أتموا هذا العمل(١٩) ، ويسمى "سارتون " هذا التقويم باسمه فيقول عنه: " تقويم عمر"(٢٠) .

ومن المعروف أن تاريخ يزد كرد – الذى كان معمولاً به فى إيران قبل إحداث التاريخ الجلالى – كانت السنة فيه اثنى عشر شهراً ، وكل شهر ثلاثين يومًا، يزاد عليها خمسة أيام مسترقة تلحق بالشهر الثامن "آبان"، وفى هذا الإصلاح قام الخيام بالإبقاء على عدد الأشهر فى السنة بأسمائها الفارسية القديمة ، لكن مع تمييز بينها وبين الأشهر الجديدة فى التقويم الجلالى ، فقيل شهر فروردين القديم وفروردين الجلالى وارد بهشت القديم وارد بهشت الجلالى، كما أبقوا على عدد أيام الشهر كما هى ، وأبقوا على الأيام المسترقة ، لكنهم ألحقوا هذه الأيام بآخر الشهر الثانى عشر اسفندرمذ، وكبسوا كل أربع سنين بيوم، وجعلوا هذا اليوم بعد الخمسة أيام ، وأصبح النظام ساريًا على أساس أن كل اثنتين وستين سنة تكبس بخمسة عشر يومًا . واعتبرت كل سنة من ثلاث سنين متوالية خمسة وستين وثلاثمائة يومًا ، والسنة الرابعة بعدها ستة وستون وثلاثمائة يومًا[٢١] ، وقد وضعت دراسات وأبحاث كثيرة حول هذا التعديل، الذى أحدثه الخيام ، وحملت هذه الدراسات والأبحاث تفسيرات مختلفة لهذا العمل . ويرى " الدوميلى " أن التفسيرات التى ذكرها "سارتون" هى أقرب التفسيرات إلى الصواب[٢٢] ، وهذه التفسيرات هى :

(أ) التفسير الذى قدمه الشيرازى المتوفى سنة (١٣١١ م)، والذى يجعل فى كل سبعين سنة سبعة عشر يومًا خارجة عن التقويم ، ويبلغ الخطأ فى التقويم بناء على ذلك : (يومًا فى كل ١٥٤٠ سنة تقريبًا) .

(ب) التفسير الذى اقترحه أولوغ بك المتوفى (١٣٤٩ م) ، وهو فى رأى "سارتون" أقرب التفسيرات إلى الصواب ، فهو يقدر فى كل اثنتين وستين سنة : خمسة عشر يوماً خارجة عن التقويم ، ويبلغ الخطأ بناء على ذلك : (يوم فى كل ٣٧٧٩ سنة تقريباً) ، وأنا أميل إلى هذا التفسير لضآلة نسبة الخطأ الحادث فيه.

(جـ) تفسير حديث يقدر ثمانية أيام في كل ثلاث وثلاثين سنة ، ونسبة الخطأ فيه : (يوم واحد كل ٥٠٠٠ سنة تقريبًا) ويقول، "سارتون" إنه بناء على التفسيرين : "ب ، ج " لتصحيح الخيام للتقويم، الإيراني فإن هذا التقويم أدق من التقويم، الذي يسيرون عليه في أوروبا الآن ، كما يؤكد أيضًا أن طريقة الحساب المستعملة في تقويم الخيام أكثر دقة وإحكامًا من التقويم المعمول به عندهم(٢٣) .

ونتيجة للتعديل الجلالي الذي أحدثه الخيام، أصبح رأس السنة الإيرانية يوم حلول الشمس برج الحمل ، وهو بداية الربيع، وذلك بعد أن كان عند حلول الشمس رأس الحوت، وقد سمى هذا التعديل بالتقويم "الجلالي أو السنة الجلالية "، وسمى النوروز الذي احتل فيها موقعه السليم " بالنوروز السلطاني " ، وهو عيد رأس السنة الإيرانية الذي لايزال معمولاً به في إيران حتى اليوم .. ويبدأ هذا التاريخ بالعاشر من رمضان (٤٧١ هـ ١٥ مارس ١٠٧٨م)(٢٤) ، ويحتفل بعيد النوروز في أول الربيع من كل عام، والسنة الجلالية هي السنة الفارسية المطبقة في إيران، منذ هذا التاريخ حتى اليوم.

ومن الملاحظ بصورة تدعو إلى الإعجاب بعبقرية الخيام في علم الفلك، أن المبدأ الأخير الذي وضعه في هذا التقويم، والذي تحدث عنه بشيء من التفصيل في كتابه : "نوروزنامه" عن جعل النوروز أول سنتهم، عند حلول الشمس رأس الحمل، وذلك بعد أن كان النظام معمولاً على أساس بلوغ الشمس برج الحوت، قد أثبت صحته العلمية في عصرنا الحديث العالم الفلكي" هربرت سبنسر " في كتابه " الفلك العام"(٢٥) .

ثامنًا - الخيام عالم التنجيم:

تتضح عبقرية الخيام في علم التنجيم إذا ما استقرأنا بعض الأحداث، التي ذكرها المؤرخون، الذين تحدثوا عنه ، منها ما ذكره تلميذه النظامي العروضي السمرقندي

فى الحكاية السابعة من المقالة الثالثة، حيث تنبأ الخيام بمكان قبره ، وصدقت نبوءته، ثم فى الحكاية الثامنة ، والتى ثبت منها مقدرة الخيام الفائقة فى هذا العلم ، وكسب بذلك ثقة ملكشاه فى التنجيم، حتى أصبح لا يخرج إلى صيد، أو لعب، أو حرب قبل سؤال منجمه الشاب عن طالع يومه.. ويذكر معاصره "البيهقى " أن حجة الإسلام الغزالى زار الخيام فى مرصده، وطلب منه تعيين جزء من أجزاء الفلك القطبية دون غيرها – مع كونه متشابه الأجزاء – وأجابه الخيام إلى طلبه، وشرح له ذلك تفصيلاً .. كما يذكر أن الخيام استطاع أثناء عمله فى زيج ملكشاه، اكتشاف خطأ فى جداول بطليموس الخاصة بالنجوم ، وصحح هذا الخطأ بطريقة علمية دقيقة، ساعدته على إنجاز تقويمه الدقيق للكشاه ... وألف الخيام رسالة سماها "لوازم الأمكنه"، ضمنها دراساته عن اختلاف هواء البلاد والأقاليم، واختلاف المواسم والفصول ، وجمع فيها بين مقدرته فى علوم التنجيم والفلك والجغرافيا.

تاسعاً – الخيام عالم الرياضيات:

الحديث عن الخيام الفلكى يقتضى ضرورة الحديث عنه كعالم فى الرياضيات ، ذلك أن "البيرونى "فى كتابه "التفهيم فى صناعة التنجيم "يقول"، إنه لا يسمى الرجل منجمًا مالم يحظ بأربعة علوم:الأول الهندسة ، والثانى : الحساب ، والثالث :الهيئة، والرابع الأحكام(٢٦) " وقد وعى الخيام ما ذكره البيرونى ، فقد كان يرى فى الفلك علماً رياضيًا مبنيًا على الرصد والحساب ، فدرس كل هذه العلوم ، وبرع فيها ، وفاق معاصريه فى هذا المجال ، واستحق ما خلع عليه من ألقاب التبجيل والتعظيم، حتى قال عنه البيهقى " إنه عديم القرين فى هذه العلوم" وقد ألف الخيام رسالة فى علم الرياضيات سماها : "الجبر والمقابلة" وقال فى مقدمتها إنه لا يفهمها إلا من كان متقناً لكتابى إقليدس :" الأصول والمعطيات " ولمقالتين من كتاب :" أبولينوس فى المخروطات"(٢٧) .

وقد وضعت هذه الرسالة الخيام في مقدمة علماء الرياضة الأفذاذ في تاريخ العلم في الإسلام، حتى أن المستشرق " الدوميلي يقول عنها : " إن هذا الكتاب من أهم النتاج الرياضي في الإسلام ، حيث يرتب الصور المختلفة للمعادلات ذات الدرجة الثانية والثالثة ترتيبًا منظمًا طبقًا لعدد الحدود، التي تشتمل عليها المعادلات ، مع بذل مجهود عظيم في حلها"(٢٨) . ويقول قدري طوقان :(٢٩) ، "إن الخيام استطاع أن يجد الجذور الثلاثة للمعادلات التكميلية ، وهو عمل كبير لم يصل إليه أحد من قبله" ، ويضيف قائلاً : "الخيام عني بالمسائل العامة في الرياضيات وتوسع في ذلك في رسالة أخرى سماها : "شرح ما أشكل من مصادرات أقليدس"، ويذكر الخيام في مقدمة الرسالة السبب، الذي حمله على تأليفها ، وهو أنه رأى خللاً في مواضع ثلاثة من مصادرات أقليدس، فسمت همته إلى إصلاحها، وجمع هذا الحل في رسالته هذه،(٣٠). ويختمها بقوله :" إن من تأمل هذه الرسالة وتحققها ، ثم اشتغل بتفهم ما ينبني على هذه المقدمات كان عالمًا بالهندسة علمًا حقيقيًا(٣١) .

وكان لهذه الأعمال العلمية، التي أعدها الخيام في الرياضيات، أن اعتبره "جورج سارتون" أعظم عباقرة الرياضة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي – النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، " وسمى هذه الفترة باسمه ، واعتبر عصر الخيام العلمي نهاية للعصر الذهبي لتاريخ العلم في الإسلام ، بل نهاية لاحتكار المسلمين للعلم والتقدم العلمي في العالم، وقال سارتون : " إن أعمال الخيام في الجبر تعد ذروة اجتهاد المسلمين في هذا المجال ، فقد عرف الخيام ثلاثة عشر شكلاً مختلفًا من المعادلات التكعيبية ، وحاول حلها جميعًا ، وأعطى حلولاً جبرية لعدد منها لم يصل إليه أحد من العلماء حتى الآن(٣٢)" . وقال بروكلمن : "إن دراسات الخيام في الجبر تعد أول محاول ناجحة لحل المعادلات التكعيبية ، فقد ميز الخيام منها ثلاث عشرة معادلة، ولم يحلها حلاً جبريًا ، بل حلاً هندسيًا أيضًا ، وهو ما لم يصل إليه غيره من قبل"(٣٣) .

ولم يقتصر نبوغ الخيام فيما ذكرته من علوم وتصانيف ، بل إنه جمع فأوعى أصنافًا أخرى من العلوم، حتى عده معاصره "البيهقى "تلو ابن سينا، فى أجزاء علوم الحكمة، وضرب المثل به فى هذه الأنواع، فقد ألف الخيام فى العلوم الطبيعية رسالة سماها "ميزان الحكم" المشهورة بـ رسالة فى الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة فى جسم مركب منهما ، وقد أشار إليها " فردريك روزن " فى نهاية ترجمته الإنجليزية لرباعيات الخيام، ويرى " قدرى طوقان " أن الخيام أثبت فى هذه الرسالة مقدرته الفائقة ونبوغه الهائل فى هذه العلوم ، فقد وصف فيها – بطريقة علمية دقيقة – الميزان الجامع وطريقة استعماله ، وتحدث عن نظريات علمية أخرى تحتاج إلى بحوث ودراسات متخصصة للاستفادة منها[٣٤] ... وتحدث عبد الرحمن الخازن – صديق الخيام – فى كتابه " ميزان الحكمة " عن بعض آثار الخيام فى العلوم الطبيعية ، ونقل بعض المطالب من كتاباته ومؤلفاته فى الطبيعة ، ففى الفصل الرابع من هذا الكتاب وصف الخازن ميزان الماء المطلق، الذى اخترعه الخيام لوزن ورصد الأجسام، ووزن الهواء، والماء، والذهب، والفضة، وغيرها من الأجسام ، وشرح الخازن طريقة استعمال هذا الميزان ، والفرق بينه وبين ميزان أرشميدس، وفى الباب الثامن من الكتاب تحدث الخازن عن " القسطاس المستقيم"، الذى اخترعه الخيام لوزن الأجسام المتناهية فى الصغر "، سواء أكانت حبة أم ألف درهم . ويقول الخازن إن هذا الميزان يعد تاليًا لميزانى أرشميدس والبيرونى[٣٥] .

ولقد كان الخيام صاحب مدرسة فى مختلف العلوم، التى نبغ فيها ، وتتلمذ عليه زمرة من الأطباء، والرياضيين، والفلكيين، وبناة الأرصاد، ومن تلاميذه الذين ذكرهم البيهقى فى كتابه " تاريخ حكماء الإسلام " " شرف الزمان محمد الإيلاقى : " وكان عالمًا اجتمعت فيه الفضائل بأسرها العلمية والعملية ، وكانت له تصانيف كثيرة منها : كتاب " اللواحق " وكتاب " دوست نامه"، وكتاب " سلطان نامه "، وكتاب الحيوان، ومن تلاميذه أيضًا : عبد الله بن محمد الميانجى : وكان واحداً من علماء الصوفية، وله

تصانيف، منها : زبدة الحقائق، وفيه يخلط كلام الصوفية بكلام الحكماء " ، كما ذكر البيهقى من تلاميذ الخيام : " الحكيم على بن محمد الحجازى القاينى "، ويقول عنه : إنه كان طبيباً وعالمًا، عارفًا بظواهر المعقولات، وله رسائل فى الطب والمعالجات(٣٦) .

والدارس لكتاب "نوروز نامه" يخرج منه بمحصلة عظيمة عماً وصل إليه الخيام من إحاطة لألوان أخرى من العلوم، والفنون، والآداب، فقد أثبت الخيام فى هذا الكتاب مقدرته فى علم الطب، فتحدث عن علاج كثير من الأمراض التى تصيب المعدة، والقلب، والمفاصل، والرأس، ووضع الدواء لكل هذه الأمراض ، وذكر فى الفصل الخاص بالشعير وخواصه أربعة وعشرين نوعًا من الأمراض وطرق علاجها. وقد طابقت بين ما ذكره الخيام عن استعمالات الشعير فى علاج بعض الأمراض وبين ما أورده "الإنطاكى"، فى تذكرته، فلم أجد بينهما تفاوتًا ، وفى الباب الخاص بالشراب تحدث الخيام عن الأضرار التى تسببها أنواع الشراب المختلفة ، وذكر طرق منع هذه الأضرار، كما تتضح معرفة الخيام بعلوم الحيوان من حديثه عن ثلاثة وأربعين نوعًا من الخيل، وألوانها ، وخواص كل نوع ولون منها، وقد اتصف حديثه فيها بالدقة العلمية، واتضح لى ذلك بعد مطابقته، بما ورد فى كتاب "فرس نامه"، وهو أحد المخطوطات المتخصصة فى الحديث عن الخيل وكل ما يتعلق بها، كما ألم الخيام بفنون أخرى كثيرة، ظهر أثرها فى حديثه فى هذا الكتاب عن السيف، والقوس، والسهم، وأنواعها، وعن الصقر وأنواعه، والقلم وأنواعه، وفنون أخرى كثيرة، أثبت فيها الخيام مقدرته وباعه الطويل فى كثير من العلوم والفنون والآداب ....

مؤلفات الخيام :

وصف أبو الحسن البيهقى الخيام بأن له ضنة بالتصنيف والعلوم، ورغم هذه الضنة، فقد خلف الخيام رسائل علمية وأدبية قيمة، تشهد له بما كان عليه من حكمة،

وعلم، وحذق، ومهارة فى مختلف الفنون والآداب، هذا ومن مؤلفاته التى ذكرها المؤرخون :

١ - رسالة فى الجبر والمقابلة :، ألفها الخيام بالعربية ، وقام العالم الفرنسى ويكه بنشرها، بعد تحقيقها وترجمتها إلى الفرنسية فى باريس (١٢٥٦ هـ / ١٨٥١م[٣٧])، كما قام العالم "داود قصير" بنشرها مترجمة إلى الإنجليزية فى نيويورك (١٩٣١م[٣٨]) .

٢ - رسالة فى شرح ما أشكل من مصادرات إقليدس : ألفها الخيام بسنة سبعين وأربعمائة باللغة العربية، وقام بتحقيق هذه الرسالة ونشرها بالإسكندرية الدكتور عبد الحميد صبره، وذلك بسنة (١٩٦١ م)، معتمداً على صورة لمخطوطها محفوظ بمكتبة ليدن . ولهذه الرسالة مخطوط آخر بالمكتبة الأهلية بباريس .

٣ - زيج ملكشاهى : وكان الخيام على رأس الذين قاموا بإعداده بسنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م .

٤ - رسالة بالعجمية فى كليات الوجود : ألفها الخيام باسم فخر الملك بن المؤيد ابن نظام الملك . والرسالة محفوظة فى المتحف البريطانى بلندن ، وكذلك فى المكتبة القومية بباريس[٣٩] .

٥ - رسالة فى الكون والتكليف : ألفها الخيام بالعربية، وذلك جواباً لسؤال وجهه إليه القاضى محمد بن عبد الرحيم النسوى، القاضى بنواحى فارس بسنة (٤٧٣ هـ)، وقد أجابه فيها عن حكمة الله تعالى فى خلق[٤٠] العالم وخصوصاً الإنسان وتكليفه بالعبادات، وقد نشرها " محيى الدين صبرى" فى مصر فى كتابه "*جامع البدائع*" (بسنة ١٣٣٥ هـ / ١٩٢٧م)، كما نشر له رسالة أخرى تعرف بـ " رسالة الوجود " وهى بالعربية أيضاً ، وفى هذا الكتاب نشر محيى الدين صبرى رسالة ثالثة فى الجواب عن ثلاث مسائل اعتقادية ، ولم يشر فيها إلى اسم السائل ، كما لم يذكر

نصوص الأسئلة ، وفى هذه الرسالة شرح الخيام بعض المسائل الإلهية المتعلقة بالجبر والاختيار، ومسائل القضاء ، والقدر، ومصدر الخير والشر(٤١) .

٦ – ميزان الحكم : سبق الإشارة إلى هذه الرسالة، ولكن هناك إضافة عن نشرها ، فقد ذكر "قدرى طوقان" أن هذه الرسالة قد نشرت ضمن رسائل لعمر الخيام بالزنكوغراف، نشرها وترجمها "بورس روزنفلد وفالا ديمير سيفالى"، وذلك ضمن منشورات أكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتى فى موسكو (١٩٦٢م)(٤٢).

٧ – مختصر فى الطبيعيات : وقد ذكرها البيهقى ضمن مؤلفات الخيام ، لكنه لم يتحدث عنها بشىء .

٨ – نوروز نامـــه : سيرد الحديث تفصيلاً عنها .

٩ – رباعيات الخيام : وقد ترجمت إلى مختلف لغات العالم وطبعت عدة مرات .

١٠ – ترجمة الخطبة الغراء لأبى على بن سينا : وقد ترجمها الخيام من العربية إلى الفارسية سنة (٤٧٢هـ / ١٠٧٩م)، تلبية لرغبة بعض أصدقائه فى أصفهان، وتوجد عدة نسخ لهذه الترجمة فى إيران(٤٣) .

الهوامش

(١) يذكر فى بعض المصادر " بالخيامى " مع ياء النسبة ، وكلا الشكلين صحيح ، لكن اختلاف التعبير يأتى على حسب كتابته فى العربية والفارسية .

محمد معين : حواشى " جهار مقالة " عن الخيام : ص ٣٢٨ . طبع طهران ١٣٣٢ هـ .

(٢) عبد الرحمن الخازن : ميزان الحكمة : ص ٨٧٠ الدكن ١٣٥٩ هـ .

(٣) محيى الدين صبرى : جامع البدائع : ص ٥٦ . القاهرة ١٩١٧ م .

(٤) Sarton : Introduction to the history ofseiece . Vol : P:159 Washington 1921

(٥) البيهقى : تاريخ حكماء الإسلام : ص ١٢٢ . دمشق ١٩٤٦ م .

(٦) يذكر ياقوت الحموى فى معجمه أن البيهقى ولد فى شعبان ٤٩٩ هـ .

ياقوت الحموى : معجم الأدباء : ج٢ : ص ٢٠٨ . القاهرة ١٩٣٦ م .

(٧) البيهقى : تاريخ حكماء الإسلام : ص ١٠٣ .

(٨) المصدر السابق . ص ١١٩ .

(٩) مجتبى مينوى : مقدمة كتاب نوروز نامه . ص ١٢ .

(١٠) حامد الصراف : عمر الخيام ص ١٩ ، ٢٠٠ بغداد . ١٩٤٩م .

(١١) النظامى العروضى : المقالات الأربع : المقالة الثالثة ، ت : عزام والخشاب . القاهرة ١٩٤٩م .

(١٢) حامد الصراف : عمر الخيام : ص ٢٦ بغداد .. ١٩٤٩م .

(١٣) القفطى : تاريخ الحكماء : ص ٢٢٤ . بغداد .

(١٤) محيى الدين صبرى : جامع البدائع . ص ٠٥٧ .

(١٥) البيهقى ، تاريخ حكماء الإسلام . ص ١٢٠ .

(١٦) القفطى : تاريخ الحكماء . ص ٢٣٤ .

(١٧) Sarton : Introduction to the history of science Vol : I P.159

(١٨) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد : ص ٣١٨ . ليدن ١٨٤٨م .

(١٩) ابن الأثير : الكامل : حوادث ٤٦٧ هـ .

(٢٠) Sarton : Introduction to the history of science Vol : 1 P.160

(٢١) دائرة المعارف الإسلامية : مانتى " أبان " و " جلالى " .

(٢٢) الدوميلى : العلم عند العرب، وأثره فى تطور العلم العالمى : ص ٢٢٣ . ت : عبد الحليم النجار . القاهرة ١٩٦٢ م .

(٢٣) sarton : Introduction to the history of science Vol : I.P: 160 - 161 .

(٢٤) جلال همائى : تاريخ أدبيات إيران : ص ٤٣ طهران١٣٨٠ هـ .

(٢٥) هربرت سبنسر : الفلك العام :ت: بسماحة وآخرين . القاهرة ١٩٥٦م.

(٢٦) العروضى السمرقندى :المقالات الأربع :المقالة الثالثة ت :عزام والخشاب.

(٢٧) عمر الخيام : مقالة فى الجبر والمقابلة : ص ٣٢٢ . باريس : ١٨٥١م .

(٢٨) الدوميلى : العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى : ت النجار، ويوسف موسى ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢٩) قدرى طوقان : تراث العرب العلمى : ص ٣٦٥ . القاهرة ١٣٨٢ هـ .

(٣٠) عمر الخيام : رسالة فى شرح ما أشكل من مصادرات إقليدس : ص ١٠٩ الإسكندرية سنة ١٩٦١ م .

(٣١) المرجع السابق .

(٣٢) Sarton : Introduction to the history of science. Vol : I P:136

(٣٣) كارل بروكلمن : تاريخ الشعوب الإسلامية : ج ٢ : ص ١٣٠ ، ١٣١ ت : أمين فارس .

(٣٤) قدرى طوقان : تراث العرب العلمى ص ٣٦٥ .

(٣٥) عبد الرحمن الخازن : ميزان الحكمة : ص ٨٧ ، ٨٨ . الدكن – حيدر آباد ١٣٥٩ هـ .

(٣٦) البيهقى : تاريخ حكماء الإسلام ص ١٢٣ ، ١٢٩ .

(٣٧) قدرى طوقان : تراث العرب العلمى : ص ٣٦٤ . وحواشى محمد معين على جهار مقاله عن الخيام .

(٣٨) حامد الصراف : عمر الخيام : ص ٢٦٢ . طبعة بغداد ١٩٤٩ م .

(٣٩) محمد بن الوهاب القزوينى ، حواشى جهار مقاله عن الخيام . ت عزام والخشاب .

(٤٠) محيى الدين صبرى : جامع البدائع : ص ١٦٥ .

(٤١) المصدر السابق . ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٤٢) قدرى طوقان : تراث العرب العلمى : ص ٣٦٥ .

(٤٣) نبيح الله صفا : تاريخ أدبيات إيران : ج ٢ : ص ٩١٦ . طهران ١٣٧٦ هـ .

الفصل الثانى

(لمـــن ألفـــت الرســـالة)

لمن ألفت الرسالة :

يذكر الخيام فى مقدمة، الرسالة أن صديقًا حميمًا له سأله عن سبب وضع النوروز، وأى ملك وضعه ، وأنه قبل التماسه، ودون هذه الرسالة ، وكان نتيجة لعدم تصريحه باسم هذا الصديق، أن اختلف النقاد والمؤرخون حول هذه الشخصية، فذهب "فرردريك روزن" إلى أنه من المحتمل، أن يكون الخيام قد كتبها للأمير سنجر، الذى خلف أباه ملكشاه على عرش السلاجقة بعد وفاة أخيه محمد .....[١]، ولا يتفق رأى "روزن" مع ما أورده "البيهقى "- معاصر الخيام - من أن السلطان سنجر كان يبغض الخيام، لأنه سبق وعالجه فى صباه، وأخفق فى ذلك .. ويرى مجتبى مينوى "أن الخيام كتب الرسالة تلبية لرغبة ملك معاصر له ، ويتأكد ذلك - فى رأيه - من الأشياء، التى ذكرها الخيام فى باب " هدية النوروز " ، والتى كان يحضرها كبير الموابذة للملك يوم النوروز، فكل نوع من هذه الأشياء سيد صنفه ، فالخمر ملك المشروبات، والذهب ملك الجواهر المذابة ، وقس على ذلك ، بالإضافة إلى أن الخيام يختم أغلب فصول الرسالة بهذه العبارة : " والمراد من ذكر هذا الفن، هو بيان سبب طلب ملوك العجم لهذه الأشياء فى النوروز[٢] ، والمرجح أن يكون الخيام قد أهدى هذه الرسالة لأحد خلفاء ملكشاه قاصداً من ذلك جذب اهتمامه للاستمرار فى أعمال الفلك، التى بدأها ملكشاه وخاصة " الزيج الملكشاهى "، ويؤيد هذا الرأى أن الخيام فى الفصل الخاص بعادات الملوك يركز على عظمة ملوك إيران القدماء، وعلو همتهم فى تعمير المملكة ، وأنه كان من شيمة كل ملك تكملة ما بدأه سلفه من مشروعات، ومن المرجح أيضًا أن يكون هذا

الملك هو "محمد بن ملكشاه السلجوقي"، الذى تولى العرش بعد وفاة أخيه بركيارق ، إذ يذكر "النظامى العروضى السمرقندى" أن الخيام كان على رأس منجمى السلطان محمد بن ملكشاه ، وأنه مكرماً لديه ولا يستشيره إلا فى صعاب الأمور[٢] .

الهامش

(١) Rosen : The quatrains of Omar Khayy an P : 16.

(٢) مجتبى مينوى : مقدمة نوروز نامه : ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) النظامى العروضى السمرقندي : المقالات الأربع ، المقالة الثالثة . ت : عزام والخشاب

(محتويات كتاب نوروزنامه)

١٦ - أسماء الخيل بالفارسية .

١٧ - فى ذكر الصقر وفضيلته وما يجب بشأنه .

١٨ - فى اختيار الصقر .

١٩ - فى منفعة الشراب وخاصيته .

٢٠ - حكاية فى معنى ظهور الشراب .

٢١ - حديث فى خاصية الوجه الحسن .

الفصل الثالث

القسم الأول

المنحى الفكرى للكتاب

المنحى الفكرى للكتاب :

يبدو الخيام فى هذا الكتاب فيلسوفًا ماديًا ، لا يعتقد بأن الله خلق المخلوقات فرداً فرداً ، بل يعتقد أن الأشياء الجديدة قد ظهرت وفق دوران العالم، وعلى حسب مقتضاه [١] .... والخيام يحس بمرارة الحياة بعد فقدانه لعطف ملكشاه، ورعايته، وحمايته ، وبعد أن توقفت أعمال الرصد، التى كانت مصدر رزقه، قبل وفاة ملكشاه، ويتنفس المرارة فى ثنايا الكتاب، فيقول :" اللهم لا تجعل الدنيا حلوة فى قلب إنسان[٢]" وأصبح الخيام وكأنما يعيش فى ألم دائم من التفكير فى أمور الموت ، فالآدميون فى نظره أبناء للموت ، ومن ثم فإنه يعتقد أنه ينبغى أن ينال الإنسان نصيبه من متع الدنيا، ثم يحدث بعد ذلك ما يحدث[٣] .. ففى رأيه أن الذهب ما دام خلق من أجل المتعة، فينبغى على الحياة أن تمجده ، كما يمتدح الشراب، لأنه وسيلة للسرور، والبهجة، وإزالة الهموم [٤] ، ويعظم الوجه الحسن ، ويختتم كتابه بالثناء عليه، ويعده مصدراً للسعادة .

لكنه لا يعظم الجمال، لما فيه من معان جميلة فحسب ، بل لما فيه من فوائد مادية ملموسة ، فالشخص الجميل الصورة لابد له من المال الوفير، حتى يتمكن من مجالسة الأصدقاء، والأحبة، ويسعد بلقائهم، وعلى هذا فإن قضاء حياة الإنسان فى سعادة تؤدى إلى تعمير الدنيا .. وتبدو فلسفة الخيام المادية فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب، ومن ذلك نظرته للذهب ، فبينما ينهى الإسلام عن استخدام الذهب ، ينظر الخيام إلى الذهب نظرة مادية بحته ، فهو يرى أن استعمال الذهب ضرورى فى حياة الإنسان ، لما فيه من فوائد طبية ،"فرؤيته تضىء العين، وتسعد القلب، وتزيد فى جمال الوجه، وتؤخر

الشيخوخة، وتزيد الرزق ، وإذا ما رضع طفل لبنًا فى إناء ذهبى، فإنه يحسن الحديث، وينمو قوى الجسد آمنًا من مرض الصرع ، ولا يتفزز فى النوم .

وإذا كحلوا عينه بمرود ذهبى، تكون عينه فى مأمن من العشى، ومن الدموع، ويزيد إبصارها، وإذا ثقبت النسوة أذن بناتهن بإبرة ذهبية لا تلتئم ثانية ، وشرب الماء من كوز ذهبى يؤمن شاربه من الاستسقاء[٥]، وبغض النظر عن تحريم الخمر فى الإسلام نرى الخيام يمتدح الخمر، ويوضح مزايا ومضار أنواعها المختلفة، ويذكر وسائل للتخلص من كل ضرر من أضرارها ، ويشير إلى فائدة الشراب، التى ذكرت فى القرآن متغاضيًا عن الإشارة إلى ما ورد بالقرآن عن الآثام الكثيرة للخمر والتى تزيد عن نفعها[٦]، والخيام فى هذا الكتاب عالم محيط بألوان شتى من العلوم، ويبدو حديثه عن فوائد الخمر وأضرارها حديثًا علميًا صحيحًا بعد مقارنته بما ورد عن الخمر فى " تذكرة أولى الألباب " لداوود الأنطاكى "، كما تتضح مهارته وقدرته فى علم الطب من حديثه عن الشعير، وفوائده الطبية للإنسان والحيوان، بعد موازنة بينه وبين ما أورده " داوود الأنطاكى " فى " تذكرته " عن فوائد الشعير، ولا يقتصر تفوق الخيام فى علم الطب وحده ، وإنما نراه يبرز فى علوم أخرى ، فهو يتحدث عن الخيل، وأنواعها، وشيتها، ومزايا كل نوع منها، حديث العالم المحيط الراسخ القدم ، وكان حديثه عن السيف، والقوس، والسهم، وأنواعها بالغًا من الدقة العلمية حدًا دفع "فريدريك روزن" إلى ترجمة هذا الفصل إلى الإنجليزية ونشره[٧]، ومع هذا العلم الغزير للخيام، فإن حديثه عن علامات الكنوز، يتسم بالخيال، ويبتعد عن الطابع العلمى، الذى اتسمت به مواضع كثيرة من هذا الكتاب . ويتسم حديثه الخاص بالمسائل الفلكية عن تعيين يوم النوروز بالصعوبة والغموض ، حتى أن مجتبى مينوى " كثيرًا ما يعلق على عبارات من هذا الجزء بأنها غامضة ومبهمة ، وهو يخالف السمة الغالبة على الكتاب فى بساطة المعلومات العلمية، التى أوردها فى الكتاب .

ولا نكاد نرى نصيحة أخلاقية ذات قيمة كبيرة ، اللهم إلا ترغيب الملك إلى العدل، وعدم تناول الناس بالأذى ، ومع ذلك فهو يربط هذه القيمة المعونية بقيمة أخرى مادية

تتعلق بالحكم، وهى ضرورة نشر العمران فى أرجاء الدولة، وأعظم فضيلة إنسانية فى رأى الخيام هى الشجاعة ، ويصف تمثال الشجاعة كما هو مرسوم فى الصفحة السابعة والعشرين من مقدمة الكتاب ، كما يمجد القدرة والعظمة فى الإنسان ، والفضيلة الأخرى التى يؤمن بها الخيام ويعظمها هى ملكة القراءة والكتابة ، ويورد الخيام – فى اقتضاب – سير ملوك الأسرة البيشدادية كما ينقل بعض رسومهم، وعاداتهم، وكذلك بعض الأساطير المتعلقة بهم ، ويتحدث عن العادات والنظم الساسانيه فى النوروز بتمجيد وتعظيم يؤكد اعتزازه بقوميته الإيرانيه من ناحية ، وتعمقه فى تاريخ الإيرانيين القديم من ناحية أخرى ، وكأنه كان مداوماً على قراءة الشاهنامه . ولا يخلو الكتاب من بعض الأخطاء التاريخية ، ومن ذلك أن ينسب إقامة عيد السذق إلى "أفريدون" ، ويخالف المألوف فى نسبة هذا العيد إلى هوشنك ، الذى استحدثه احتفالاً بتولد النار من احتكاك أحجار بعضها ببعض ، كما يذكر الخيام أن كسرى كان قد أرسل قائداً إيرانياً إلى الحبشة، ضرب أبرهة بن الصباح بالرمح فألقاه عن جمله ، وهو فى ذلك يخالف ما أورده الثعالبى فى " غرر ملوك الفرس " من أن هذا القائد – وهو وهريز بن كامكار الديلمى رامى السهم المشهور عند الفرس – لم يقتل أبرهة بن الصباح – كما ذكر الخيام – وإنما قتل مسروق بن أبرهة بن الأشرم أمير الحبشة آنذاك ، وأما أبرهة بن الصباح فلم يكن معاصراً لكسرى ، وإنما كان معاصرا لشابور ذى الأكتاف .

وفى الختام نقول إن هذه الرسالة أشبه بموسوعة وجيزة عن عيد النوروز ، وكل ما يتصل به ، وهى تسوق الدليل على غزارة علم الخيام، وبعد غوره، واتساع باعه فى أشتات العلوم وأصولها وفروعها .

***

الهامش

(١) عمر الخيام : نوروز نامه : ص ٤

(٢) المصدر السابق ص ٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٤ .

(٤) المصدر السابق ص ٦٠ وما بعدها .

(٥) عمر الخيام : نوروز نامه : ص ٢١ .

(٦) مجتبى مينوى : مقدمة نوروزنامه .

(٧) Rosen : The quatrains of Omar Khayyam :P:11

القسم الثانى

أسلوب نوروزنامه

أسلوب نوروزنامه :

يذهب " تقى بهار " فى رأيه عن أسلوب الخيام فى " نوروزنامه " إلى أن الخيام كتبها بأسلوب القرن الخامس الهجرى، وأساسه أسلوب البلعمى والبيهقى ، وخصائص هذا الأسلوب الإيجاز، والموازنة، وقلة المترادفات، وتكوين الجمل القصار، وقلة استعمال المفردات العربية ، وفى رأيه أيضًا أن الخيام بتطبيقه لهذه الطريقة يعد من متبعى الأسلوب القديم ، فهو فى بعض الجمل يقدم الفعل على المسند والمسند إليه، ويستعمل الأفعال المجهولة مع فعل " آمد" كثيراً ، فأسلوب الخيام فى هذه الرسالة أقرب إلى على نمط كتابى : " سياست نامه " و" قابوس نامه " الأسلوب القديم ، ولولا استعمال الخيام لحرف الجر " در " محل اندر " فى ثنايا جمله، ولولا حذفه لبعض الأفعال بالقرنية لكان من الممكن وضعه ضمن أتباع الأسلوب السامانى(١) .

ويرى "فردريك روزن" أن أسلوب الرسالة سهل وممتع وفى مستوى الإفهام، كما يرى أن الخيام عمد إلى هذا الاتجاه، ليكون موضوع الكتاب فى متناول الإنسان البسيط(٢) .

والواقع أن الرسالة تخلو من السهولة اللفظية، وخاصة فى الجزء الخاص بالنوروز وحقيقته ، فقد عرض الخيام المسائل الفلكية عرضًا جافًا ووضعها فى قوالب علمية جامدة، وكان من الأنسب عرضها فى قالب أبسط من هذا حتى يتيسر فهمها، كما تبدو بعض عبارات الرسالة ركيكة وغير مفهومة فى مواضع كثيرة من الكتاب ، وذلك لأن الخيام عمد إلى كثرة استعمال التقديم والتأخير فى ثنايا الجمل ، كما أن هناك جملاً كثيرة، ذكر مبتدأها وتركها ناقصة دون خبر ، مما أثر فى إغلاق معانيها، وقد دفعنى

ذلك – مكرهًا – إلى ترجمة كثير من الجمل ترجمة حرفية، مراعاة للدقة فى نقل معانى النص، ولا تبدو السلاسة التى يتحدث عنها "روزن ومينوى" وغيرهما إلا فى بعض الحكايات، التى ذيّل بها فصول الكتاب . ويبدو تأثر الخيام بـ "سياست نامه " ظاهراً فى هذا الكتاب ، فالفصل الخاص بعادات الملوك شبيه إلى حد كبير بالفصل السادس والثلاثين من " سياست نامه "، حتى أن بعض العبارات التى وردت فى هذا الفصل قد أخذت من " سياست نامه " .

الهامش

(١) تقي بهار : سبك شناسي : ج ٢ ص ١٦٧ . طهران ١٣٣٧ هـ .

(٢) Rosen : The quatrains of Omar Khayyam. P:16

القسم الثالث

آراء المؤرخين حول نسبة الرسالة

إلى الخيـــــــــــام

نوروزنامه : رسالة منشورة فى بيان نشأة الاحتفال بالنوروز ، وسبب اتخاذ هذا اليوم عيداً عظيماً عند الفرس ، وأى ملك فارسى وضعه ، ولماذا احتل مكانة فريدة لدى الفرس، والترك، والروم، والعرب على حد سواء ، وتقاليد الاحتفال به ، والأساطير والحكايات المتعلقة بهذا العيد وتقاليده، وأما عن آراء الباحثين فى نسبة الرسالة إلى الخيام، فقد أجمعت المصادر التاريخية، التى وصلت إلى يدى، والتى تعرضت للحديث عن هذه الرسالة على نسبتها للخيام ، وكان أول تأكيد لذلك فى السطور التى كتبها "فردريك روزن" عن هذه الرسالة، والتى يقول فيها إنه شك فى بادئ الأمر فى نسبتها إلى الخيام ، ولكنه بعد أن فحصها انتهى إلى نسبتها للخيام، كما تأكد له بعد دراستها أنها دونت بعد وفاة الخيام بمائتين واثنتين وأربعين سنة ، كما رأى أن الصفحة الأولى من الرسالة تنص على أن الفيلسوف العظيم عمر بن إبراهيم الخيام هو المؤلف[1] .

والرأى الثانى الذى يؤيد نسبتها إلى الخيام ما ذكره " محمد خان القزوينى " فى مقدمة النسخة المصورة للرسالة، والذى يقول فيه :"كتاب نوروز نامه " تأليف ملك الحكماء عمر بن إبراهيم الخيام فى شرح النوروز وتاريخه وآدابه ، وهو نسخة فريدة فى مكتبة برلين القومية، تحوى ستاً وخمسين صفحة من القطع المتوسط، بخط نسخ وبإملاء قديم، مثل كتابة الدال الفارسية ذالاً معجمة ، وكتابة " كى بالياء محل (كه)، ونحو ذلك ، وهو لا يحتوى على تاريخ كتابته ، ولكنه لا يمكن أن يتأخر عن القرن السابع الهجرى ، وقد تم تصوير هذه النسخة على نفقة وزارة المعارف الإيرانية باهتمام العبد الضعيف محمد بن عبد الوهاب القزوينى فى شهر رجب ١٣٥٠ هـ الموافق شهر آبان ١٣١٠ شمسى "[2] .

والرأى الثالث : الذى يؤيد نسبة هذه الرسالة إلى عمر الخيام، هو ما كتبه "مجتبى مينوى" فى مقدمة الرسالة، وهو يؤكد فى هذ المقدمة – بعد تحليله لمحتوياتها وأسلوب الخيام فيها، وطريقة تفكيره. أن جميع مميزات هذه الرسالة حينما توجد فى كتاب لم يذكر فيه صراحة أنه من تآليف الخيام، فإنه يؤكد نسبته إليه دون أدنى شك .

ويتساءل قائلاً : ولماذا لا أعتبره من تآليف الخيام ، ألأن أصحاب التذاكر وكتاب التراجم لم يذكروا كتاباً بهذا الاسم، فلم نعرفه ولم نره ؟، وهل كتب أرباب التذاكر كل ما يقال ؟ وهل أقوالهم ورواياتهم كلها صحيحة ؟ وأنتم تعلمون أن هناك بضع مئات من الكتب قد ألفت فى إيران، وليست مجهولة الاسم لنا فحسب ، بل إننا لا ندرى شيئًا عن خبر تأليفها أصلاً، ونقطة أخرى هامة وهى أنه لا يمكن أن يوجد شخص معاصر للخيام ألف هذه الرسالة، ثم آثر الخيام على نفسه، فوضع اسمه عليها، وأخيراً فإن الكتاب موجود، وقد ذكر فيه صراحة أنه من تآليف الخيام ، ولدينا الأدلة الكافية على صحة هذا الرأى ، ومادام لم يقم دليل قاطع على بطلان هذه النسبة، فإننا لا نرى أحداً أجدر بتأليفها من الحكيم الخيام النيسابورى[٣] .

والرأى الرابع : الذى يؤيد نسبة الرسالة للخيام هو ما أورده ذبيح الله صفا فى حديثه عن مؤلفات الخيام، وهو يذهب فيه إلى أن نوروزنامه من كتب الخيام النظرية السلسة الأسلوب[٤] .

والرأى الأخير : الذى يؤيد نسبة الرسالة إلى الخيام، هو ما ذكره محمد معين فى حواشيه على "المقالات الأربع"، ويذهب فيه معين " إلى أنه اطلع على نسخة للرسالة، أهداها له أحد أصدقائه، وبعد أن درسها وتفحصها بعناية، انتهى إلى صدق وصحة نسبتها إلى الخيام[٥] .

وعلى الرغم من إجماع الآراء التى ذُكرت على نسبة الرسالة إلى الخيام، فإن "على دشتى" فى كتابه "دم بإخيام"، يشك فى هذه النسبة، ولا يطمئن إلى أصالتها ، ففى حديثه عن مؤلفات الخيام، نراه يقول إنه لم يشر إلى " نوروزنامه " ضمن مؤلفات الخيام، ولم ينقل عنها شيئًا ، وذلك لرأيه الخاص فيها، وهو أنه لا يطمئن إلى أصالة

نسبتها إلى الخيام ويرجع تردده فى ذلك إلى مقدمتها نفسها ، فالخيام - فى رأيه - لا يمكن أن يعطى لنفسه صفات فيلسوف الوقت، وسيد المحققين، وملك الحكماء، بل يكتب بدايتها بكل بساطة ودون فخر على نسق ما كتبه فى بداية رسالته "علم الكليات"، والتى قال فيها: هكذا يقول أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام - كما تصفحها ودرسها - فى رأيه يوجد نوع من الشك فى نسبتها للخيام، إذ إن أسلوب الرسالة ومحتوياتها لا يتفق ووقار الخيام، ومكانته وأسلوبه العلمى، والفلسفى وطبعه الذكى الحذر، ففى هذه الرسالة نواجه كاتباً يشمئز من العرب وعاداتهم، ويغضب على رواج تقاليدهم وسننهم، ويعود بطريقة مليئة بالتعصب إلى ماضى إيران القديم ، فيثنى على جميع عاداتها وآدابها وتقاليدها ، حتى خرافاتها السخيفة، وينكر الملوك الإيرانيين الباغين بالتقدير والثناء، ويمتدح الخمر ، ليس على طريقة الخيام ، بل يعرض خواصها الطبية فى مبالغة ، وهو يعتبرها وسيلة للغفلة ونسيان متاعب الدنيا، ومن قراءة هذه الرسالة يرد على فكر الإنسان، أن كاتبها كان واحداً من هؤلاء الزرادشتيين، الذين اشمأزوا من تعرب الإيرانيين ، ودفعه ذلك إلى تأليف هذه الرسالة، ووضع اسم الخيام عليها، لكسب الثقة والاطمئنان إلى أصالتها ، ومع ما هو موجود من آثار للخيام توضح فكره وأسلوبه، فإنه يبدو مستبعداً نسبة هذه الرسالة للخيام ، ذلك أن الخيام يسير على نهج أفضل من التعصب العنصرى والمذهبى ، وهو وإن كان يمدح الخمر فى رباعياته ، فإن ذلك المدح قابل للتأويل والتوجيه وجائز فى لسان الشعر المتداول، وجملة القول فإن محتويات هذه الرسالة تؤكد عدم أصالتها وتثير الشك فى نسبتها للخيام(٦) .

ويمكن الرد على الأستاذ " على دشتى " بأن الخيام - شأنه فى ذلك شأن غالبية الكتاب والمؤلفين القدامى - لم يكتب رسالته بنفسه ، ولكن النساخ فى عصره أو فى العصور التالية هم الذين قاموا بهذا العمل، ومن عادة النساخ - كما هو معروف تقديم الرسالات بمدح أصحابها، وخلع ألقاب التبجيل والتعظيم عليهم ، وهذا ما فعله ناسخ " نوروزنامه، حين خلع على الخيام ألقاب "حجة الحق"، و"سيد المحققين"، و"الفيلسوف"، وهى ألقاب نالها الخيام فى حياته، وبعد مماته من معاصريه، وغيرهم ممن تحدثوا عنه بكثير من الثناء والمديح ، وإذا كان ناسخ رسالته " علم الكليات " قد

كتبها دون تقديم الخيام ببعض عبارات التبجيل - كما هى العادة المتبعة - فإن ذلك لا يكون دافعًا لإنكار نسبة " نوروز نامه " إلى الخيام، لأن ناسخها قدّمه ببعض المديح والثناء، لأننا لو اتبعنا هذه القاعدة لأنكرنا نسبة كل رسالة قدم صاحبها بألفاظ التبجيل والتعظيم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الخيام لم يظهر تعصبه فى الرسالة على العرب - كما يذكر على دشتى - بل إنه عرض فى الفصل الثانى من الرسالة لعاداتهم فى إعداد الموائد وفى حكم الأقاليم ، ورد اهتمامهم بعمران البلاد إلى فضلهم وعلو همتهم، والدارس لهذا الفصل من الرسالة - يدرك أن الخيام إنما يعظم العرب وعاداتهم، يتمنى للملك الذى يعاصره أن يأخذ بها، ولم يتهجم الخيام فى أى موضع من الرسالة على العرب ، بل إنه ذكر كثيراً من الأمثال العربية مستشهداً ببعض آيات من القرآن الكريم، وفى تناوله للخمر لم ينس صفته العلمية، فعرض فوائد الخمر وأضرارها، ووسائل دفع هذه الأضرار، شأنه فى ذلك شأن أى عالم يتناول أنواع الشراب، التى يستخدمها الإنسان فى كل زمان ومكان .

الهامش

(١) Rosen : The quatrains of omar khayy am . Londin 1930 > P : 17- 18.

(٢) مجتبى مينوى : مقدمة نوروز نامه ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) المصدر السابق . ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٤) نبيح الله صفا : تاريخ أدبيات إيران : ج٢ : ص ٣١٥ . طهران ١٣٣٣ هـ .

(٥) محمد معين : جهار مقالة . ص ٢٢٨ . طهران ١٣٣٣ هـ .

(٦) على دشتى : دم باخيام : ص ٦٧ ، ٦٨ . طبع طهران سنة ١٣٤٤ هـ .

الفصل الرابع

الترجمة العربية لرسالة نوروزنامه

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد والشكر لله جل جلاله ، خالق العالم ، ومالك المكان والزمان، ورازق المخلوقات والعالم بالسر والعلن، الله الذى لا شبيه له ولا شريك، ولا آمر ولا حاجة له، هو الواحد لا يحد بالقياس والعدد ، والقادر والمستغنى عن الظهير والمدد ، والصلاة والسلام على أنبيائه من آدم الصفى إلى الرسول العربى محمد المصطفى صلى الله عليهم أجمعين، وعلى عترته وأصحابه وأصفيائه .

هكذا يقول السيد الحكيم، فيلسوف الوقت، وسيد المحققين ملك الحكماء عمر بن إبراهيم الخيام رحمة الله عليه : "حينما وقع النظر – من حيث يوجد كمال العقل – لم أجد شيئًا أشرف من الحديث وأرفع من الكلام، الذى لو كان شىء أعظم منه لخاطب به الله تعالى الرسول ﷺ ، وقالوا فى العربية : " وخير جليس فى الزمان كتاب " وقد التمس منى صديق – كان له على حق الصحبة، وكان فريداً فى حسن الوفاء بالعهد – معرفة : ما هو السبب فى وضع النوروز ، وأى ملك وضعه ، فبذلت الجهد فى تحقيق رجائه ، ودونت هذا المختصر بتوفيق الله جل جلاله .

" بداية كتاب نوروز نامه "

(فى سبب وضع النوروز)

فى هذا الكتاب – الذى سبق ذكره – أوضح حقيقة النوروز ، وأى يوم كان عند ملوك العجم ، وأى ملك وضعه ، ولماذا أكبروه، وأيضًا عادات الملوك وسيرهم فى كل أمر، وهذا باختصار إن شاء الله تعالى .

وسبب وضع النوروز أنه حينما علموا أن للشمس دورتين، إحداها كل خمسة وستين وثلاثمائة يوم وربع اليوم من الليل والنهار ، تعود الشمس إلى برج الحمل فى أول دقيقة فى نفس الوقت واليوم الذى مضى ، إذ تنقص المدة كل سنة، لتعذر العودة إلى هذه الدقيقة ....(١) .

وحين أدرك جمشيد ذلك اليوم سماه النوروز ، واحتفل به ، ثم اقتدى به الملوك الآخرون(٢) ، وقصته كالآتى :

إنه حينما جلس كيومرث – الأول من ملوك الفرس – على العرش، أراد أن يضع اسمًا لأيام السنة والشهر، وينشئ تاريخًا لها كى يعرفها الناس ، ورأى أنه فى ذلك اليوم – وقت الصبح – وصلت الشمس فى أول دقيقة إلى برج الحمل ، فجمع الموابذة، وأمرهم أن يبدءوا التاريخ من هذه اللحظة ، فاجتمع الموابذة ووضعوا التاريخ .

وقال موابذة العجم الذين كانوا علماء ذلك الزمان، أن الله تبارك وتعالى خلق اثنى عشر ملكًا ، ووكل أربعة منهم بالسماء ليحفظوها، وما فيها من الشياطين ، ووكل أربعة من الملائكة بأركان الدنيا الأربع، حتى لا يمكنوا الشياطين من العبور من جبل قاف ،

وهكذا يقال إن أربعة من الملائكة يطوفون فى السموات والأرضين ويحولون بين الشياطين والخلائق ، وكذلك يقال إن العالم الدنيوى وسط العالم الآخروى، كبيت جديد أحدث فى بيت قديم ، وأن الله سبحانه وتعالى خلق الشمس من النور، ونشأ بها السموات والأرض ، وأهل الدنيا يتطلعون إليها، لأنها نور من أنوار الله تعالى، وينظرون إليها بإجلال وتعظيم، لأن الله خلقها بعناية أكثر من غيرها ، ويقولون إن مثل ذلك كمثل ملك عظيم يشير إلى خليفة من خلفائه ليعظموه، ويعرفوا مقدار فضله ، فكل من عظمه يكون قد عظم الملك، ويقال إنه حين أمرها الله أن تثبت لتصل حرارتها ومنفعتها إلى جميع الأشياء ، مضت الشمس من برج الحمل، وجعلتها السماء تدور، وانفصل الظلام عن النور، وظهر الليل والنهار، وأصبح ذلك بداية لتاريخ هذه الدنيا، وعادت بعد ذلك بألف وأربعمائة وواحد وستين سنة فى نفس الدقيقة ونفس اليوم وهذه المدة هى قران كوكبى زحل والمشترى ثلاثًا وسبعين مرة ، وتسمى بالقران الأصغر وهذا القران يحدث مرة كل عشرين سنة ، وفى كل مرة تتم الشمس دورتها حول نفسها، وتصل إلى هذا المكان، يكون لزحل والمشترى قران فى نفس هذا البرج – الذى فيه هبوط زحل – مع مقابلة برج الميزان – هذا الذى فيه زحل – مرة هنا ومرة هناك على النحو الذى ذكر ....[٣] .

وظهر مكان الكواكب[٤]، ولما ذهبت الشمس من برج الحمل، وكان زحل والمشترى مع الكواكب الأخرى ، هنالك تبدلت أحوال العالم بأمر الله تعالى، وظهرت أشياء جديدة مثل تلك التى كانت مناسبة للعالم ودورانه ..[٥] وحينما أدرك ملوك العجم ذلك الوقت علموا ذلك اليوم – تعظيمًا للشمس من ناحية ، ولأنه لم يكن فى وسع كل إنسان إدراكه من ناحية أخرى – وجعلوا ذلك اليوم عيدًا ، وأخبروا العالم حتى يعرفه الجميع، ويحفظوا ذلك التاريخ، وهكذا يقولون إن كيو مرث جعل هذا اليوم بداية للتاريخ ، ولما أتمت الشمس دورتها فى ثلاثمائة وخمسة وستين يومًا، قسم السنة الشمسية إلى اثنى عشر قسمًا، وكل قسم فيها ثلاثون يومًا ، وجعل لكل واحد منها اسمًا ، وناطه بملاك من تلك الملائكة الاثنى عشر التى وكلها الله تعالى بالعالم ، ثم سمى الدورة الكبرى – التى هى ثلاثمائة وخمسة وستون يومًا وربع يوم وليلة بالسنة الكبرى ، وقسمها أربعة أقسام، وحينما تنقضى تلك الأقسام الأربعة يكون النوروز الكبير ، وتتجدد أحوال

العالم ، وواجب على الملوك إقامة شرائع ورسوم الملوك من أجل البركة ومن أجل التاريخ والابتهاج بأول العام ، إذ إن كل من يحتفل بيوم النوروز ويصله بالسرور يقضى عمره فى البهجة والفرح إلى النوروز المقبل، وقد قام الحكماء بهذه التجربة من أجل الملوك .

أسماء الأشهر(٦):

فروردين ماه : معناها باللغة البهلوية : الشهر الذى يبدأ فيه نمو النبات ، وهذا الشهر من شهور برج الحمل ، وفيه تكون الشمس من أوله لآخره فى هذا البرج .(٧)
اردبهست ماه : سموه اردبهشت لأن الدنيا تبدو فيه نضرة مثل الجنة و "ارد" باللغة البلهويه معناها " مانند " أى "مثل " وتكون الشمس فيه فى الجهة اليمنى من برج الثور وهو وسط الربيع(٨) .

خردادماه : يعنى ذلك الشهر الذى يعطى الطعام للناس من قمح وشعير وفاكهة ، وتكون الشمس فى هذا الشهر فى برج الجوزاء(٩) .

تيرماه : يسمون هذا الشهر " تيرماه " لأنهم يقسمون الشعير والقمح والأشياء الأخرى فيه ، ويأخذ سهم الشمس فى النزول من أعلى ، وتكون الشمس فيه فى برج السرطان، وهو أول شهر من فصل الصيف(١٠) .

مردادماه : يعنى أن الأرض أعطت ثمارها من الفواكه والثمار التى تنضج فى هذا الشهر، ويكون الجو فيه مثل غبار التراب، والشمس تكون فيه فى برج الأسد(١١) .

شهر يورماه : بسمى بذلك لأن كلمة " ريو " معناها " الدخل " أى أنه شهر دخل الملوك ، وفيه يسهل للفلاحين أداء الخراج ، وتكون الشمس فيه فى برج السنبلة، وهو آخر الصيف(١٢) .

مهرماه : يسمونه شهر مهر أى" شهر " العطف والمحبة ، لأنه شهر يعطف فيه الناس بعضهم على بعض ، إذ إنهم يعطون كل شخص نصيبه من كل ما نضج من الغلة والفاكهة ، ويأكلون معًا ، وتكون الشمس فى هذا الشهر فى برج الميزان ، وهو بداية الخريف(١٣) .

آبان ماه : يعنى أن المياه تزيد فيه بفعل الأمطار، التى تبدأ فى السقوط، فيأخذ الناس الماء للزراعة وتكون الشمس فيه فى برج العقرب(١٤) .

آذرماه : باللغة البهلويه " آذر" بمعنى النار ويبرد الجو فى هذا الشهر، فيحتاج الناس للنار ، أى أنه شهر النار ، وتكون الشمس فيه فى برج القوس(١٥) .

دى ماه : فى اللغة البهلوية "دى" بمعنى " ديو " أى : " الشيطان " ، ويسمونه هكذا لأنه شهر جفاف تقل فيه خيرات الأرض ، والشمس تكون فيه فى برج الجدى وهو أول الشتاء(١٦) .

بهمن ماه : يعنى أن هذا الشهر مشبه لذاك ، أى أنه شبيه بشهر، " دى " فى البرودة واليبوسة ، وهو منطو فى زاوية ، ويكون سهم الشمس فيه فى خانة زحل فى برج الدلو ومتصلة بالجدى(١٧) .

اسفندارمذماه : يطلق اسم اسفندارمذ على هذا الشهر لأن اسفند فى اللغة البهلوية بمعنى : " ميوه " أى " الفاكهة " والمقصود أن الفواكه والنباتات تأخذ فى الظهور فى هذا الشهر، وتصل نوبة الشمس فيه إلى آخر البروج ببرج الحوت(١٨) .

قسم كيومرث هذه السنة بهذا الشكل إلى اثنى عشر قسمًا ، وأوجد بداية التاريخ، وعاش بعد ذلك أربعين سنة(١٩) ، ولما توفى خلفه هوشنك ، وحكم مدة تسعمائة وسبعين سنه ، فأخضع الشياطين ، وأوجد صناعات الحدادة والنجارة والنسيج ، واستخرج العسل من النحل، والحرير من القز، وأسعد الدنيا وخرج منها بشهرة طيبة ، وحكم من بعده "طهمورث" مدة ثلاثين سنة ، وأخضع الشياطين أيضًا، وشق الطرق، وأقام الأسواق ، ونسج الحرير والصوف ، وخرج فى زمانه رهبان بوذاسب(٢٠) ، وجاء

بدين الصابئة ، وآمن به "طهمورث"، وعقد الزُّنَّار وعبد الشمس ، وعلم الناس الكتابة، وسموه "طهمورث مقيد الشياطين" ، وآل الملك من بعده لأخيه جمشيد، ومنذ هذا التاريخ كانت قد مضت ألف وأربعون سنة ، وتحولت الشمس فى أول يوم إلى فروردين، وجاءت إلى البرج التاسع(٢١)، وحين مضى من حكم جمشيد أربعمائة وواحد وعشرون سنه، تم هذا الدور، وعادت الشمس إلى فروردين بأول برج الحمل، فاستتبت الدنيا له ، وخضعت له الشياطين ، وأمرهم فبنوا الحمام ونسجوا الديباج ،وكانوا يسمون الديباج " نسيج الشيطان " أما الآدميون فقد أوصلوا هذه الصناعة إلى حيث ترى من العقل والتجربة .. كما أوقعوا الحمار على الفرس فكان البغل، واستخرج الجواهر من المناجم، وصنع السلاح وأدوات الزينة، واستخرج الذهب، والفضة، والنحاس، والقصدير، والرصاص من المناجم ، وصنع العرش، والتاج، والسوار، والطوق، والخاتم، وحصل على المسك، والعنبر، والكافور، والزعفران، والعود، وأنواع الطيب الأخرى . ثم فى هذا اليوم الذى ذكرناه أقام العيد وأطلق عليه اسم النوروز، وأمر الناس بالاحتفال بهذا اليوم كل سنه عند حلول فروردين ، وأن يعدوه يومًا جديدًا إلى أن يحين الدور الكبير، ويكون النوروز حقيقة . وكان جمشيد فى أول حكمه ملكًا عادلاً يخشى الله، وكان العالمون يحبونه، ويسعدون به ، ومنحه الله العظمة ، كما منحه مجدًا وعقلاً . فقد ابتدع عدة أشياء ، وزين العالمين بالذهب، والجواهر، والديباج، والعطر، والدواب، وحين مضى من ملكه أربعمائة سنة ونيف ، وجد الشيطان إليه سبيلاً ، وحبب الدنيا إلى قلبه، " اللهم لا تجعل الدنيا حلوه فى قلب إنسان "، واغتر بنفسه وتعالى وتجبر، وأخذ يدخر المال من ثروات الناس، وضاق به العالمون، وكانوا يتضرعون إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً أن يزيل ملكه ، فزايله المجد الإلهى ، وصارت كل تدابيره خاطئة، فظهر بيوراسب – الذى كانوا يسمونه الضحاك – فى ناحية وأغار عليه، ولم يساعده الناس، لأنهم كانوا فى ضيق وألم منة، فهرب إلى الهند، وجلس بيوراسب على العرش، وقبض عليه فى النهاية وشطره نصفين ، وحكم بيوراسب ألف سنة كان فى أولها عادلاً، وفى آخرها ظالمًا ، وانحرف عن الصراط باتباعه قول الشيطان وأفعاله ، فكان يعذب الناس إلى أن

جاء أفريدون من الهند[٢٢] وقتله، وجلس على العرش .وكان أفريدون من سلالة جمشيد، وحكم خمسمائة سنة . وحين مضت من حكمه مائة وأربع وستون سنه، تم الدور الثانى من تاريخ كيومرث . وكان مؤمنًا بدين إبراهيم عليه السلام[٢٣] ، وأخضع الفيل، والأسد، والنمر، وأقام الخيمة، والإيوان ، وأدخل البذور، والأشجار المثمرة، والنبات، والمياه الجارية فى العمارة. كما أضاف إلى نباتات البستان الترنج، والنارنج، والخيار، والليمون، والورد، والبنفسج، والنرجس، والنيلوفر، وما شابه ذلك، كما استحدث المهرجان، واتخذ من اليوم الذى قبض فيه على الضحاك، واستقر فيه الملك له عيد السذق، [٢٤] وسر لذلك الناس الذين نجوا من ظلم الضحاك وجوره .

وكانوا يحتفلون بذلك اليوم للاستبشار به، ومنذ ذلك العام حتى اليوم تحيى إيران وطوران سنة هؤلاء الملوك الأخيار، وحين وصلت الشمس إلى فرودين،[٢٥] احتفل أفريدون بذلك اليوم من جديد ، وجمع الناس من كل مكان فى الدنيا، وكتب العهد، وأمر العمال بالعدل، وقسم الملك بين أبنائه ، فأعطى التركستان من نهر جيحون حتى الصين وماجين[٢٦] إلى "تور"، وأعطى أرض الروم إلى "سلم "، وأرض إيران وعرشه إلى "إيرج"، وملوك الترك، والروم، والعجم كلهم من أصل واحد وأقرباء لبعض ، والجميع أولاد أفريدون، ويجب على الناس أن يحتفلوا بعادات الملوك لأنهم من ذريتهم، ولما انتهى عهده وعهد من أتى بعده من الملوك إلى أيام كشتاسب، وانقرض من حكم كشتاسب ثلاثون عامًا[٢٧] ظهر زرادشت ، وجاء بالدين المجوسى، فآمن بدينه، وسار على هداه . ومضى من احتفال أفريدون حتى هذا الوقت أربعون وتسعمائة سنه ، ووصلت الشمس فى نوبتها إلى برج العقرب ، وأمر كشتاسب أن يجعلوا السنة كبيسة، وجاءت الشمس إلى أول برج السرطان فى فروردين ذلك اليوم[٢٨] ، واحتفل به، وقال احفظوا هذا اليوم، واجعلوه نيروزًا ، لأن برج السرطان هو طالع العمل ، ومن السهل للزراع والفلاحين أداء حق بيت المال فى ذلك الوقت، وأمر أن يجعلوا السنة كبيسة كل مائة وعشرين حتى تستقر السنون فى مكانها، ويعرف الناس أوقات بردهم ودفئهم، واستقرت هذه القاعدة، حتى زمن الإسكندر الرومى – الذى يسمونه ذا القرنين –

وحتى هذا الوقت لم يجعلوا السنة كبيسة، وكان الناس يسيرون على ذلك إلى أيام أردشيربابكان، الذى جعلها كبيسة، وأقام احتفالاً كبيراً، وكتب عهداً، وسمى ذلك اليوم "بالنوروز"، وساروا على هذه الطريقة حتى أيام نوشين روان العادل، وحين أتم نوشين روان بناء إيوان المدائن احتفل بالنوروز ، وساروا على العادة المعهودة فى الاحتفال به ، ولم يجعل السنة كبيسة ، وأمر أن تبقى هذه القاعدة كما هى عليه حتى أول الدور، الذى تأتى فيه الشمس بأول برج السرطان، إلى أن تختفى تلك الإشارة التى أشار بها جمشيد وكيومرث ، قال ذلك ولم يكبس، وبقيت هذه القاعدة حتى أيام المأمون، الذى أمر بالرصد والاحتفال بالنوروز حين تصل الشمس إلى برج الحمل كل عام، وأقام زيج مأمونى ، وهم الآن يعملون تقويماً من هذا الزيج[٢٩] إلى أيام المتوكل على الله ، وكان له وزير اسمه محمد عبد الملك ، فقال له :"إن افتتاح الخراج يحدث فى وقت لا محصول فيه ، ويشح فيه المال، فيلحق بالناس الأذى ، فقد كانت عادة ملوك العجم أن يجعلوا السنة كبيسة، حتى ترجع إلى مكانها، وتقل متاعب الناس ، ويصبح ميسوراً لديهم أداء الخراج "، واستجاب المتوكل لذلك، وأمر بجعل السنة كبيسة، وأرجعت الشمس ثانية من برج السرطان إلى فروردين، واستراح الناس . وبقيت هذه العادة .. وبعد ذلك جعل خلف بن أحمد أمير سيستان السنة كبيسة مرة أخرى، وقد اختلفت الآن ستة عشر يوماً عن ذلك الوقت، ولما أطلعوا السلطان معين الدين ملكشاه[٣٠] أنار الله برهانه – علماً – بهذه الحال ، أمر أن يجعلوا السنة كبيسة، ويعيدوها إلى مكانها، فأحضروا علماء العصر من خراسان، ووضعوا كل آلة تلزم للرصد من جدار[٣١] وذات حلق[٣٢] وما شابهها . وحولوا النوروز إلى فروردين[٣٣]، ولكن الزمان لم يمهل الملك، ولم تتم الكبيسة.

هذه هى حقيقة النوروز ، وما وجدناه فى كتب المتقدمين، وسمعناه من مقالات العلماء، والآن نذكر تقاليد بعض ملوك العجم على سبيل الاختصار .. ثم نعود إلى شرح النوروز بالتفصيل بعون الله وحسن توفيقه ...

في عادات ملوك العجم

كان لملوك العجم ترتيب في وضع المائدة وضعًا منسقًا، يتمشى مع جميع العصور[٢٤] ، وحينما جاء دورًا لخلفاء في الحكم - وخاصة خلفاء العباسيين - بالغوا في إعداد المائدة إلى حد لا يمكن وصفه . فقد كان خلفاء بني العباس يصنعون أنواعًا مختلفة من الحساء، والشواء، والحلوى المختلفة الأنواع وفقاع الجزر[٢٥] ولم تكن هذه الأشياء تصنع قبلهم ..

وأغلب الحلوى الجميلة مثل الهاشمي، والصابوني[٢٦] واللوزينج[٢٧]، وألوان أخرى من الحساء والأطعمة النافعة، ابتكرها كلها خلفاء بني العباس، وكانت كل هذه العادات الطيبة ترجع إلى علو همتهم ... وكان من عادات ملوك العجم الأخرى الاهتمام العظيم بالعدل، والعمارة، وتعلم العلوم، واتباع الحكمة، واحترام العلماء، ومن عاداتهم أنهم كانوا يبثون أصحاب الأخبار (العيون) في كل مدينة وولاية في المملكة، ليوافوا الملك بكل ما يحدث بين الناس في هذه الأنحاء، ليصدر أوامره بناء على ذلك، ولما كان الحال على هذا المنوال كانت يد الظلم قصيرة ، ولم يظلم العمال أحدا، ولم يغتصبوا ولو درهمًا واحدًا من أي شخص ، ولم يقدروا على طلب شيء - خارج القانون والقاعدة - من أي من الرعية . وكانت ممتلكات الناس، وأعراضهم، وأولادهم في حفظ ومأمن، وكان كل شخص[٢٨] - خوفًا من السلطان - مشغولاً بعمله وكسب معيشته، ومن عاداتهم أيضًا أنهم لم يكونوا يستردون شيئًا منحوه للحشم ، فكانوا يوصلون الرواتب وفقًا للعادة المتبعة في العام والشهر ، وإذا مات شخص وكان له ابن، وكان هذا الابن خليقًا بالقيام بعمل والده، فإنه كان يأخذ نفس عطاء أبيه، ومما ذكر عنهم من عادات أنهم كانوا حريصين على إنشاء العمارات العظيمة، وكان كل ملك يتسنم عرش السلطنة يفتش ليلاً ونهارًا عن مكان طيب الهواء ليقيم فيه مدينة كي يخلد اسمه في العالم بتعمير المملكة، وكان من عادة ملوك الفرس والروم الذين كانوا من سلالة أفريدون، أنه إذا شرع أحدهم في تشييد بناء ضخم أو مدينة أو قرية أو رباط أو قلعة أو شق نهر ولم يكتمل هذا العمل ، فإن ابنه أو خليفته الذي يعقبه على عرش المملكة

حينما تستتب له أمور الحكم، فإنه لا يسعى إلى إتمام أى عمل بادئ ذى بدء إلا إذا أتم ما بدأه الحاكم الذى سبقه .. أى أنه يريد بذلك أن تعلم الدنيا بأسرها بأنه هو أيضًا راغب فى تعمير المملكة، أما إذا كان الحاكم ابن الملك ، فإنه كان أكثر حرصًا على إتمام هذا العمل من سواه لأسباب عدة، منها أنه كان يقول إنه فريضة على الابن أن يتم ما تركه والده ناقصًا ، وقد صار لى عرش أبى فأنا أجدر بهذا .. ثم كان يقول : [٣٩] إن والدى قد أقام هذا العمل إما لتعمير الدنيا أو من قبيل علو الهمة وحسن الذكر، أو تقربًا إلى الله تعالى ، أو للنزهة والسعادة .. أما أنا بدورى فينبغى علىَّ أن أعمر المملكة ، وهمتى عاليه، وأرغب فى رضاء الله وكرمه، وأعشق التنزه، وأحب البهجة، وبناء على ذلك فإنه كان يصدر أوامره بإتمام هذا العمل البناء، ويقف فى سبيل ذلك موقف الجد، حتى يتم تلك المدينة وذلك البناء ، فإذا لم يتم على يديه، فإنه كان يتم على يدى خلفه ...... وكان الناس يباركون هذا الملك ويعظمونه، ويرددون : لقد أتم الله البناء على يديه " ... ومثال ذلك أن إيوان كسرى الذى وضع أساسه شابور ذو الأكتاف فى المدائن توالى على إتمام بنائه بضعة ملوك، حتى تم على يدى أنوشروان العادل، وكذلك جسر أنديمشك[٤٠] وأمثال هذا كثيرة، ومن عاداتهم كذلك أن أى شخص يحمل إليهم شيئًا أو يغنى أمامهم مطربًا ، أو يتحدث حديثًا جميلاً فى معان يستحسنونها ، قالوا : زه " يعنى " أحسنت "، وكلما جرت " أحسنت " على لسان الملك منح ذلك الشخص من الخزينة ألف درهم ، وكانوا يقدرون الكلام الجميل[٤١]، ثم إنه كان من عادة ملوك العجم أنهم كانوا يعفون عن المذنبين إلا عن ثلاثة : أحدهم ذلك الذى يفشى الأسرار ، والثانى : الذى يسب الله ، والثالث : الذى لا ينفذ الأمر فى الحال ويستهين به، وكانوا يقولون إن كل من لا يحفظ سر الملك لا يعتمد عليه ، وكل من سب الله كافر، وكل من لا ينفذ أوامر السلطان يعد متحديًا له ومخالفًا إياه، وهؤلاء الثلاثة يعاقبون فى الحال[٤٢]، وكانوا يقولون إن ما لدى الملوك من نعم الدنيا موجود لدى الآخرين ، والفرق بين الملوك والآخرين هو الحكم ونفوذ الأمر[٤٣]، فإذا كان الملك غير مطاع أمره، فما الفرق بينه وبين الآخرين ، وكذلك كانوا يقيمون فى الصحراء، وأماكن نزول البوادى المنازل، والأربطة، ويحفرون الآبار ، ويحرسون الطرق من

اللصوص والمفسدين، وكانوا يقررون لكل شخص رسمًا ومعيشة يوصلونها إليه دون طلب ، وإذا أراد أى من العمال أن يزيد شيئًا على الولاية أو القرية مخالفًا فى ذلك القانون ، لم يعط له ذلك العمل ، بل يعاقب على ذلك حتى لا يطمع أحد فى ذلك، ويأخذ زيادة من الناس ويخرب الملك .. وعندما يقوم أحد الخدم بأداء واجبه خير قيام يغدقون عليه فى الحال على قدر خدمته، لكى يكون الآخرون حريصين على أداء الخدمة أداءً حسنًا، وإذا ارتكب شخص ذنبًا أو جرمًا فإنهم لا يسرعون فى عقابه رعاية لحق الخدمة ، ولكنهم يرسلونه إلى السجن ، فإذا تشفع فيه أحد عفوا عنه ..

ومن هذه المعانى الكثير .. إذا ذكرناها جميعًا طال بنا المقال .. وهذا المقدار يكفى . ولنعد الآن إلى ذكر نوروزنامه هدف هذا الكتاب .

***

قدوم رأس الموابذة بهدية النوروز

كانت عادة ملوك العجم من عهد كيخسرو حتى زمان الملك يزدجرد آخر ملوك العجم أن أول شخص من الغرباء يدخل على الملك يوم النوروز هو رأس الموابذة ومعه كأس ذهبية مليئة بالخمر، ودرهم، ودينار ملكى ، وحزمه من الشعير الأخضر ، وسيف، وسهم، وقوس، ودواة، وقلم، وحصان ، وصقر، وغلام مليح ، ثم يدعو له ويثنى عليه باللغة الفارسية بعباراتهم .. وحين يفرغ رأس الموابذة من الثناء والدعاء، كان يدخل كبراء الدولة، ويقدمون الخدمات ..

مديح رأس الموابذة للملك بعباراتهم

أيها الملك فى عيد فروردين بشهر فروردين أشكر(٤٤) الله والدين الكيانى ، ليمنحك ملاك الوحى المعرفة، والبصيرة، والخبرة ، ولتعيش طويلاً(٤٥) بالخلق الطيب (٤٦) .

واستعد على عرش الذهب ، وارع سنه أجدادك فى علو الهمة، والإحساس، ورياضة العدل، والصدق ، ولتبق شابًا[٤٧] وشبابك نضرًا مثل الشعير الأخضر ، وليكن جوادك موفقًا، ومظفرًا، وسيفك براقًا وماضيًا على الأعداء، وصقرك قانصًا ومباركًا فى الصيد، وأمرك مستقيمًا كالسهم ، وافتح بلدًا جديدًا ، ولتبق على العرش مع الدرهم والدينار، وليكن الفنان والعالم لديك مكرمين ، والدرهم ذليلاً ، وسراياك عامرة، وحياتك مديدة، وبعد أن يتلو خطابه، يتذوق الكأس، ثم يعطيه للملك ، ويضع حزمة الشعير الأخضر فى اليد الأخرى ، والدينار والدرهم أمام عرشه ، وكان يريد بذلك أن يبقى موفقًا كل من يقع نظره من العظماء على هذه الأشياء فى اليوم الجديد والسنه الجديدة ، وأن يكون مباركًا عليهم، لأن سعادة العالم وعمرانه تكون بهذه الأشياء التى أتى بها للملك .

فى ذكر الذهب والفضة وما يجلبانه من سعادة

الذهب إكسير الشمس، والفضة إكسير القمر ، وكان جمشيد أول من استخرج الذهب والفضة من المنجم، وبعد استخراجها، أمر فجعلوا الذهب مستديرًا مثل قرص الشمس، ومهروا الوجهين بصورة الشمس، وقالوا " هذا سلطان الناس فى الأرض مثل الشمس فى كبد السماء "، وجعلوا الفضة مثل قرص القمر ، وختموا الوجهين بصورة القمر، وقالوا إن هذا سيد الناس فى الأرض مثله مثل القمر فى السماء .. والذهب – الذى هو رب الكيمياء – سموه : شمس نهار الجد، يعنى : " شمس يوم البخت "، وسموا الفضة " قمر ليل الجد "، يعنى " قمر ليلة البخت "، وسمو، اللؤلؤ : كوب سماء الغنى أى : " نجم سماء الثراء ".. وسماه جماعة من الأذكياء نار شتاء الفقر " يعنى : " نار شتاء الفقراء " وسماه جماعة "مح مح "[٤٨] أى " بهجة قلوب الآلهة " .. وسماه فريق : نرجس روضه الملك، كما أسماه فريق آخر " قرة عين الدين ".. وقد جعلوا شرف " مكانة " الذهب على الجواهر المنصهرة كشرف الإنسان على سائر الحيوان .. ومن خواص الذهب أن رؤيته تضىء العين ، وتسعد القلب .. وله خاصية أخرى، وهى

أنه يجعل الرجل شجاعًا وينمى العلم .. وثالثًا أنه يزيد حسن الوجه، ويحفظ الشباب نضراً، ويؤخر الشيخوخة، ورابعًا أنه يزيد رفاهية العيش، ويكون عزيزاً فى أعين الناس. وملوك العجم – لتعظيمهم الذهب – لم يكونوا يعطون شيئين من الذهب لشخص واحد ،أحدهما الكأس والآخر الركاب ..[٤٩] " ومن خواصه الأخرى ذكروا أنه إذا سقى طفل صغير اللبن بوعاء ذهبى فإنه يحسن الحديث، ويصير محبباً إلى قلوب الناس ، وينمو مكتمل الرجولة آمنًا من مرض الصرع، ولايتفزز أثناء النوم . وإذا كحلوا عينه بمرود ذهبى فإنه يكون آمنًا من العشى الليلى، ومن سيلان الدموع وتزداد قوة إبصاره، وإذا لفوا قدمه بخلاخل ذهبية فإنه يكون أكثر شجاعة وأسعد حظاً فى الصيد، وكل جراحة تجرى بالذهب تشفى بسرعة، ولكن لا تلتئم، ومن أجل ذلك تثقب نساء العظماء آذان بناتهن وأبنائهن بدبوس ذهبى، حتى "لا تنسد" ثانية، وشرب الماء من كوز ذهبى يأمن شاربه من الاستسقاء، ويسعد القلب ، ولهذا السبب فإن الأطباء يضيفون إلى المفرح[٥٠] الذهب، والفضة، واللؤلؤ، والعود، والمسك، والحرير[٥١] على أساس أن كل ضعف يصيب القلب من غم وفكر يمكن إزالته بجواهر الذهب والفضة .

وأما ما يحدث من الانقباض فيمكن علاجه بالمسك، والعود، والحرير. وأما ما يحدث بسبب غلبة الدم فإنه يعالج بالكهرباء والند،[٥٢] وأما ما يحدث من غلط الدم فعلاجه استعمال الحرير واللؤلؤ ...

" فى علامة الكنوز "

كل أرض بها كنز ودفينة، لا يثبت الثلج عليها وينوب، ومن علامات الكنز أن الأرض حين تخرب، وتبقى دون زراعة، وينمو الريحان، بها يعرف أن بها كنزاً ، وحين يرون عود سمسم أو فرع باذنجان فى سفح جبلى بعيداً عن العمران يعرفون أن هنا كنزاً ، وحين تكون الأرض مالحة، وعليها مقدار من التراب الناعم يكفى لنوم الثور فيه ، أو طين يصلح للختم، يعلمون أن هناك كنزاً، وحين يرون حشداً من النسور فى مكان لا جيفة فيه يعرفون أن به كنزاً ، وحين يسقط المطر ويتجمع الماء فوق قطعة من الأرض

ليس بها حفرة يعرفون أن هناك دفينة، وإذا رأوا مكانًا فى فصل الشتاء لا يثبت فيه الثلج ويذوب بسرعة ويكون فى الأماكن الأخرى باق على حاله، يعرفون أن هنالك كنزًا .. وحين يرون حجرًا سال عليه الزيت ، ولا يعلق به ما ينزل عليه من المطر والماء ، ولا يقبل البلل، يعرفون أن به دفينة، وإذا ماراوا طائرى التذرج والدراج يحطان فى مكان واحد ويلعبان ، أو رأوا النحل فى غير أوانه وقد تجمع فى موضع ،أو رأوا شجرة – من مجموع فروعها فرع منفصل يأخذ اتجاهًا مغايرًا لباقى الأفرع، وربما عن جميع الأغصان – يدركون أن هنا كنزًا، وكل من يدفن ذهبًا تحت الأرض دون أن يضعه فى قدر فخارى أو شىء نحاسى أو إبريق زجاجى، فإذا عاد إليه بعد بسنة ولم يجده ، فقد يخال أن أحدًا سرقه .. فى حين أنه لم يسرق ، وإنما تسلل تحت الأرض لأن الذهب ثقيل الوزن ، وكل يوم يزداد غوصًا حتى يصل إلى الماء .

ونذكر حكايات قليلة عن قوة الذهب[٥٢].

حكاية : ذات يوم استدعى أنوشروان فى حديقة المنزل حجامًا، ليحلق له شعره ، فلما وضع الحجام يده على رأس كسرى، قال يامولاى : زوجنى ابنتك كى أريح قلبك من ناحية قيصر .. فقال كسرى فى نفسه : ماذا يقول هذا الحقير ! وتعجب من قوله هذا .. إلا أنه لم يستطع أن يتكلم خوفًا من الشفرة التى كانت فى يد الحجام ..

فأجابه : سأفعل هذا على أن تبدأ بقص شعرى .. فلما قص شعره وانصرف ، طلب كسرى بذرجمهر وشرح له ما حدث : فأمر بذرجمهر أن يحضروا الحجام وقال له: ماذا قلت لمولانا حين كنت تقوم بقص شعره ، قال : لم أقل شيئًا ، فأمر بذرجمهر أن يحفر ذلك الموضع الذى كان يقف عليه الحجام أثناء قيامه بقص شعر كسرى ، فوجدوا من المال ما لا حصر له، فقال يامولاى : إن ذلك الكلام الذى قاله الحجام لك لم يقله هو بل قاله هذا المال، ذلك لأنه كان يضع يده على رأس مولانا فى حين كان يضع قدمه فوق هذا الكنز ، ويقولون فى العربية هذا المثل : " من يَرَ المال تحت قدميه يسأل الحاجة فوق قدره " .

حكاية : رفعوا إلى فناخسرو[٥٤] هذا الخبر : أن رجلاً فى آمل اشترى قطعة أرض خربه، وجعلها مزرعة أرز ، وأصبحت تنبت أرزًا لا مثيل له فى أى مكان ، ويأخذ منها ناتجًا قدره ألف دينار سنويًا، فاشترى فناخسرو تلك الأرض بما قيموها به من ثمن ، وأمر أن تحفر، فوجدوا فيها أربعين دنًا مليئًا بالدنانير الملكية .. وقال : إن قوة هذا الكنز هى التى تجعل مزرعة الأرز بهذا القدر .

حكاية : سمعت من صديق لى كنت أثق بقوله إنه كان ببخارى امرأة مجنونة، كان النساء يطلبنها ويمزحن ويلعبن معها ، وكن يضحكن من كلامها ، وذات يوم ألبسوها ملابس ديباجية فى بيت، وزينوها بحلى من الذهب والجواهر .. وقلن لها : سنزوجك، فلما نظرت المرأة إلى ذلك الذهب والجواهر، ورأت جسمها مزينًا ، بدأت تتكلم فى تعقل واتزان، حتى خيل للناس أنها شفيت من جنونها، فما أن فصلوا عنها الذهب حتى عاد الجنون إليها، ويقولون إن العظماء حينما كانوا يريدون مقاربة امرأة أو جارية فإنهم كانوا يتمنطقون بنطاق ذهبى ، وكانوا يأمرون المرأة بأن تتزين، وكانوا يقولون إن المرأة حين تفعل هذا، يأتى وليدها حسن الوجه شجاعًا عاقلاً ومحببًا عند الناس، وحينما تضع المرأة ولدًا معافىً كانت تهز الذهب والفضة على مهده، وكانوا يقولون : إن رب الناس هما هذان .

***

ذكر الخاتم وما يجب بشأنه

الخاتم زينة فائقة الجمال وضرورية للإصبع، وقد قال العظماء إنه ليس من المروءة ألا يمتلك العظماء الخاتم، وكان جمشيد أول إنسان صنع الخاتم ولبسه فى إصبعه .

وكذلك قالوا : إن إصبع العظماء بلا خاتم كالخاصرة[٥٥] بلا نطاق . والخاتم فى الإصبع ضرورة كضرورة العلم للخاصرة[٥٦] ، فالخاصرة تبدو أجمل بالنطاق، والخاتم فى إصبع العظماء ينبئ عن تمام المروءة، وسداد الرأى، وقوة العزيمة ، لأن كل ذى

مروءة تامة لا يحرم نفسه من الخاتم، ومن لديه عزيمة صادقة لا يكون بغير خاتم لأن كتاب العظماء غير المهور دليل على ضعف الرأى وخوار العزيمة .

والخزانة بلا خاتم تكون دليلاً على الذلة والغفلة، ومن ذلك أن سليمان لما أضاع خاتمه ذهب الملك عنه، وكان الشرف للاسم[٥٧] الذى عليه لا للخاتم .

وقد لبس صلى الله عليه وسلم خاتماً فى إصبعه . وكان يمهر الرسائل التى يرسلها إلى كل ناحية بالخاتم، وكان سبب ذلك أن رسالته وصلت غير ممهورة إلى إبرويز ، فغضب إبرويز من ذلك ولم يقرأ الرسالة ومزقها ، وقال إن الرسالة بلا ختم كالرأس بلا عمرة والرأس الحاسر لا تليق بالمجلس، وحين تكون الرسالة غير مختومة يقرؤها كل من يشاء، وحين تكون مختومة يقرؤها من أرسلتها إليه، وقد قال الحكماء إن السيف والقلم كليهما خادمان لخاتم الملك ،لأنهما يستوليان على الملك، ويقومانه تحت حكم خاتم الملك ، وإذا لم يرد فلا يصلان إليه، وكل ما يكون للناس من زينه تجوز للناس فى وقت، ولا تناسب فى وقت آخر ، إلا زينة الخاتم وينبغى ألا يكونوا بدونه فى أى وقت ، إذ إنه زينة الإصبع الذين يأخذون به على أنه الواحد الدال على وحدانية الله تعالى، وزينة الخاتم كالكرامة ، وهى كذلك تشبه المبارز الذى يظهر المهارة، فيدنو بذلك من العظمة التى تجعل له كرامة، ويتميز عن أقرانه الآخرين بتلك الكرامة ، ويطوق رقبته بطوق ذهبى، أو يعطى نطاقاً ذهبيًا ليتمنطق به لأنه قد أبدى مهارة .. وأنواع الخاتم كثيرة ، لكنه لا يليق للملوك إلا نوعين من الفصوص : الأول الياقوت وهو من الجواهر الذى جاء من نصيب الشمس ، وملك الجواهر التى لا تنصهر، وفضيلته أن له شعاعًا، ولا تؤثر فيه النار، ويقطع جميع الأحجار عدا الماس، ومن خواصه أيضًا أنه يدفع الوباء ومضرة العطش، وجاء فى الخبر أن الرسول عليه السلام عندما كان بالمدينة وأراد غزوة الخندق ، كان قد حل بالمدينة وباء ، وكان للمصطفى عليه السلام فصٌ من الياقوت تربو قيمته على ألفى دينار ... والآخر الفيروزج وهو حلو المظهر له معزة خاصة، ويبدو ذلك من اسمه وخاصيته أنه يدفع الحسد وضرر الخوف أثناء النوم، وللخاتم علامات للفأل وتفسير الرؤيا، وقالوا فى ذلك كلاماً كثيراً .فهم يفسرون رؤية

الملوك بالولاية والملك ،كما يفسرون سائر الناس بالعمل والصناعة . وفريقًا آخر بالعافية التى تكون فيهم .

حكاية : يقولون إن الإسكندر الرومى قبل أن يدور حول العالم كان يرى رؤى عجيبة، كانت تدل كلها على أن العالم سيكون له، ومن هذه الأحلام رأى حلمًا بأن كل الدنيا صارت خاتمًا واحداً، وأنه دخل فى إصبعه لكن لم يكن به فص .. وحين سأل أرسطاليس قال له : إن هذه الدنيا ستصير ملكًا لك ، ثم لن يكون متعة فيها لأن الخاتم ولاية والفص سلطان.

حكاية : يقولون إن الملك يزدكرد بن شهريار كان جالسًا ذات يوم على منصة بستان القصر، وكان بإصبعه خاتم فيروزجى ، فجاء سهم وأصاب فص الخاتم وكسره ومرق منه واستقر على الأرض، ولم يدر أحد من أين جاء السهم، وكلما بحثوا لم يظهر شىء ، فاغتم وانشغل لذلك سائلاً كيف حدث هذا ، ولما سأل حكماءه وندماءه لم يعرف أحد تأويلاً لذلك، وكل من عرف الحقيقة لم يجرؤ على الكلام، ولم تمض عدة أيام بعد ذلك حتى مات وذهب الملك من سلالته ...

حكاية : يقولون إن محمداً الأمين حين كان أميراً للمؤمنين ، كان جالسًا على حافة حوض فى البستان، وكان يدير خاتمًا من الياقوت فى إصبعه ، وكان يتمثل بهذا البيت:

نفلق هامًا من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما(٥٨)

وكان يعنى بذلك المأمون الذى كان على خلاف معه ، وفى أثناء ذلك غضب على جاريته فضربها بذلك الخاتم ، فطار فصه وسقط كلاهما فى الحوض، ومع أن أشخاصًا غاصوا وبحثوا عنه، وأفرغوا الحوض من الماء ، فإنهم لم يجدوا الفص ، ووجدوا حجراً أبيض قد استقر مكانه، ولم تمض أيام كثيرة عليه حتى جاء طاهر الأعور(٥٩) وحاربه وقتله فى نفس ذلك القصر الأبيض .

فقد قيل هذا القدر فى معنى الخاتم ..

الهامش

(١) يذكر مجتبى مينوى فى حواشى النص أن هذه العبارة ناقصة ومبهمة أيضًا ، ومن الجائز أن يكون قد سقط منها بعض الكلمات ، ويرى أن المراد من ذكرها هو بيان دورتى الشمس إحداها دورتها فى الليل، والنهار حول الأرض، مرة فى الأربع وعشرين ساعة – على ما يبدو لنا يوميًا – والأخرى الحركة السنوية، التى تطوف فيها حول منطقة البروج، وذلك فى ثلاثمائة وخمسة وستين يومًا وخمس ساعات وثمانى وأربعين دقيقة وخمس وأربعين ثانية ونصف على ما يبدو، وأما هذه الحركة السنوية فإنها لا تنطبق انطباقًا كاملاً على تلك الحركة اليومية ، وذلك لأن سير الشمس مرة واحدة فى منطقة البروج يستغرق ما يساوى ست ساعات إلا إحدى عشرة دقيقة تقريبًا ، بالإضافة إلى الثلاثمائة وخمسة وستين يومًا .

مجتبى مينوى : حواشى النص . ص ٧٩ من الكتاب .

(٢) يرى القلقشندى أن مصطلح المنجمين فى هذا الشأن، هو أن السنة تبدأ من حلول الشمس بأول نقطة من برج الحمل إلى حلولها فى آخر نقطة من برج الحوت ، ومن المنجمين من يجعلها من حلول الشمس فى أول نقطة من رأس الميزان إلى حلولها فى آخر نقطة من السنة، وأول الربيع عند حلول الشمس برج الحمل، ومدته واحد وتسعون وربع اليوم ونصف ثمن اليوم ، وأوله حلول الشمس رأس الحمل وآخر الربيع عندما تقطع الشمس برج الجوزاء .

القلقشندى : صبح الأعشى : ج ٢ / ص ٤٠١ . القاهرة ١٤٣٦ هـ .

(٣) الجملة ناقصة ومبهمة .

(٤) الجملة ناقصة، ومعناها غامض ، ويرى مينوى أن قرانات زحل والمشترى من القرانات العظمى والوسطى والصغرى ، ويعرف القران العظمى : بأنه الذى يسقط فى برج الحمل – الذى هو نقطة الاعتدال وأول البروج المثلثة النارية – حتى عودة القران إلى نفس الموضع فى مدة تسعمائة وستين سنة، وأما القران الوسطى فهو سقوط قران العلويين فى مبدأ كل مثلثة، حتى ينتقل إلى مثلثة أخرى فى مائتين وأربعين سنة، والقران الصغرى هو الذى يسقط فى كل برج، ومدته عشرون سنة، ولما كان القران الأصغر لزحل والمشترى يحدث كل ثلاثمائه وتسع عشرة سنة وأربعة عشر يومًا ، فإن ثلاثًا وسبعين مرة لقرانها يقرب من ألف وأربعمائه وخمسين سنة ، وهبوط الكواكب ضد شرفها ، وعندما يسقط نجم بمحل الهبوط، فهذا دليل على صفة أحوال منسوباته .

حواشى الناشر : ص ٨١ .

(٥) الجملة ناقصة وغامضة ويحتمل سقوط كلمات من النص .

(٦) هذا العنوان مضاف من عندي، ليتضح النص بصورة أكثر .

(٧) فروردين ماه : تسميتها باللغة البهلويه صحيحة ، لكن المعاني التي جاء بها الخيام من نوع الاشتقاق العامي البسيط والتفسير الصحيح لها على النحو التالي:

فروردين ماه ، شهر الأرواح varavartin مشتقه من الكلمة القديمة : fravartin am وهي صيغة جمع fravarti في حالة المضاف إليه ، وفرورتي هي نفسها التي يقال لها : فروهر " بمعنى الوجود الروحي والأزلي للناس، الذي يكون في مدة الحياة بمنزلة " الحارس الإلهي " ويبقى أيضاً بعد الموت .

حواشي الناشر : ص ٨٢.

(٨) أرد بهشت ماه : لم يرد في البهلوية أن " أرد " بمعنى " مانند " وأن "ريو" بمعنى "الدخل أو العائد"، وليس " دي " بمعنى " ديو "، وليس " اسفند " بمعنى : " ميوه " .. ومع هذا فليس على الخيام من حرج، إذ ربما أنه قد نقل هذه المسميات من مكان ما، وهذا هو التفسير الصحيح والتوضيح الدقيق لهذه الأسماء : أرد بهشت ماه vart-vuhist اشتقت أرد بهشت من كلمة فارسية قديمة بمعنى أفضل الحقيقة، وهو موسوم باسم أحد الملائكة .. حواشي الناشر ، ص : ٨٤ ، ٨٣ .

(٩) خرداد ماه : في الأوستا Haurvatat بمعنى : السلامة والكمال ، وهو موسوم باسم أحد الملائكة الستة، حواشي الناشر : ص ٨٢ .

(١٠) تيرماه : ينسب هذا الشهر إلى اسم أحد ملائكة الدرجة الثانية ، وتير مشتقة من الكلمة الأوستائيه Tishtrya ، وهو اسم نجم الشعرى اليماني ، وتير علاوة على ذلك اسم كوكب عطارد .

(١١) مردادماه : Amurdat من الكلمة الأوستائيه بمعنى " الحياة " وهي مشتقة من اسم أحد الملائكة .

(١٢) شهر يورماه : مشتقه من الأوستائية بمعنى : المملكة المطلوبة ، وهو موسوم باسم أحد الملائكة .

(١٣) مهرماه : جاءت من الكلمة الفارسية القديمة : miora وهي بمعنى النور المطلق، واسم للشمس وإله الشمس .

(١٤) أبان ماه : Apan سمي باسم " أبان " وهو الملاك الحارس للماء .

(١٥) آذرماه : سمي باسم آذر الملاك الحارس للنار .

(١٦) دى ماه : منسوب إلى أورمزد ، لأن : " دى " بمعنى " الخالق " واسم آخر لهرمزد من الكلمة الأوستائية .

(١٧) بهمن ماه : منسوب إلى اسم أحد الملائكة، " وبهمن " من الكلمة الأوستائيه : Vahumamah يعنى الأصل الطيب والوضع الطيب .

(١٨) اسفندارمذماه : spandarmat ينسب إلى اسم إله من جملة الآلهة وهو في الأوستا Spemtarmaiti وهو المظهر المقدس للقوة والسلطة .

ويلاحظ بعد ذلك أن من هذه الشهور الاثنى عشر أن شهر " دى " باسم المولى عز وجل ، وأن ستة أشهر بأسماء الملائكة الستة المقربين وهي : أرديبهشت، وخرداد ، ومرداد ، وشهريور، وبهمن ، وسفندرمذ،

وإن خمسة على اسم خمسة من الملائكة الأقل، مرتبة وهم: حماة وحفاظ القوى العلوية والسفلية، وقد صرح الخيام فى الصفحة الرابعة من النص ، السطر السادس عشر بأن هذه الشهور الاثنى عشر ترتبط باثنى عشر ملاكًا .

(حواشى هذه الأشهر منقولة من حواشى مجتبى مينوى على النص) .

(١٩) يرى ابن البلخى فى " فارس نامه " أن كيومرث حكم ثلاثين سنة فقط ، ويتفق فى ذلك مع ما جاء فى الشاهنامه " و" التنبيه والأشراف " و" تاريخ سنى ملوك الأرض " ... ابن البلخى : فارس نامه : ص ٥٦ كمبردج ١٩٢٩ م .

(٢٠) يذكر المسعودى فى " مروج الذهب" أنه ظهر فى زمان طهمورث رجل يقال له :" بوادسب "أحدث مذاهب الصابئة ، وجدد عبادة الأصنام والسجود لها وعبادة الكواكب، والصابئة – كما هو معروف فرقة من فرق النصارى وبقايا السمنيان – فى الهند والصين ، ومذاهبهم خليط من المجوسية واليهودية ..

(٢١) البرج التاسع يقصد به " برج القوس حسب ترتيب الأبراج الذى ورد فى" صبح الأعشى" .

القلقشندى : صبح الأعشى :ج٢ . ص ٢٩٨ . مصر ١٣٤٦ / ١٩٢٨ م

(٢٢) يذكر عبد الوهاب عزام – فى حديثه عن كرشاسب فى حواشى الشاهنامة – أنه هو الذى قتل الضحاك، وقد قتله بالمقمعة المعروفة، وخلص الدنيا من شروره وآثامه.

(٢٣) يذكر حمزة الأصفهانى أن إبراهيم عليه السلام ظهر فى زمان أفريدون ، لكنه لم يذكر أن أفريدون آمن بدينه. حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض . ص٤٥ .ليبرج سنة ١٨٤٤ م.

البرج التاسع : يقصد به " برج القوس" حسب ترتيب الأبراج الذى ورد فى صبح الأعشى "للقلشندى".

(٢٤) ورد فى كثير من المصادر التاريخية أن هوشنك هو الذى استحدث هذا العيد – وذلك احتفالاً بظهور النار، وتولدها من الحجارة، واحتكاكها مع بعضها، وقصة ذلك : أنه ذات يوم رأى هوشنك ثعبان هائلاً فقذفه بحجر ، فقر الثعبان ، واصطدم الحجر بآخر فظهر شرر النار من اصطكاك الحجرين ، وحينما أقبل المساء أمر الناس بأن يولدوا النار بنفس الطريقة التى جربها ، وأن يتخذوا من ذلك اليوم عيداً فصارت سنة .صادق هدايت : نيرنكستان ص١٤٥ . طهران ١٣٣٤ هـ .

(٢٥) المراد هنا أنه حين وصلت الشمس إلى اليوم التاسع عشر من شهر فروردين ، وهو يوم يحتفل به الفرس جريًا على القاعدة العامة عندهم من الاحتفال باليوم الذى يتفق اسمه مع اسم الشهر الذى يحل فيه ، فيعيدون ذلك اليوم .

(٢٦) ماجين : مأخوذة من الكلمة السنسكريتيه : " مهاجين " بمعنى مملكة الصين .سعيد نفيس : فرهنك نفيسى .

(٢٧) ورد فى " الشاهنامه " أن مدة حكم كشتاسب تسع سنين فقط . ورأى الشاهنامه هو الأرجح .

(٢٨) المقصود من هذه العبارة أن كشتاسب جعل السنة كبيسة، حين وصلت الشمس يوم عيد فروردين – وهو اليوم الذى يحتفل به الفرس على حسب عادتهم ، والذى يوافق اليوم التاسع عشر من شهر فروردين – إلى برج السرطان .

(٢٩) قال ابن خلدون فى مقدمته فى معنى الزيج : " ... ومن فروع علم الهيئه علم الأزياج ، وهى صناعة حسابية على قوانين عددية، فيما يخص كل كوكب من طريق حركته ، وما أدى إليه برهان الهيئة فى وضعه من سرعة، وبطء، واستقامة، ورجوع، وغير ذلك ، يعرَف به الكواكب فى أفلاكها لأى وقت فرض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ، ولهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والأصول فى معرفة الشهور، والأيام، والتواريخ الماضية، وأصول متقررة من معرفة الأوج والحضيض والميول، وأصناف الحركات ، واستخراج بعضها من بعض ، يضعونها فى جداول مرتبة تسهيلاً على المتعلمين، وتسمى الأزياج .. " ... ابن خلدون " المقدمة ص ٥٨٥ طبعة دار المعارف .

زيج مأمونى : أقيم هذا الزيج بأمر المأمون فى منطقة بين شماسيه بغداد وجبل قاسيون بدمشق بهدف رصد الكواكب بين سنتى (٢١٥ ، ٢١٧)، وقد أشرف على إعداده والعمل به أبوعلى يحيى بن منصور، وخالد بن عبد الملك المروزى ، وعباس بن سعيد المروزى ، وكان هؤلاء من خيرة علماء الفلك فى عصر عصر المأمون ، وقد قيدوا ما انتهوا إليه من نتائج الرصد، وسموه الرصد المأمونى، وأثبت هؤلاء المنجمون النوروز فى برج الحمل .. قدرى طوقان : تراث العرب العلمى : ص ١٣٢ ..

(٣٠) المقصود : سعيد معين الدين ملك شاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى أحد سلاطين سلاجقة العراق...

ابن خلكان . وفيات الأعيان : ج٢ : ص ٩٣ طبع مصر سنه ١٣٦٧ هـ .

(٣١) المقصود : بالجدار إحدى الآلات المستعملة فى أعمال الرصد وتسمى " اللبنة "، وهى جسم مربع مستو ، يستعلم به الميل الكلى ، إبعاد الكواكب، وعرض البلد .. قدرى طوقان : تراث العرب العلمى : ص ١٣٣ .

(٣٢) ذات الحلق : أعظم آلات الرصد هيئة ومدلولاً ، وهى عبارة عن خمس دوائر متخذة من نحاس :الأولى دائرة نصف النهار، وهى مركزة على الأرض ، ودائرة معدل النهار ، ودائرة منطقة البروج ، ودائرة العرض ، ودائرة الميل، وكذلك الميل، وكذلك الدائرة الشمسية التى يعرف بها سمت الكواكب ".....

عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم : ص ١١٩ . طبع مصر سنة ١٩٦٦ م .

(٣٣) المقصود : أنه جعل يوم النوروز يوم وصول الشمس برج الحمل فى شهر فروردين .

(٣٤) هذا الفصل شبيه بالفصل "٣٦" من"سياست نامه " لدرجة أن بعض العبارات التى وردت هذا الفصل نقلت من " سياست نامه "

(٣٥) نوع من الشراب يصنع من الشراب الأصفر ، ويشبه فى طعمه نوعًا من النبيذ ، ويستخدم أحيانًا بدل النبيذ ، وخاصة إذا ما حفظ مدة طويلة، يصبح له نفس مفعول النبيذ .. مجتبى مينوى : حواشى النص: ص ٩٠ .

(٣٦) نوع من الحلوى يصنع من عصير الفاكهة، والسكر، والزيت، والسمن، والدقيق، والفستق، ويصب بعد إعداده فى قوالب تشبه قطع الصابون ، ومن هنا جاءته هذه التسمية فى بلاد المغرب ، ويسمى فى مصر وبلاد المشرق بـ " الفالوذج ".

فرهنك عميد : طبع طهران سنة ١٣٤٣ هـ .

(٣٧) اللوزينج : نوع من الحلوى يعد باللوز، والفستق، وماء السكر، والورد، والسكر.

فرهنك عميد : طبع طهران سنة ١٣٤٣ هـ .

(٣٨) ورد هذا الموضوع فى الفصل العاشر من " سياست نامة " : حواشى الناشر ص ٩٠

(٣٩) يرجع إطناب الخيام فى الحديث عن مشروعات الملوك والمبالغة فى وصف كرمهم وعلو همتهم إلى أنه ربما كان يقصد حث الملك، الذى يعاصره على ان يسعى جاهداً إلى إتمام مشروعات سلفه ، وعلى وجه التحديد ، ربما قصد الخيام ان يحث خليفة ملك شاه السلجوقى على إتمام بناء المرصد الذى بدأه ملك شاه، ولم يتم بسبب وفاته . خاصة وأن هذا العمل يتصل بحياة الخيام ومعيشته كفلكى للملك ..

(٤٠) جسر أنديمشك : أندامش : بكسر الميم والشين : هى نقطة المدينة وسط الجبال بين لروجنديسابور ، والإصطخرى يقول إن شابور أراد أن يمد طريقًا حتى " لر" مقدار ثلاثين فرسخًا ومن لر حتى مدينة أندماش فرسخين ، ومن بل أندمش حتى جنديسابور فرسخين ويسمى الإصطخرى مدينة " بل " باسم القنطرة .... ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٢ : ص ٢٦٠ - طبع بيروت سنة ١٩٥٥ م .

(٤١) ورد نظير لهذا الكلام فى سياست نامه ص ٩٣ ،٩٤ . مينوى : حواشى النص ص ٩٢ .

(٤٢) ورد نظير لهذا الكلام فى بسياست نامه ص ٢٢ . مينوى : حواشى النص ص ٩٢ .

(٤٣) ورد نظير لهذا الكلام فى سياست نامه ص٥ . كما ورد فى قاموس نامه ص ٢٠٨ من طبعة هدايت .

(٤٤) وردت العبارة فى النص الفارسى على هذا النحو :" آزادى كزين يزدان وبين كيان " وقد ترجمتها على النحو الوارد فى النص العربى على أساس أن "آزادى " معناها:"شكر وثناء"

(٤٥) ترجمت العبارة بهذا المعنى المبين بالترجمة ، على أساس أن الخيام يعنى بـ " ديرزيو" :" ديرزى " لأن "دير" معناها :"طويل و" زى" فى حالة المضارع من المصدر " زايستن" بمعنى "يعيش" لأن"زيو" الواردة فى النص معناها : مكر أو خداع أو حيلة أو رياء .

(٤٦) العبارة فى النص الفارسى : " خوى هرير " وقد ترجمتها : " الأصيل الطيب " وذلك لأن كلمة "هرير " وردت فى برهان قاطع بمعنى :مدح، وثناء ، وطيب ، ونكاء ، وجلد، وشجاعة ، وسرور .

(٤٧) " سرسبز " وهى الأصل الفارسى للعبارة . وردت فى " برهان قاطع " كناية عن : السباب ، والنضارة ، والحياة الرغدة .

(٤٨) يذكر مجتبى مينوى أنه لم يهتد إلى معنى هذه الكلمة، وأنه لم يجد لفظًا بصورة " مح مح "، بمعنى "حرميها " أى " السعادة .. كما لم يتيسر لى أيضًا معرفة معناها .. وقد وضع الناشر أمامها فى الهامش كلمة " خرمنها " بمعنى بيدر " .

(٤٩) العبارة فى النص الفارسى غامضة، ولذا فقد ترجمتها حرفيًا . ويحتمل سقوط بعض الكلمات منها .

(٥٠) نوع من المعجون يستخدم كدواء لعلاج بعض الأمراض .

(٥١) المقصود :وضع قطع صغيرة من الحرير على هيئة قصاصات مع اللؤلؤ، والعود، والمسك، وباقى المواد التى ذكرها الخيام، ذلك لأنه عرف فى مجالات الطب أن قصاصات الحرير تضاف إلى المعاجين، فتفيد فى علاج ضعف الجسم، وعلاج كثير من الآفات والعلل التى تصيب الإنسان، وقد ورد فى " برهان قاطع " تحت كلمة إبرشيم : ما يلى : " بفتح وضم شين نقطة دار معروفست كويند مقراظ كردة ، آن در معاجين قوت باه دهد وبدن رافربه كند " ...

(٥٢) المقصود : الكهرباء : هو نوع من الصمغ يؤخذ من شجر يشبه شجر السرو ، له مفعول قوى ، إذ إن له جاذبية قوية كالكهرباء .. أما الند : فهو نوع من الأخشاب الطيبة الرائحة مثل العود، وخليط العنبر، والمسك .. ويصنع منه دواء يستخدم فى علاج ضعف القلب وإزالة كثير من الأمراض ..

(٥٣) يذكر مينوى فى تعليقة هذا الباب أنه لم يثبت علنيًا صحة ما ذكره الخيام عن علامات الكنوز ، لكن ما ذكره الخيام حول ضرورة وضع الذهب فى قدر داخل الأرض، كى لا يتسرب ، حقيقة علمية ،لأن الذهب يذوب من شدة الحرارة ، وبالتالى يتسرب ، وحفظه فى قدر ضرورة لإبقائه على حاله، لكن من المعروف أن الذهب ... ص٩٥ يبقى فى الأرض فترة طويلة دون انصهار فهذا يخالف رأى المحقق أيضًا. وهذا رأى على الأساس العلمى المعروف عن الذهب وتحمله لعناصر التربة .

(٥٤) المقصـــود : أبو شـجـا ع فـناخسـرو عضد الدولة بن ركـن الدولة حسن بن بويه.. حواشى الناشر : ص ٩٥ .

(٥٥) الكلمة فى النص الفارسى مكتوبة هكذا :"تور" بدون إعجام وقد ترجمتها على أنها تعنى "خاصرة" ليستقيم المعنى ، وذلك بقرينة ما بعدها .

(٥٦) العلم : المقصود بها "القماش " المعلم المخطط الذى يستخدم كنطاق يعقد على الوسط .

(٥٧) وضعت كلمة" اسم" مقابل كلمة "فهر " الفارسية التى تعنى "الخاتم "، حتى لا تشتبه بكلمة الخاتم العربية التى تطلق على ما يختم به وما يلبس فى الإصبع ...

(٥٨) هذا البيت من قصيدة الحصين بن الحمام المرى أحد شعراء الجاهلية ، ويقال إنه أدرك الإسلام كذلك . وقد وردت هذه القصيدة فى المفضلات، وعدد ما ورد منها واحد وأربعون بيتًا . وفى حماسة أبو تمام يتقدم هذا البيت بيتان فتصبح القصيدة ثلاثة وأربعين بيتًا .. حواشى الناشر :٩٧: ٩٨ .

(٥٩) المقصود به طاهر بن الحسين الذى ولى خرسان من قبل المأمون العباسى ٢٠٥هـ.

"ذكر نبت الشعير الأخضر وما يجب بشأنه"

كان ملوك العجم يعظمون الشعير النامى كثيراً للتفاؤل به ولمنافعه الجمة، ولأنه من الحبوب التى تناسب الغذاء دائمًا ، وهو ينمو بسرعة، ويضربون به المثل بأنه يصل من مخزن إلى مخزن فى أربعين يوماً. وأينما تُلقيه ينبت ويترعرع، أسرع من كل الحبوب.

والشعير يصلح دواءً وغذاءً ، وقد اختاره الحكماء والزهاد طعاماً لهم، وكذلك قالوا إن الدم لا يتلوث، ولا يفسد من أكله، ولا يشعر الإنسان بحاجة إلى الاستفراغ، ويكون فى مأمن من الأمراض الدموية والصفراوية ، ويسميه أطباء العراق "بالماء المبارك"، وهو ذلك الشيء، الذى ينفع لأربعة وعشرين نوعاً من الأمراض المعروفة ، ومن ذلك : السوحة،[1] وذات الحنة[2]، والحمى المطبقة، والحمى المحرقة، والسعال، والهستريا، وحمى الدق ، والمل[3] ، وضعف الكبد، والمعدة، والعطش الكاذب، ومرض الخصية، وآلام الرأس، والصدر، والجنب، والكبد، والمعدة، والتهابات الكسر، والخلع، والحرق، والنقرس، والدود، وزيت الشعير يزيل داء الصفراء[4]، وزيت القمح يزيل داء السوداء، ويضعون نخالة الشعير فى قدر ويغلونها جيداً ، والشخص الذى عنده ضعف فى عروق قدمه ولا يقدر على النهوض ، أو مفاصل القدم أو الركبة متقلصتان ، توضع قدماه فى هذا الماء حتى تشفى ، ونخالة القمح لها نفس الأثر مجربة، وفى بغداد يغلون الشعير، ويصفون ماءه، ويخلط مع الزيت والسمسم ويغلونه مرة أخرى حتى يذوب ويبقى الزيت، وهذا الزيت يدهن به ورم الصفراء، ولأجل أن يتداوى النسوة من آلام وأورام الرحم يغمسون فيه قطنة، ويستعملنها فيفيدهن فائدة عظيمة.. وهكذا يقال إنه إذا زرعوا الشعير فى ليلة خسوف القمر، وأعطوا خبزه للمجانين، فإنه يكون ذا فائدة لهم ، وإذا زرع الشعير والقمر بدر ومتجه إلى كوكب الزهرة، فإن الخيل الضامرة إذا أكلت منه

تسمن ... وخير السنة وشرها يظهران فى الشعير ، إذ حينما يستقيم الشعير ويستوى فإن ذلك يدل دائمًا على أن تلك السنة ستكون عام بسعة ورخاء، وحين ينبت ملتويًا غير مستو تكون السنة عجفاء، ويروى فى الخبر عن الرسول صلى الله على وسلم أنه قال:"نعم الرغيفان رغيفا الشعير ، فمن قنع بها وشبع فإنها خبزى وخبز غيرى من الأنبياء"[٥] ، "والنسوة العجائز يستخدمن الشعير فى التنجيم، ويتفاءلن به، ويخبرن به، عن الخير والشر، وأرباب السحر يسحرون الثؤلل به[٦] فى شهر كانون، ويلبسونه[٧] ليزول به الثؤلل ، وبعض النسوة فى شهر فروردين يملأن وعاء ذهبية بالشعير، ويزرعنه باسم بناتهن، ويضعن لبه على الرأس، فيطول الشعر.

حكاية : سمعت أنه ذات يوم مر هرمز والد خسرو بمزرعة شعير، وكانوا قد رووا الشعير بالماء ، وقد فاض الماء من المزرعة وغمر الطريق – وكان الشهر فروردين – فأمر أن يخرجوا هذا الماء من الشعير ، وأن يملأوا كوزًا منه ليشربه ، وقال إن حبوب الشعير مباركة، وشعيره طيب، والماء الذى يمر عليه ويخرج منه يقلل من الكسل ويزيل ألم المعدة ، ويأمن الإنسان من عناء الظمأ والمرض إلى العام القادم، حتى ينضج الشعير من جديد.

حكاية : ذات يوم رفعوا أمرًا لشمس المعالى قابوس بن وشمكير، أن رجلاً جاء إلى البلاط ومعه جواد عار، ويقول إنه أمسكه فى حقله ، فسأله : أكان شعيرًا أم حنطة، قال: شعيرًا ، فأمر قابوس بأن يحضروا صاحب الجواد، ويأخذوا منه مقدار قيمة الشعير وقت نضجه، ويعطونها لصاحب الأرض ، وأمر أن يقولوا لصاحب الأرض حينما يريد الفلاحون أن يجدوا الشعير عليهم أن يحرسوه فى ذلك الوقت ، وأما هذه الغرامة فقد أخذناها تأديبًا كى يرعى أصحاب الخيل جيادهم، حتى لا تدخل مزارع الناس، لأن الشعير زاد الأنبياء والعباد، هؤلاء الأشخاص الذى يستقيم بهم الدين، وهو زاد ذوات الأربع والجياد الذين يقوم بهم الملك.

حكاية : هكذا يقولون إن آدم عليه السلام أكل القمح، وخرج من الجنة ، فجعل الله تعالى القمح غذاء له ، لكنه كلما أكل منه لم يشبع ، فتضرع آدم إلى الله، فأرسل

له المولى الشعير، فصنع منه الخبز، وأكل منه وشبع ، ولذلك تفاءل به إذ رآه دائم الاخضرار، ومن ذلك الوقت بقى الشعير لدى ملوك العجم، فكانوا يطلبونه فى كل عام وقت النوروز، وذلك لفائدته وبركته...

ذكر السيف وما يجب بشأنه

السيف حارس الملك، وحافظ الأمة، وبدونه لا تقوم للملك قائمة ، فيه تحفظ حدود العقوبة، وكان الحديد أول معدن استخرج من المنجم، لأنه كان ألزم آلة للخلق. وكان جمشيد أول من صنع منه السلاح ، وكل سلاح له مكانته وضرورته ، ولكن ليس هناك ، ما هو أعلى مكانة وأكثر ضرورة من السيف ، لأنه مثل النار ذو شعاع وذو حدين[٨] ، وقال الحكماء إن الدنيا بلا حديد مثل شاب بلا ذكر، لا يأتى منه نسل مطلقًا.. وإذا نظر إلى السيف من وجهة نظر المنطق، فإن مصالح الدنيا كلها تحت الخوف والرجاء ، والأمل والخوف منوطان بالسيف ، ذلك أن هناك إنسانًا يجاهد بالحديد، ليحصل على أمله ، وآخر يهرب من الحديد حتى يصير خوفه حارسًا له، والتاج الذى يقوم على رءوس الملوك يقوم بالحديد ، وكنوزهم التى تمتلأ تحصل بالحديد، وقد ربط الله سبحانه وتعالى منفعة كل الجواهر بزينة الناس إلا منفعة الحديد، الذى يصلح لكل الصناعات، والدنيا مزدانة وعامرة به ، وأحسن مراتب السيف أنه أعطى للنبى عليه السلام آلة فتح كما قال: "بعثت بالسيف"[٩] ، "وقد سمى فى التوارة" "رب الملحمة صاحب السيف"، وهذه الآلة عرفت لها تلك المرتبة لأنها آلة الشجاعة، التى هى أعظم فضيلة فى الإنسان والحيوان، والتعريف الذى وضعوه للشجاعة هو أنها "قوة غضبيه تستعلى بها النفس على من يعاديها" وكذلك قالوا إن فضيلة الشجاعة طبيعية، وليست اكتسابًا ولكنها تجمل بالاكتساب، وقد جعلوا الشجاعة فى بيت الكبد لأنه بيت الدم، ولهذا السبب فإن الرجل الشجاع يكون أكثر جرأة عند إراقة الدم، لأن الشجاعة تقوى بالدم، كما يقوى المصباح بالزيت، وهكذا قالوا إن فاعل الشجاعة هو قوة القلب الحيوانيه، والمنفعل بها هو قوة الكبد الطبيعية ، لأنه حين تأتى الحاجة من هذين تظهر

فضيلة الشجاعة ، مثل النار التى تندلع من بين الحجر والفولاذ، لابد لها من محرقة حتى تتعلق بها.. وهكذا قالوا على إنه حين يكون جرم القلب قويًا، وجرم الكبد ضعيفًا فإنه يكون لصاحبهما فى أول الحرب حرص وشجاعة وفى آخرها جبن وضعف ، وعندما يكون جرم القلب ضعيفاً وجرم الكبد قويًا يكون لصاحبهما فى أول الحرب كسل وضعف وفى آخرها حدة وحرص، وقد مثلوا لياقة الشجاعة بالقوة الهاضمة فى المعدة والكبد ، وقالوا كما أن ضعف هذه القوة يجعل عيش الناس رديئًا لا طعم له ، فإن ضعف قوة الشجاعة أيضًا يجعل عيش الإنسان غير ملائم ولا طعم له ، ويهرب من كل شيء لأنه يكون دائم الخوف، وقد صوروا الشجاعة على مثال صورة لصيد قوى، رأسه كرأس الأسد الذى يمضغ الحديد، وقدمه مثل قدم الفيل الذى يدق الحجر ، وذنبه كرأس التنين الذى ينفث النار ، وقالوا إن الرجل الشجاع يجب أن يكون فى أول الحرب كالأسد فى الشجاعة والإقدام ، وفى وسط الحرب كالفيل فى الصبر وإظهار القوة والبأس ، وفى آخر الحرب مثل التنين فى الغضب وتحمل الألم والحمية ، والآن فإن أنواع الشجاعة التى ذكرت كلها آلتها السيف، وهو على أربعة عشر نوعًا[10] : الأول يمانى[11]، والثانى هندى[12]، والثالث قلعى[13]، والرابع بسليمانى[14]، والخامس نصيبى[15]، والسادس مريخى[16]، والسابع بسلمانى[17]، والثامن مولد[18]، والتاسع بحرى[19]، والعاشر دمشقى[20]، والحادى عشر مصرى[21]، والثانى عشر حنيفى[22]، والثالث عشر حديد مطاوع، والرابع عشر قراجورى[23]، ثم إن كل نوع من هذه الأنواع يتفرع إلى أنواع أخرى إذا ذكرناها يطول ذكرها ، ومن اليمانى هناك نوع معدنه مستو ومسطح بمقاس واحد، ولونه أخضر يضرب متنه إلى الحمرة ، وله قرب نيله علامات بيضاء إحداها تلو الأخرى، مثل الفضة يقال له غرابى ، والنوع الآخر مشطب[24]، وهذا المشطب أربعة أنواع بأربعة مجارٍ ، وأحدها ليس عميقًا كالنهر ، ومعدنه يشع مثل أرجل النملة ، والمجرى الآخر له علامات كالنهر العميق ، وجوهره مستدير مثل اللؤلؤ، ويسمونه اللؤلؤ ، والثالث مثل نهر له أربعة اتجاهات، ويتضح معدنه عند ثنيه ، والرابع سادة، وبه أثر قليل لمجرى، وطوله ثلاثة أشبار وأربعة أصابع، وعرضه أربعة أصابع ومعدنه يضرب إلى السواد، ويسمى البستانى ، والآخر لا شية فيه طوله ثلاثة أشبار ونصف، وعرضه أربعة أصابع، ووزنه منان ونصف أو ثلاثة

أمنان إلا عشرة أساتير[٢٥] .. والآخر معدن صنعه أرسطاطاليس كسلاح من أجل الإسكندر ، ونذكره أيضاً لأنه كلام بديع : فقد أمر أرسطاطاليس بأن يأخذوا جزءاً من المغنسيا مع جزء من المرجان، وجزء من الزنجار ثم يسحق الثلاثة وتخلط ببعضها البعض، ثم يأتى بمنٍ من الحديد الناعم، ويلقون عليه اثنتى عشرة أوقية من هذا المخلوط، ويحمل على النار، ويقلب ثم يوضع فى بوتقة بعد ذلك ويؤخذ جزء من الحرمل[٢٦]، وجزء مازو[٢٧]، وجزء بلوط، وجزء صدف، وكل هذا مع ذراريح[٢٨]، ويخلط وتضاف أوقيتان على منِّ الحديد، وتنفخ حتى يصير وحدة واحدة[٢٩]، ويأكلها الحديد كلها وعندئذ يبرد ويصنع منها السيوف ، فتكون السيوف نظيفة .. وقد قيل فى كتاب "سلاح بهرام" إنه حينما يسل السيف من الغمد ويأتى منه أنة يكون ذلك علامة على إراقة الدم ، وحين يسقط السيف نفسه من الغمد، فهى علامة على الحرب ، وحين يوضع السيف عارياً أمام طفل عمره أسبوع، يشب الطفل شجاعاً...

***

ذكر القوس والسهم وما يجب بشأنهما

القوس والسهم سلاحان لازمان، وتعلُّم استعمالهما أدب حسن ، وقال الرسول عليه السلام: "علموا صبيانكم الرماية والسباحة"[٣٠]، وكان كيومرث أول من صنع السهم والقوس، وكانت قوسه فى تلك الأيام من الخشب، لا تتخللها عظام، ومن قطعة واحدة، مثل قوس الحلاجين . وكان سهمه مصنوعاً من الطين ذا ثلاث ريشات وسنان من العظام ، فلما جاء آرش بن وهادان[٣١] فى عصر منوجهر، صنع القوس من خمس قطع من الخشب، ومن القصب أيضاً، وكان يثبتها فى بعضها بالغراء ، وجعل أسنتها من الحديد، فما أن وصلت الرماية إلى بهرام كور، حتى ركب فى القوس عظاماً ووضع على السهم أربع ريشات ، وكسى القوس بلحاء الشجر[٣٢]، وقد اتخذوا صورة القوس من صورة أقسام الفلك ، إذ إن أرباب العلم سموا أقسام دائرة الفلك قسياً أى

أقواسا، وهذه الخطوط التى تمتد من حافة إلى الحافة الأخرى على استقامة، سموها أوتاراً ، وهذه الخطوط، التى تمتد من وسط دائرة هذا الفلك وتمر بوسط ذلك القسم بعرضه، سموها سهاماً.. وهكذا قالوا إن كل خير وشر يصل إلى الأرض بتأثير الكواكب السيارة بتقدير الله تعالى وإرادته، ويصيب شخصاً يمر بتلك الأوتار والقسى، كما هو ظاهر فى يد الرامى ، إذ كل آفة تصيب صيده تصل من سهمه، الذى يمر بوتره وقوسه.. ومن جهة أخرى فالقوس مصور على صورة الإنسان من عرق، وعصب، وعظم، وجلد، ولحم ، ووتره يشبه روحه التى يحيا بها ، لأن القوس مادام بالوتر فهو حى بالروح، التى يجدها من الحاذق الخبير..[٣٣] وإذا نظرت فإن القوس صدر ويد الرجل ، يبسط يداً ، ويثنى ظهر اليد ، والصدر مثل القبضة ، والعضد والساعد كبيتين، واليدان زاويتان، وجعلوا وزن أكبر قوس بستمائة منٍّ ، وسموه كشكنجير[٣٤] ، وهذا يكون للقلاع وأقله يزن مناً ، ويصنعونه للصبية الصغار، وكل ما يزن أربعمائة منٍّ إلى خمسين ومائتى منٍّ يسمى "العجلة" ، وكل ما يقل عن مائتين وخمسين مناً إلى مائة منٍّ يكون "نصف عجلة".

وكل ما يقل عن مائة إلى ستين مناً، فهو من القوس الطويل . وأما مقدار قوة كل قوس فهو من أعلاها إلى أدناها موضوعة كلها على درجة الفلك، وكل درجة ستون دقيقة، وتبدأ بعقدتين – كما هو فى زاويتى القوس – حتى وسط الوتر ، ثم صاروا فى التصغير إلى ست عشرة درجة ، وكل بيت قسموه ثلاثة أقسام ، وجعلوا القبضة كالمركز، الذى لا يتحرك من موضعه ، وبها تقوم الزوايا والأقسام، والآن فى ذلك القسم الذى ينزل من الزاوية، تكون قوته ضعف قوة الزاويه ، إذ إن النزول منها وعدده أربعة عشر ، والستة عشر والثلاثون والحسن[٣٥] نصف والثلاثون الآخرة نصف أيضاً، وقسم بيتى القوس إلى ستة أقسام، لأن صورة القوس تشبه نصف دائرة، ونصف دائرة الفلك تقسم إلى ستة بروج ، وكذلك أنواع القسى : كل ما يسمى بالعجلة ثلاثة أقسام : عال، ومنخفض، ومتوسط، وكذلك أنواع سهامه ثلاثة : طويل، وقصير، ومتوسط ، فالطويل يصل إلى خمس عشرة قبضة ، والمتوسط عشر قبضات ، والقصير ثمانٍ ونصف قبضة، ولكل قوس يلزم سهام عديدة، إذا ذكرت كلها يطول الكلام . وليس

الهدف إطالة الكلام، لأن الغرض من ذكر فن السهم والقوس هو إظهار فضلهما ، ولماذا طلب ملوك العجم هذه الأشياء فى النوروز، وعن طريق علم النجوم قالوا إن أرباب القوس ورماة السهام لا يكونون فى ضيق من العيش أبداً، وكل جيش يغلب عليه التسلح بالسهم، ويمتاز أفراده بالرماية دائم النصر، والحجة فى ذلك أنه قيل إن مكان هذا السلاح هو برج القوس بطبيعة نارية ، وبيت المشترى هو السعد الأكبر ، ومثلثه برج الحمل ، والأسد بيت الشمس وشرفه فى خانة المريخ ، وعن طريق علم الطب فإن فى معرفة الرماية بالقوس عدة منافع، فالرياضة يمكن ممارستها به ، ويقوى الأعصاب والأعضاء ، ويلين المفاصل ويطوعها ويحد الحافظة ، ويقوى القلب ، ويجعل الإنسان آمنًا من أمراض السكتة، والفالج، والرعشة.

حكاية : سألوا سام بن نريمان قائلين : أيها البطل المنتصر ما هى زينة القتال؟ فأجاب نور حمد الملك[٣٦] ، وعلم القائد ذو الرأى والمبارز والحاذق ذو الدرع والمحارب بالقوس.

حكاية : يقال إن بهرام كور كان واقفًا ذات يوم لدى النعمان بن المنذر – الذى كان مربيه – فأطلق سهمين من قوس واحدة ، واصطاد بهما طائرين من الجو فقال النعمان : يابنى منذ كانت الدنيا لم يوجد مثلك رامياً ، وإلى أن تنتهى لن يكون بها من هو قرين لك.

حكاية : يقولون إن حكيمًا كان ينصح ابنه فقال : يابنى اعشق الخيل، وأعز القوس ولا تكن بغير حصار، ولا يكن حصارك بغير متراس ، فقال يا والدى : إنى أعرف الحصان والقوس ، فمن أين لى بالحصار والمتراس ، فقال " إن الحصار هو المبارز، والمتراس هو الدرع ، أى لا تكن بلا درع ما استطعت.

حكاية : يقول سيف بن ذى يزن : إنه فى ذلك اليوم الذى أرسل فيه كسرى قائداً إيرانياً[٣٧] ضرب أبرهة بن الصباح بنشابه وألقاه عن جمله، قال : تعالوا إخوانى إلى معوج مستقيم يرسل الريح وميت طائر يأخذ الروح ، وهما القوس والسهم ، وعليكم بأدبهما فإنهما حكماء الأسلحة يحاربان من القرب ويقاتلان بالبعد.

حكاية : يقولون إنه ذات يوم سأل كسرى بابك "العارض"، فقال : أى أصحاب الأسلحة أكثر شهرة؟ فقال أرباب القوس والنشاب ، فتعجب منه أنو شروان ، وأراد أن يشرح له معنى ما قاله ، فقال له كيف يجب أن يكون ذلك؟، فقال: "ذلك أن كل أجسامهم قلوب ، وكل قلوبهم سواعد، وكل سواعدهم قسى ، وكل قسيهم نشاب ، وكل نشابهم قلوب الأعداء ، قال: كيف يجب معرفة هذا المعنى؟، فقال : يجب أن يكونوا أقوياء القلوب مثل سواعدهم ، وأن تكون أوتارهم مستقيمة مشدودة كأنها قسى ، وسهامهم مستقيمة كأنها الأوتار ، فأينما كانوا فإنهم يرمون سهامهم فى قلوب أعدائهم.. قالوا هذا القدر فى معنى القوس والسهم.

***

ذكر القلم وخاصيته وما يجب بشأنه

يسمى العلماء القلم مشاطة الملك وسفير القلب ، والكلام بغير القلم مثل الروح بلا جسد، وعندما يتصل الكلام بالقلم يصير ذا جسد ويبقى إلى الأبد ، وهو مثل النار التى تتطاير من الحجر والفولاذ ، ما لم تجد حراقة لا تعلق بها ولا تكون المصباح الذى يستضاء به ، وقال الخليفة المأمون : "لله در القلم كيف يجول رأسى المملكة ، يخدم الإرادة .. وينطلق سائرًا على أرض بياضها مظلم وسوادها مضىء[٣٨] .

وكان أول من وضع الكتابة هو طهمورث ، ومهما يكن للرجل شرف المقال ، فإنه إن لم ينل شرف الكتابة يكون ناقصًا كنصف رجل ، ذلك لأن فضيلة الكتابة فضيلة عظيمة لا ترقى إليها أى فضيلة ، لأنها تصل بالإنسان من منزلة الآدمية إلى درجة الملائكية، وتصل بالشيطان من درجة الشيطانية إلى درجة الإنسانية ، والكتابة هى التى ترقى بالمرء من الدرجة الدنيا إلى الدرجة العليا ، حتى يدعى بالعالم والإمام والفقيه والمنشئ .. وهكذا يتميز الإنسان بفضيلة الكلام عن سائر الحيوانات الأخرى،

ويصبح سيداً عليها.. ودين الله عز وجل ذكره الذى يقوم قائمه ، والملكة التى تنتظم للملك قوامها القلم.

ومهما يكن إجماع الناس على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أميًا؛ فإن هذه معجزته التى كانت بها كل قوته ، لأن كل ما فعله الكتّاب وعرفوه بقوة الكتابة عمل النبى وتعلم أحسن منه.. ويعتقد بعض العلماء أننا لا نقول إنه كان عالمًا فى أى علم ، وأنه لم يكن جاهلاً فى معرفة الخط، ولكن الله تعالى قال له : "ولا تخطه بيمينك"،(٣٩) وعندئذ أمره بالكتابة، وكل الصحف التى أنزلت من السماء إلى الأرض حفظها الوحى بالقلم وأدوها به ، وقبلوها به، ويحفظون به قواعد الملك، والقانون، وقاعدة الولايات ، ويرتبونها به ، ومن فضيلة الكتابة أنه قد زين الأصبع بالخاتم والختم، ذلك أن ملوك العجم عندما رأوا أن السيف فتح الولاية، وأقام أركان السياسة ، وأن القلم قد ضبط الملك، وحفظ حد القانون ، وعمل كليهما يأتى من فن اليد ، وأن الحواس العاقله خمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس ، ومدار هذه الخمس على الرأس التى هى كالروح فى الجسد، وأمروا بالتاج، ووضعوه على الرأس ، وأمروا بالقرط وعلق فى الأذن، وأمروا بالسوار وجعلوه فى الساعد ، وأمروا بالخاتم، وجعلوه فى الإصبع ، وقالوا إن السيف يعمل بفضل وقوة الساعد ، وكان عز السوار مرضيًا له ، والقلم يجرى بقوة، ومهارة الإصبع، فأعطوه شرف الخاتم ، حتى إذا كتبت الرسالة وصورت الأسرار، يضع عليها الختم، حتى تبعد عنها عين الخونة والمخالفين ، ثم أمروا أن تطوى الرسالة بإحكام، ووضعوا عليها الختم وأخفوه تحت ستار ، حتى تكون هذه الحال علامة على رسالة ختم هذا العالم، لأن الناس هم رسالة ختم هذا العالم..."(٤٠) وذكر فى الآيات أن خالق السماء والأرض قد كتب وربط برباط الطبيعة ، وختم خواتم الأرواح بالخاتم، واصطفى الرأس بكسوة العقل ، وقد وصف العالم القلم بأنه آلة تبدو بسيطة ، سهلة الوجود ، لكن كتابتها ذات قدر ومنزلة، وعمله صعب مثل نحلة العسل ودودة القز، فهما يبدوان فى صورة حقيرة، لكن ينتج عنهما أشياء قيمة ونافعة لدى الملوك، وفيها منافع كثيرة، وقد قسموا هذه الآلة، التى ذكرت ثلاثة أنواع : أحدها المحرف الكامل(٤١)، والخط الذى يكتب بذلك القلم سموه "اللجينى"، أى الخط الفضى،

والقلم الآخر المستوى[٤٢] : والخط الذى يكتب بذلك القلم يسمونه "العسجدى"، أى الخط الذهبى، والثالث : المحرف الكامل والمستوى : والخط يأتى منه يسمونه اللؤلؤى، وقد طلبوا أن يكون للخط أربعة أشياء: أولها أن يكون مستقراً فى الصغر والكبر ، والثانى: أن يكون له بنية كما صوروه ، وثالثها : أن يكون ذا رونق ورواء ، وهذا يكون من حدة القلم، ومن إحكام يد الكاتب، وهكذا يجب أن يراعوا التناسب ، فينبغى ألا تكون الراء مثل النون، وأن لا تشبه النون الراء، وأن لا تكون عين الواو والقاف والفاء غير مناسبة، بل ينبغى أن تكون على مقياس واحد ، لا ضيق ولا واسع، وكذلك امتداد النون والقاف والصاد، وطول اللام والألف يشبه أحدهما الآخر، فإذا ما روعى هذا القياس يبدو الخط جميلاً ومستوياً ومستقيماً، حتى وإن كان قبيحًا ، ويجب أن يكون الخط مقروءاً،[٤٢] فقد قال علماء الخط : إن أحسن الخط ما يقرأ ، "ويلزم ثلاثة أشياء جميلة، ليكون الخط جميلاً . وإذا كان من بين هذه الثلاثة واحداً ليس جميلاً، فإن الخط لن يكون جميلاً ولو كان كاتبة خطاطًا بارعًا وأستاذاً فى فنه . أحد هذه الثلاثة القلم، والثانى المداد ، والثالث الورق ، والخط الذى تعلموه من الخطاطين لا تتبدل حروفه وكلماته مطلقًا على حاله، فإن القاعدة هى أن الحروف والكلمات قد نقشت فى قلبه .

والخط الجميل كالصورة الجميلة الوجه ، المكتملة الهندام، والتى يسمونها حسنة الوجه.. والخط القبيح كالوجه القبيح والقامة المعوجة ليس هناك تناسق بينهما..

حكاية : وكذلك قرأت فى معنى فضيلة القلم فى أخبار القدامى، إنه ذات مرة أرسل أحد الأمراء رسولاً إلى ملك فارس بسيف مسلول ، وقال له : احمل هذا السيف وضعه أمامه، ولا تقل له شيئًا ، فأقبل الرسول، وفعل ما قاله له، فلما وضع السيف، ولم يتكلم[٤٤]، قال الملك للوزير أجبه، فرفع الوزير سداد المحبرة، وألقى بقلم نحوه ، وقال: هاك الجواب . وكان الرسول رجلاً عاقلاً فأدرك أن الجواب قد وصل وأن للقلم تأثيراً عظيماً فى صلاح وفساد المملكة، وأنه يجب أن يكرم أرباب القلم الموثوق بهم فى دولته.

حكاية : حينما فر فخر الدولة شقيق فناخسرو ، ولجأ إلى نيسابور ، تطاول عليه الصاحب[٤٥] وحقره وذمه فى رسائله وسماه عاقًا ، فكتب فصلاً وأرسله للصاحب،

وقال له : "معك السيف ومعى القلم ، فانظر أيهما أقوى "فأجابه الصاحب: "السيف أقوى، والقلم الأعلى فانظر أيهما أكفأ"، فعرض فخر الدولة هذه الرقعة على شمس، فكتب قابوس بن وشمكير تحت هذه الرقعه. "قد أفلح من تزكى[٤٦]" و"لكن كذب وتولى"[٤٧].

حكاية : سمعت أنه كان بإيران ملك كانت عادته – حينما يحارب – أن تكون لديه فرقة مجهزة وقوية ، وكان يلبس أفرادها – جميعًا– الملابس السوداء ، وحينما يشتد أوار الحرب، فإنه كان يأمرها أن تتقدم الجيش وأن تقوم بتبعة الحرب، فاتفق ذات مرة أن أقبل من التركستان جيش جرار تعداده خمسون ألف رجل ، ونشبت الحرب معهم ، وكان هذا الملك جالساً على شرفة مرتفعة مع مجموعة من المقربين له ، فأراد أن ترجأ الحرب فى ذلك اليوم، الذى يليه ، فطلب دواة وقلمًا وكتب على قطعة من الورق أن "أخبروا مسودة الجيش أن يعودوا " وأرسلها إلى وزيره، فما أن قرأها وزيره لم يسر لها ، وأخذ دواة من رقبة حذائه ، وزاد على كلمة "سياه" نقطة فصارت " سباه داران " أى " قادة الجيش، وزاد نونًا على أول كلمة "كردند" التى معناها " يعودوا " فصارت "نكردند " أى " لا يعودوا " ، ثم أرسل هذه الرسالة إلى الجيش، فما أن قرءوا هذه الرقعة حتى هجموا على جيش تركستان وهزموه، وكتبت هذه الحكاية فى سير الملوك . فقالوا : " لقد هزم خمسون ألف سيف بنقطة واحدة من قلم"، وكان بأرض العراق اثنا عشر قلمًا، لكل منها شكل وهيئة وبرية يختلف عن الآخر ، وينسبون كل واحد منها إلى واحد من الخطاطين المشهورين، فأحدها اسمه المقلى ، وينسبونه إلى ابن مقلة،[٤٨] والآخر المهلهل نسبة إلى ابن المهلهل ، وثالثها المقفعى نسبة إلى ابن المقفع. وآخر المهلبى[٤٩]، وآخر المهرانى ، وآخر العميدى[٥٠]، وآخر أبو الفضلى[٥١]، وآخر الإسماعيلى[٥٢] وآخر السعيدى، وآخر الشمسى[٥٣]، فقد كان قلم شمس المعالى مصنوعًا من القصب الرمحى أو البغدادى أو المصرى، ويقال إن ذلك القلم الذى من القصب ويمتاز بالقوة، جدير بكتاب الديوان ، فهم يكتبون بقوة حتى يحدث صريراً ، وكانت كتابتهم تتسم بالحشمة، ويقال إن قلم الملوك ينبغى ألا يحدث ألما بهم وقت

الكتابة ، وألا يضغط على أناملهم، وليس من اللائق بالملوك أن يضعوا الورق على ركبتهم ، ويجلسوا كأنهم كتاب ليكتبوا شيئًا ، بل عليهم أن يجلسوا القرفصاء ، ويرفعوا الورق ، وينبغى أن يكون طول القلم أطول من ثلاث قبضات ، قبضتان للوسط، وقبضة لرأس القلم ، وينبغى أن يكتب كثيراً حتى يصير الخط حسنًا ومبهجًا...

فى ذكر الحصان وفضيلته وما ينبغى بشأنه

هكذا يقال إنه ليس هناك من صور ذوات الأربع ما هو أجمل من صورة الحصان، لأنه ملك ذوات الأربع السائمة ، وقال الرسول عليه السلام: "الخير معقود فى نواصى الخيل"(٥٤).

وقد سمى الحصان عند الفرس " روح الريح" ، وعند الروم "ساق الريح" ، وعند الأتراك "الضارب بالخطوة المحقق للرغبة"، وعند الهنود "العرش الطائر"، وعند العرب "البراق على الأرض" ، ويقولون إن ذلك الملك الذى يسحب عجلة الشمس إنما هو على صورة جواد يسمى "الوس"(٥٥) . وللعظماء فى الحديث عن الحصان كلام كثير.. وهكذا يقال إنهم عرضوا ذات يوم على سليمان عليه السلام حصانًا ، فقال : شكراً لله تعالى إذا سخر لى ريحين ، أحدهما بروح والآخر بلا روح، لأطوى بأحدهما الأرض، وأطوى الهواء بالآخر ، وسألوا إفريدون: أيها الملك لم لا تركب الحصان؟ فقال : أخشى ألا أستطيع شكر الله كما ينبغى، وقال كيخسرو : ليس فى ملكى أعز على من الحصان.

حكاية : أحضروا لخسرو إبرويز حصانه شبديز ليركبه. فقال : لو كان لله عبد خير من الآدمى لما أعطى لنا الدنيا ، ولو كان من بين ذوات الأربع ما هو أفضل من الحصان لما جعل لركوبنا ، ويقول أيضًا ، إن الملك سيد الرجال ، والحصان سيد ذوات الأربع ، ويقول سبحانه وتعالى "من مثلى خلقت الفرس" ، ويقول إفراسياب : إن الحصان بالنسبة للملوك كالسماء للقمر ، وقال العظماء : يجب أن يعز الحصان ، فإن كل من يذل الحصان يلقى المهانة على يدى العدو، ويقول الخليفة المأمون : نعم الشىء

الفرس ، سماء يجرى ، وسرير يمشى ، وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه : "ركوب الفرس أحب إلى من ركوب عنق الفلك" .. ويقول النعمان بن المنذر: "الخيل حصون رجال الليل، ولولا الخيل ، لم تكن الشجاعة اسماً يستحقه الشجاع" ، ويقول نصر بن سيار: "الفرس سرير الحرب والأسلحة أنوارها أو الصياح غناء الحرب والدم عقارها" ، ويقول المهلب بن أبى صفرة : "الفرس سحاب الحرب لا يمطر ببرق السيف إلا مطر دم ".. والآن نذكر بعض أسماء الخيل التى قالها الفرس فى صفات الخيل، وما عرف لهم بالتجربة من عيوبها، ومزاياها، وما كانوا يتفاءلون به خيراً..

أسماء الخيل بالفارسية

ألوس ، چرمه ، سرخ چرمه ، تازى چرمه خنك ، بادخنك ، مكس خنك ، سبز ، خنك ، بيه كميت ، شبديز ، خورشيذ ، كورسرخ ، زرد ، رخش ، سيارخش ، خرماكون ، چشينه ، شولك ، بيسه ابركون ، خاك رنك ، ديزه ، بهكون ، ميكون ، بادروى – كلكلون ، ارغون ، بهاركون أبكون ، نيلكون ، ابركاس ، بادبار ، سبيزرده ، بورسار ، بنفشه كون ، ادنس ، زاغ چشم سب دوست[٥٦] ، سيمكون ، ابلق ، سبيد ، سمند[٥٧].

أما أللوسى فهو الحصان الذى بيقول إنه يجر السماء ، ويقال إن معناه بعيد الرؤية، وأنه يسمع وقع حوافر الخيل من مكان بعيد، ويصبر على الشدة ، ولكنه لا طاقة له بالمناطق الباردة، وامتلاكه مبارك، ولكنه رقيق، أما چرمه فهو سيء الغضب، حديد البصر ، أما سياه چرمه فهو مبارك، أما الكميت فيتحمل المشقات ، وشبديز موفور الرزق ومبارك، وخورشيد بطيء وسعيد ، وسمند : صبور يؤدى عمله ، وبيسه محبوب وود لدى سيده، وسپيد زرده جدير بركوب الملوك، وبيسه كميت فعليل وسيء الطبع، وللخيل ألوان غريبة، ونادراً ما تتفق مع الألوان العادية ، وقد ذكر أرسطاطاليس فى كتاب الحيوان قسماً منها ، ويقولون إن كل حصان لونه كلون الطير – وخاصة الأبيض – فإنه يكون أفضلها وأكثرها لياقه ، وصاحبه مظفر دائمًا فى الحرب ، ومثل هذا

الحصان جدير بركوب الملوك ، أما ما هو أصفر مثل صفار عين الغراب وعنبرى اللون ويضرب لون عينيه إلى الصفرة ، والجواد الذى يكون على جسده نقط بيضاء أو صفراء ولونه بنى مثل العقاب، أو أن أرجله حمراء تميل إلى اللون البنى ، أو تكون بيضاء ، فهذه الأنواع كلها مسعودة ومباركة ، أما الحصان الذى لا يليق بالملوك فهو الحصان الذى يكون لونه فى لون طائر التدرج ، أو ما على غرته علامات كبيرة، أما المبارك من علامات الخيل ، فهو ذاك الذى له علامة فى مكان ، وهو ما يسميه الفرس المستدير الحافر(٥٨).. "وهو مبارك وسعيد، وكل حصان شعره أصفر أو أحمر لا قدرة له على تحمل البرد، وقال النبى عليه السلام: "إن أسرع الخيل ما كان أشقر اللون"، وقال أمير المؤمنين على رضى الله عنه: "أشجع الخيل الكميت، وأجرؤها الأسود ، وأقواها وأجملها ما كان لونه بنيًا ، وأميزها السمند ، وأفضل الجياد المسماه ختك "ماكان خلف رأسه وناصيته وقدمه وبطنه وخصيته وذيله سواد ، وقد ذكر هذا القدر بما يناسب الكتاب. ولم يكن هناك أحد فى سالف الزمان يعرف الخيل، ومزاياها، وعيوبها خير من الفرس ، لأن ملك الدنيا كان لهم ، فأينما وجد جواد جميل فى بلاد العرب أو العجم على حد سواء فإنهم كانوا يأتون به إلى بلاطهم.. أما اليوم فليس هناك خير من الترك معرفة بالحصان ، ذلك أن عملهم ليل نهار مع الحصان ، ثم إن الدنيا قد تحولت إليهم.

***

فى ذكرى البازى وفضيلته وما يجب نحوه

البازى مؤنس مصطاد الملوك ، وهم يسرون به ويحبونه ، وللبازى طباع الملوك فى العظمة والطهر، وقد قال السلف إن ملك الجوارح البازى ،وملك الدواب آكلة العشب الجواد ، وملك الجواهر غير المذابة الياقوت ، وملك الجواهر المنصهرة الذهب . ولهذا

فإن الملوك أكثر حاجة إلى الصقر عن سائر الناس والصقر من العظمة ماليس لسائر الطيور. والعقاب أكبر منه ، ولكن ليست له ما للبازى من الحشمة. ويتفاءل الملوك برؤياه، وإذا حط البازى خفيفًا بلا تعب على يد الملك، وولى وجهه شطره، يكون ذلك دليلاً على دخول ولاية جديدة تحت حكمه ، وخلاف ذلك يكون العكس ، وإذا طار مطأطئًا رأسه ، فإن ذلك يدل على ضعف أو خلل سيطرأ فى ملك السلطان ، وإذا نهض وتعثر ، أو قنص قنيصة وصاح عليها، فإن ذلك معناه اضطراب فى صفوف الجيش ، وإذا كان وقت طيرانه جائعًا، كان ذلك دليلاً على حدوث مجاعة ، وحينما ينظر بعينه اليمنى شطر السماء تعلو أمور الملك، فإذا ما نظر إلى السماء بعينه اليسرى يحدث خلل فى أمور الملك، وإذا كان دائب النظر إلى السماء، فإن ذلك دليل على الظفر والنصر ، فإذا أطال النظر إلى الأرض كان ذلك دليلاً على الانشغال ، وحين يكون البازى مستريحًا ويشتبك فى الصيد مع بازى آخر، فإن ذلك يدل على ظهور عدو جديد.

فى اختيار البازى

الأنواع كثيرة ، ولكن أحسنها الأبيض، والأحمر، والأصفر الكامل الاصفرار، والأبيض أكثرها حرصًا فى الصيد ، ولكنه عليل وشرس، والأصفر أكثر حرصًا وأقوى بدنًا ، وأجود الاثنين الأحمر ، ولكنه سيء الطباع ، وهو أكبر هذه الأنواع حجمًا، وقد سمعت من تاجر – كان فى زماننا – أنه لم يكن أحد يعرف الصقر خير من ماهان مه ابن وشمكير ، فقد كان عمله الصيد طوال شهور السنة الاثنى عشر، وعلى كامه – [٥٩] الذى كان قائدًا لبدرخستو ، فقد كان يعرفها جيدًا. ولكن الإجماع منعقد على أن أحدًا لا يعرفها قدر ماهان مه، وله كتاب قيم باللهجة الجبلية اسمه "شكره" أى "الصيد" من تأليفه.

وقد قال إن كل الحيوانات ذات اللون الواحد خير من الحيوانات الممتزجة الألوان ، ولكنه يشترط فى اختيار البازى أن تكون عضلاته قوية، ومستديرة، ومكتنزة، وأجزاء

جسده متناسقة بعضها مع الآخر ، كأن تكون الرأس صغيرة وقصيرة ، وجبهته وعيناه واسعتين ، وحوصلته واسعة ، وصدره عريضًا ومنخفضًا ، وذيله وفخذه كثيفين ، ولحمه متماسكًا وساقاه غليظتين ومستديرتين وقصيرتين ، وقبضته قويه، وأظفاره حادة، وأن تكون مخالبه سوداء، ورجلاه خضراوين، فكل صقر اتصف بهذه الصفات ، وكان أغلب جسمه أبيض اللون أو كامل الصفرة أو كامل الحمرة، فهو نادر ولا تقدر قيمته بثمن.

حكاية : هكذا يقولون إن ماهان كان ملكًا عظيمًا عاقلاً وكفئًا ، وذات يوم شاهد الملك مدرب بذاته يشرب الماء وعلى يده بازى، فأمر أن يضرب مائة عصا وقال : ياعجبًا إن الصقر ذاته ملك الطيور، ومؤنس وعزيز يد الملوك ، فهل يليق أن تتطاول هكذا، بحيث تجعل عزيز الملوك على يدك، وأنت تشرب الماء، وتأكل شيئًا آخر، فأجاب مدرب الصقور: أطال الله حياة الملك، إذا ظمئت وقت الصيد فماذا أفعل، والصقر معى فقال : إذن فلتعطه آخر يكون أهلاً لرعاية البازى، حتى تشرب الماء، أو أى شىء آخر تحتاجه.

حكاية : سمعت أن أبا عبد الله الخطيب كان مؤدب الأمير أبو العباس، شقيق فخر الدولة ، وكان جالسًا فى شرفة ، وكان الأمير أبو العباس صبيًا ، وقد نزل من عنده ، وكان هناك خادم، قد وضع باشقًا على يده ، فطلب منه هذا الباشق، ووضعه على يده، وفى هذه الأثناء ، بصق، فلما جاء شطر عبد الله بن الخطيب لامه ، وعبس، وقال له : لو لم تكن ما تزال صغيراً، ولم تتعلم الأدب، لعاقبتك عقابًا يتحدثون به، ثم قال : يا سبحان الله ، أنت ملك وابن ملك ، فكيف يمكن أن يكون عزيز الملك على يديك، وتأتى بمثل هذه الوقاحة، فتبصق. قال هذا وخلع نعليه وصفع ذلك الخادم عدة نعال على قفاه وقال : إنكم تربون الأمراء حتى ليبدو منهم سوء الأدب بحيث يحملون الأشكره(٦٠) على يدهم ويبصقون .

***

مقال فى منفعة الشراب

هكذا قال علماء الطب، أمثال جالينوس، وسقراط، وبقراط، وأبو على بن سينا، ومحمد بن زكريا، أنه لا يوجد شيء قط أنفع لجسم الإنسان من الشراب ، وخاصة شراب العنب المر الصافى، وخاصيته أنه يزيل الغم، ويسعد القلب، ويسمن الجسم، ويهضم الأطعمة العسرة، ويحمر وجنات الوجه، ويجعل جلد الجسم رطبًا ووضيئًا، ويحد الفهم والخاطر ، ويجعل البخيل سخيًا ، والجبان شجاعًا ، وشارب الخمر قليل المرض، معافى البدن غالبًا من الحمى، والمرض الذى يتولد من الأخلاط اللزجة والفاسدة ، ومما يحدث بين حين وآخر لشارب الخمر ، ولا يدع الأخلاط السيئة تتجمع فى المعدة عند الإسهال ، وقد سمى فريق من الأذكياء الشراب "محك الرجل"، وسماه فريق "ناقد العقل"، وفريق "صراف العلم"، وفريق :"معيار الفضل"، وسماه العظماء"صابون الهم"، وسماه فريق"مفرج الغم"، وكل من يشرب خمسة أقداح من الشراب الصافى يظهر ما يكون فيه من حسن وقبح ، كما يظهر جوهره، ويجعل الغريب صديقًا، ويزيد فى المحبة ، وإذا كان من خاصيته أنه يجلس الأصدقاء معًا فهى كثيرة، ومن لطف الخمر أن – كل المشروبات التى فى الدنيا من دسمة، وحلوة، وطيبة، وحامضة – لا يمكن أن تشرب منها أكثر من سير واحد، وإذا شربت أكثر، ينفر الطبع، أما الشراب فإنك كلما تكثر منه تطلب المزيد، ولا يشبع المرء منه، ولا ينفر منه الطبع لأنه سيد المشروبات، وفى الجنة نعم كثيرة والشراب أفضلها – وإذا لم يكن كذلك – لما جعله الله له خاصة، فكل نعم الدارين مرهونة بتقديره، وإرادته، كما قال فى محكم كتابه : "وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا"[٦١]، ويقول فى موضع آخر: "ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما[٦٢]". فالعاقل يجب أن يشرب، بحيث تكون المزية أكثر من الإثم، حتى لا يصير وبالاً عليه ، ويكون ذلك بأن يبلغ برياضة نفسه إلى حد ألا يصدر عنه من بدء الشراب، حتى نهاية شيء ردىء وغير مناسب من قول أو فعل، إلا ما هو حسن وجميل ، فإذا وصل إلى هذه الدرجة فإن الشراب يليق به، وفضائل الشراب كثيرة.

ولنذكر الآن فصلاً فى منفعة الشراب، ومضرته، ودفع مضرته من قول الحكيم جالينوس، ومحمد بن زكريا، والأستاذ أبو على بن سينا، وكبار الأطباء العظام.

منفعة الشراب المسكر : يهضم الطعام، ويزيد الحرارة الأصلية – أى الحرارة الغريزيه – ويقوى البدن، ويطهره بالبول، والعرق، والبخار...

مضرته : لا يجوز للأطفال، إذ يصيرون حارى المزاج.

دفع ضرره : إذا كان للناس ذوى المزاج الحاد حاجة إلى شربه ، فيجب أن يخلط بالماء، وماء الورد حتى لا يضر ، والسلام...

منفعة الشراب الأبيض الرقيق : يعطى غذاء قليلاً، ويناسب المحرورين، ويزيل الصفراء فى البول شيئًا فشيئًا.

مضرته : يجعل المعدة السوداويه، تمتلأ بالريح، ويسبب ألم المفاصل...

دفع ضرره : بحساء اللبن الزبادى(٦٣)، والتوابل، والكباب(٦٤) الناضج، كى لا يضر وينفع.

منفعة الشراب المعتدل فى غلظته ورقته : عندما يعد جيداً يكون أوفق الأشربة ، ويليق بذوى الأمزجة المعتدلة..

ضرره : يضر بذوى الأمزجة الحارة.

دفع ضرره : يخلط بالماء، وماء الورد والنقل البارد(٦٥)، حتى لا يكون له ضرر.

منفعة الشراب المر والكدر : يطرد الريح، ويزيل البلغم، ويفيد فى آلام المعدة والبطن(٦٦).

دفع ضرره : يمزج بالماء ، ويتناول مع الأطعمة الحامضة، ويتنقل بالفاكهة الحامضة، حتى لا يضر.

منفعة الشراب الريحانى : يقوى القلب، والمعدة، ويزيل حدة الرياح، ويفيد الحرارة التى تنتج عن المرض.

ضرره : يجلب آلام الرأس والعين ، وينتقل أثره إلى الرأس سريعًا.

دفع ضرره : بالكافور، وماء الورد، والبنفسج ، ونقل الفواكه الحامضة.

منفعة الشراب الجديد : يزيد الدم فى الجسم ، ويملأ العروق ، ويتصاعد منه البخار إلى الرأس.

مضرته : لا يليق للمرطوبين ومن يغلب عليهم الريح، وتكثر فيهم الأخلاط.

دفع ضرره : يؤكل اللحم المشوى الجاف مع التوابل، ونقل الفواكه الجافة.

شراب...[٦٧] يحسن لذوى الريح والبلغم ، ويصلح للمعدة والكبد الحار ومن يتألم من البخار.

ضرره : يضر الضعاف، والمصابين بالهزال.

دفع ضرره : يخلط بالماء، ويؤكل حساء الشعير[٦٨]، والأطعمة الباردة، والفواكه الطازجة.

الشراب الممزوج والمروق : جيد لأصحاب الخمار الشديد أو من يتألم من صداع الرأس ، ويليق لذوى المزاج الحار.

ضرره : يثير الريح فى المعدة، ويسبب ألم المفاصل، ويصيب المعدة والكبد بالبرد.

دفع ضرره : بحساء اللحم[٦٩] ، واللحم المقلى والتوابل، ويتنقل بالفواكه الجافة.

الشراب الحامض[٧٠] : ينفع لذوى المعدة والكبد الحار.

ضرره : يزيل الرغبة فى الجماع ويضعف الأعصاب.

دفع ضرره : بتناول حساء اللبن الزبادى وتؤكل الحلوى معه، حتى لا يضر.

الشراب المشمس : ألطف وأسرع هضماً من جميع الأشربه.

ضرره : يعفن الدم بسرعة .

دفع ضرره : بتناول السكباج[٧١]، والسماق[٧٢]، وحساء الرمان، ونقل الريباس،[٧٣] والرمان، ومن بعده يشرب السكنجبين[٧٤]، حتى لا يضر.

شراب الزبيب : الصافى منه يشبه الشراب الممزوج، ويميل إلى اليبوسة، ويوافق المحرورين.

مضرته : ما يكون ثقيلاً منه مثل الشراب الأسود، سيء المذاق ، يثير السوداء، ويسبب الأخلاط فى المعدة، وينفخ البطن، ويبرزها ، ويسد مسالك الكبد.

دفع ضرره : بتناول السكنجبين، وماء الهندبا[٧٥] ، وبذر الخيار ، والخيار.

شراب البلح : يسمن الجسم، ويكثر من الدم، وخاصة ما يكون طازجًا منه.

ضرره : غليظ سيء المذاق، ويسد مسالك الكبد، ويثير الدم السوداوى ..

دفع ضرره : باستعمال شراب الرمان، والسكنجبين، والأدوية التى تزيل السوداء حتى لايضر.

وفى هذا الباب يكفى هذا القدر ... والآن : نبين كيف ظهر العنب، وكيف صنعت الخمر.

***

حكاية فى باب ظهور الشراب

كتبوا فى التاريخ، إنه كان بهراة ملك موفق، ونو سلطان، وكنوز طائلة، وأموال وافرة، وجند لا حصر لهم، وكانت خراسان كلها تدين له بالولاء، وكان من أقارب جمشيد، وكان اسمه شميران ، وهو الذى أقام تلك القلعة، التى لا تزال بهراة حتى

اليوم، وكان له ابن شجا ع، وقوى، وذا همة، ويسمى بادام[٧٦] ، وكان بادام أوحد زمانه في رمى السهام.

وذات يوم كان الملك شميران جالساً على شرفة والعظماء من حوله ، كما كان معه ابنه بادام، فاتفق أن جاءت هماة[٧٧] ، وأخذت تصيح ثم حطت على مقربة من العرش ، فلما نظر الملك شميران إليها، رأى حية قد لفت نفسها، مسدلة رأسها على رقبة الهماه لتلدغها، فقال شميران : أيها الرجال الأسود من منكم يخلص الهماة من يد الأفعى ويرمى بسهم صائب إليها، فقال بادام : أيها الملك إن هذا العمل لى ، ورمى سهماً سمرت رأس الأفعى بالأرض ، ولم يصب الهماة أى أذى ، فتخلصت من قيدها وأخذت تحوم فترة من الوقت، ثم ذهبت، واتفق فى العام التالى أن كان الملك جالساً فى مثل ذلك اليوم فى الشرفه ، وجاءت تلك الهماة وطارت على رأسه، ثم نزلت على الأرض فى نفس المكان، الذى ضربت فيه الأفعى بالسهم ، ووضعت شيئًا من منقارها على الأرض وصاحت عدة صيحات، ثم طارت. فنظر الملك وتحقق من أنها نفس الهماة ، فقال لمن حوله: "أخالها نفس الهماة التى خلصناها من خطر الأفعى، وقد عادت هذا العام لتكافئنا، وجاءتنا بتحفة لأنها تضرب الأرض بمنقارها ، فاذهبوا وانظروا ثم أحضروا ما تجدونه"، وذهب عدة أشخاص، فرأوا بضع حبات هنالك ، فحملوها، وأحضروها أمام عرش الملك ، فنظر الملك فإذا هى حبات صلبة ، فدعى العلماء والحكماء، وأطلعهم عليها وقال : لقد اتحفتنا الهماة بهذه الحبات، فما ترون فى هذا، وما عسانا نفعل بها، فاتفقوا جميعًا على أنه يجب رعايتها، وحسن رعياتها ليرى ما ستظهر فى آخر العام، ثم سلم الملك الحبات إلى بستانيه وقال له: "ازرعها فى ناحية، واصنع حولها سياجًا كى لا تعرف الدواب طريقًا إليها ، واحرسها من الطير ، وأفدنى بما يجرى لها من حين لآخر" ، فعمل البستانى بالأمر وكان ذاك فى شهر النوروز.

وانقضت بضعة أيام، وظهر غصن صغير من تلك الحبات ، فأخبر البستانى الملك بذلك، فمضى الملك مع العظماء والعلماء، حيث ذلك الغصن، فقالوا لم نشاهد غصنًا وأوراقًا مثل ذلك، ورجعوا .. ولما انقضت مدة أخرى، كثرت غصونه، وتفتحت أوراقه،

وظهرت عناقيد معلقة مثل عناقيد كاورس[٧٨]، فذهب البستانى إلى الملك، وأبلغه بأنه لا يوجد فى البستان شجرة أنضر من تلك الشجرة، فذهب الملك مرة أخرى مع العلماء لرؤية تلك الشجرة، فرأى غصنها، وقد صار شجرة، تدلت العناقيد منها، فدهش الملك، وقال : يجب أن نصبر حتى تنضج ثمار كل هذه الأشجار، ونرى ماذا ستكون هذه الشجرة، فلما كبرت العناقيد، وبلغت الثمار النيئة كمال نضجها، لم يستطيعوا أن يمدوا إليها أيديهم، حتى جاء الخريف ، ونضجت الثمار، مثل التفاح، والكمثرى، والخوخ، والرمان، وغيرها. فجاء الملك إلى الحديقة، ورأى شجرة عنب، قد تزينت كالعروس، وكبرت عناقيدها وتحول لونها من الأخضر إلى الأسود ، وكانت تتألق كالشبه[٧٩]، وتسقط على الأرض حبة إثر حبه، فاتفق العلماء على أن هذه هى ثمرة الشجرة، وقد بلغت الشجرة حد الكمال، وبدأت الحبات تتساقط من العناقيد، وهذا يدل على أن فائدتها فى مائها وأنه يجب عصر مائها، وحفظه فى دن حتى نرى ماذا يكون، ولم يستطع أحد أن يضع تلك الحبات فى فمه، إذ إنهم كانوا يخشون أن تكون تلك الحبات سمًا فيهلكون، فوضعوا فى الحديقة دنًا ، وأخذوا ماء ذلك العنب، وملأوا به الدن، ثم أمروا البستانى بإخبارهم عن كل ما يرى، وعادوا، وعندما غلى العصير فى القدر، أسرع البستانى، وقال للملك: إن العصير يغلى كالقدر بلا نار، ويرمى بالزبد، فقال له الملك : عندما يهدأ أخبرنى، وذات يوم رآه البستانى صافيًا، ومضيئًا، ويتألق، مثل الياقوت الأحمر، وقد هدأ تماماً، وفى الحال أخبر الملك، فحضر مع العلماء، وذهل الجميع من صفاء لونه، وقالوا : هذا هو المقصود والفائدة من الشجرة ، ولكننا لا ندرى إن كان سمًا أم ترياقًا. وبعد ذلك قرروا أن يأتوا برجل قاتل من السجن، ويعطوه من هذا الشراب، ليروا ما حدث، ففعلوا ذلك، وقدموا شربة منه إلى الرجل القاتل، وعندما شربه عبس وجهه قليلاً ، فسألوه : هل تريد مزيداً؟، قال: نعم فأعطوه ثانية، فأخذ فى الطرب، والغناء، والرقص، وقد خف جلال الملك فى عينيه، وقال : أعطونى جرعة أخرى، ثم اعملوا بى ما شئتم فإن الرجال، قد ولدوا للموت، فأعطوه جرعة ثالثة، فشربها، وثقلت رأسه، ولم يفق إلا فى اليوم التالى ، وعندما أفاق أتوا به إلى حضرة الملك، وسألوه : ماذا شربت فى الأمس، وكيف كنت ترى نفسك؟ قال لا أدرى ماذا كنت

أشرب، ولكنه كان لذيذاً، وياليتنى أجد اليوم ثلاثة أقداح أخرى منه، إننى شربت القدح الأولى بصعوبة لأنها كانت مرة، وعندما استقرت فى معدتى رغب طبعى فى أخرى، وعندما شربت القدح الأخرى، حل السرور والطرب فى قلبى، فذهب الحياء من عينى، وصارت الدنيا حقيرة فى عينى كالكلب، وظننت أنه ليس بينى وبين الملك فرق، ونسيت هم الدنيا – الذى كان يملأ قلبى – وشربت القدح الثالثة، فأدركنى النعاس. فأعتقه الملك من جرمه الذى ارتكبه، ولهذا السبب اتفق العلماء على أنه لا يوجد نعمة أعظم وأفضل من الشراب، لأنه لا توجد هذه الخاصية والفضيلة فى طعام آخر أو فاكهة إلا فى الشراب، فتعلم الملك شميران شرب الخمر ، وسن قواعد الشراب[٨٠].

وبعد ذلك جعلوا للشراب آلات طرب، وعزفوا لها ألحاناً[٨١]، وذلك البستان الذى زرعوا فيه بذرة العنب لا يزال قائمًا فى موضعه حتى الآن ويسمونه غورة ، وهو على باب المدينة[٨٢].

ويقولون إن غصن العنب، قد انتشر إلى العالم من هراة.

وأنواع العنب الموجودة بهراة لا توجد فى أى ولاية، أو أى قرية أخرى مطلقاً ، بحيث يذكرون بها مائة نوع، يتناقلونه على ألسنتهم ، وفضيلة الشراب كثيرة..

***

مقال فى خاصية الوجه الحسن

اعتبر العلماء الوجه الحسن سعادة كبرى ، وتفاءلوا برؤيته ، وقالوا إن سعادة رؤية الوجه الحسن، تؤثر فى أحوال الناس، كما تؤثر كواكب السعد فى السماء[٨٣] ، ومثال ذلك عباءة داخل صندوق فيه عطر، تكتسب العباءة العطر منه ، وتوصل الريح الطيب إلى مسام الناس دون وجود عطر، وهكذا مثل صورة الشمس التى تقع على الماء، ثم تنعكس على الأماكن الأخرى دون الشمس ، ذلك أن جمال صور الناس جزء

من تأثير الكواكب السعيدة، وهو يصل إليهم بتقدير الله تعالى، والحسن محمود فى جميع اللغات، ومفضل لدى جميع العقول، وفى الدنيا أشياء جميلة كثيرة، يسعد الناس من رؤيتها، وتبعث فى الطبع جدة ونشاطًا، ولكن لا يعادل أى حسن آخر الوجه الحسن، إذ إن بسعادة الوجه الحسن لا تعادلها أية سعادة، أخرى ، وقيل إن الوجه الحسن دليل سعادة هذه الدنيا ، وإذا اقترن الوجه الحسن بالأخلاق الحسنة، تبلغ تلك السعادة منتهاها ، وعندما يكون المرء حسنًا فى الظاهر والباطن يكون محبوبًا من الخالق والخلق، وللوجه الحسن أربع خواص : الأولى : تبارك يوم رائيه، والثانية : يجعل العيش طيبًا، والثالثة : يفسح الطريق إلى الفتوة والمروءة ، والرابعة : يزيد فى المال والحياة، لأن الرجل إذا لقى السرور فى أول اليوم - من الوجه الحسن - يكون ذلك دليل نصيبه من البركة ، ولا يرى فى ذلك اليوم إلا السعادة، وعندما يجلس المرء مع الوجه الحسن يطيب عيشه ولا يغتم، وإذا استقرت له الحال ووجد وجهًا جميلاً، تتحرك المروءة والفتوة فيه حتى ولو كان سافلاً عديم المروءة، وعندما يراه الناس مع الوجه الحسن ينظرون إليه بتعظيم ، كما أنه يزداد اجتهاداً فى تحصيل المال من أجل عيشه ... وكذلك قالوا إن الوجه الحسن يعيد الشباب للمسن، ويجعل الشاب صبيًا، كما يجعل الصبى من أهل الجنة ، وقال الرسول عليه السلام : " اطلبوا حاجتكم من حسان الوجوه " وكل شخص - على حسب اجتهاده - جعل للوجه الحسن صفة ولقبًا، فسماه جماعة: "ساحة العشق "وأسماه فريق:" صحراء السعادة، وروضة الحب، وزينة الخلق، وعلامة الجنة" أما أرباب العلم والفلسفة فقد قالوا: إنه سبب خلق الله تعالى للناس وطلب العلم به لأنه يظهر الطريق إلى حسن ذاته، وقال الطبيعيون: لكل شيء زيادة ونقص واعتدال، والزينة قرينة الاعتدال، فإذا نظرت فإن صورة الاعتدال تكون خيراً مما تظهر نفسها بالتركيب، وهذا العالم، القائم، قائم بالاعتدال وبه معمور .

ويقول التناسخيون : إن الوجه الحسن خلقه الخالق لعبده مكافأة له على ما أسلفه من الطهر والورع، فيكرمه بنوره، أما أرباب المعرفة فقد قالوا : إنه شوق الشمع الذى

يضيء الشمع، وقال فريق: إنه منشور سرى، وغيث الرحمة، الذى يجعل روضة المعرفة ناضرة، ويزهر شجرة الشوق، وقال فريق آخر، إنه آية الحق الذى يعرض الحقيقة على المحققين، ليعودوا إلى الحق بحقيقته .

وقد قالوا فى لقاء صاحب الوجه الحسن أقوالاً كثيرة، إن ذكرناها كلها يطول الكلام ، ونذكر هنا حكاية عبد الله بن طاهر .

هكذا قالوا إن عبد الله بن طاهر كان قد اعتقل أحد كبراء جيشه، وكل من توسط فى أمره لم تلق وساطته قبولاً، ولما بلغت الحال إلى هذا الحد، ويئس الجميع من أمره، كان لهذا الكبير جارية فصيحة ، فكتبت قصة، وفى ذلك اليوم – حيث جلس عبد الله ابن طاهر لبحث مظالم الناس – ارتدت تلك الجارية حجابها ، وذهبت إلى حضرته، وسلمت له القصة وقالت : "يا أمير خذ العفو"[٨٤] فإن من استولى أولى ومن قدر غفر" قال عبد الله : ياجارية إن ذنب صاحبك أعظم مما يرجى عفوه، فقالت الجارية : "وإن شفيعى إليك أعظم مما يجتبى رده"، قال: "وماشفيعك الذى لايرد؟ "، فكشفت الجارية عن وجهها وأظهرته له، وقالت: "هذا شفيعى"، وعندما رأى عبد الله بن طاهر وجه الجارية تبسم وقال: "شفيع ما أكرمه، ومن يؤتيك ما أعظمه"، قال هكذا وأمر بالإفراج عن ذلك القائد، وخلع عليه، وتلطف معه، وأكرم مثواه.. وقد ذكرنا هذه الحكاية حتى تعرف مرتبة الوجه الحسن إلى أين تكون وما مقدار احترامه.

حكاية : حكوا أن السلطان محمود[٨٥] كان قد توجه إلى النزهة ذات يوم، وكان عائداً من الصحراء إلى المدينة ، وكان فى تلك الأثناء أميراً ووالده على قيد الحياة، وعندما وصل إلى باب المدينة وقعت عيناه بين الناظرين على صبى يلبس ملابس بالية، وعمره اثنتا عشرة سنة، ولكنه حسن الوجه، وممتاز، وجميل، وكامل الخلقة، ومعتدل القامة، فمسك بعنان جواده، وقال : قدموا هذا الصغير لى، وعندما جاءوا به إليه قال له: "من أنت أيها الغلام ومن أبوك؟ قال : ليس لى أب ولكن أمى تقيم بمحلة كذا ، قال: أى حرفة تتعلمها ؟، قال : أحفظ القرآن : فأمر أن يحملوا ذلك الغلام إلى القصر، وعندما نزل السلطان فيه استدعى الغلام أمامه، وسأله عن أشياء كثيرة، وأمره بأمور

عديدة، فوجده ذكياً ورشيداً، وابتسم له الحظ ، فأمر بإحضار والدته، وقال لها : إنني قبلت ابنك لأربيه، فليطمئن قلبك، ثم أحسن للغلام كثيراً، فألبس ملابس ديباجية ، وأسلمه إلى معلم ليعلمه الخط، والقراءة، والسلاح، والفروسية ، وقال للغلام : عليك أن تكون أمامي كل يوم في الصباح قبل الديوان، فكان الغلام يحضر كل صباح مبكراً، فينظر السلطان إلى وجهه، عندما يخرج من حجرته الخاصة، وكان مقصد السلطان من ذلك تجربة سعد لقائه، فكان لقاؤه مباركًا، إذ إنه كان عندما يخرج من الحجرة وينظر إلى وجهه ينال كل ما يريد في ذلك اليوم، فاعتنى بهذا الغلام، وخاصة بملبسه، مما زاد جماله مائة مرة، وكلما اهتم به السلطان أكثر زادت لياقته وبدت عليه، وكان السلطان ينعم عليه ويلبي طلبه ، ويعتمد عليه كثيراً ويلاطفه ، فكثرت نعمته وزاد جماله، ووصل الحال بالسلطان في عشقه إلى حد أنه لم يكن يصبر على فراقه ساعة، إلى أن بلغ عمره ثمانية عشر عاماً ، وزاد جماله عشر مرات، وتحققت للسلطان أعمال كثيرة وفتوحات ببركة لقائه ، وفتح ولايات عديدة من الهند ، واستولى على مدن خراسان، وتربع على عرش السلطنه، إلا أن الغلام حضر إلى الخدمة ذات يوم متأخراً ، وكان السلطان مهموماً بدونه ، وعندما حضر قال له في عتاب غاضباً : "كذا وكذا" "هل تعرف نفسك" هل تعرف من أين أخذتك، وإلى أين أوصلتك؟ وهل تعرف ما هو مقدار مطاليك ومصروفاتك ، وهل تجرؤ، وتغيب عني ساعة؟ وعندما سكت السلطان قال الغلام: " فليتفضل السلطان بالاستماع ، وهذا صحيح كما قال : إنه أخذ العبد من التراب وأوصله إلى الفلك ، وإني كنت ذليلاً، واليوم بفضل عظمة السلطان أمتلك خمسمائة ألف دينار، عدا ضياع وماشية وعبيد وأحرار ، وقد أعطاني الملك هذه المرتبة والجلال حتى أنه لا توجد في الدولة مرتبة أعلى من مرتبتي ، ومع كل هذا الكرم الذي أكرم به عبده ، وأنعم عليه هذه النعمة، وأوصله إلى هذه الدرجة عليه، ألا يمن على العبد بأية منة أو ثناء، بل يمن على قلبه ، لأنه أحسن معاملتي من أجله ، وذلك بمعنيين: الأول : أنه يتفاءل برؤيتي ، والثاني أنني متنزه وروضة وخميلة لقلب الملك ، فإذا كان الملك يزين في متنزهه ، فإنه لا يكون قد من على شخص ما، ولو أني أقابله بالشكر والدعاء".. فتعجب الملك من كلام الغلام، ولاطفه، وشرفه.

وكلام العظماء وأهل الحقيقة فى معنى الوجه الحسن كثير، وقد ذكرنا هذا المقدار حتى نبين ما هى درجة هذا العطاء ، وخلقة المولى تعالى وإلى أى حد تكون، وحتى تعرف أيضاً مدى معزة العظماء للوجه الحسن ...

وقد ختمنا هذا الكتاب بالوجه الحسن، حتى يكون فألاً حسناً ومباركًا للكتاب والقارئ ...

تمت بعون الله وحسن توفيقه...

رب اختم بالخير والسعادة والسلامة والصحة ...

الهوامش

(١) السوحة : يذكر مجتبى مينوى أنه لم يستطع أن يصل إلى معنى لهذه الكلمة، لأنها بدون إعجام ، كما لم أستطع بدورى الاهتداء إلى معناها.

(٢) ذات الحنة : هذه الكلمة أيضاً بدون إعجام يوضحها ، وربما تكون "ذات الحثة" وهو اسم مرض يسمى أحيانًا ذات الجنب أو داء الحثة.

(٣) فى هامش النص تذكر هذه الكلمة على أنها "دمل".

(٤) قوباى : تذكر فى النص الفارس : "قوباى"، وهى كلمة عربية تعنى داء أو خلط غريب، يظهر على الجلد ويأخذ فيه، ويبرز عليه.. حواشى مينوى : ص ٩٩ .

(٥) لم أجد نص هذا الحديث فى أى كتاب من كتب الحديث ، وأرجح أنه من الأحاديث الموضوعه.

(٦) النص الفارسى "آزخ" وهو اسم مرض يصيب الإنسان والحيوان، وشكله فى حجم حبة الغلة... برهان قاطع – طبع طهران ١٣٤٢هـ.

(٧) لم أستطع فهم ما يقصده الخيام من "يلبسونه"، لعدم استقامتها مع المعنى العام للجملة.

(٨) فى الهامش "نو جسدين" ، والمراد أنه يدخل فى تركيب السيف عنصرين من العناصر الأربعة، هما "النار والماء"، وكان الاعتقاد عند القدماء سارياً بأن كل جسد ركب من عنصرين من العناصر الأربعة يسمى "نو جسدين".. حواشى الناشر ، ص١٠١ .

(٩) نص حديث الرسول : بعثت بين يدى الساعة بالسيف، حتى يعبد الله تعالى وحده، لا شريك له، وجعل رزقى تحت ظل رمحى، وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى، ومن تشبه بقوم فهو منهم "، عن ابن عمر رضى الله عنه.. محمد بن الصديق الحسنى : "الكنز الثمين فى أحاديث النبى الأمين" مصر ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م".

(١٠) قصد الخيام بذكر هذه الأنواع الإشارة إلى مكان صنع كل نوع وخصائصه، التى تميزه عن غيره.

(١١) نسبة إلى اليمن بالجزيرة العربية.

(١٢) ويسمى أيضاً "هندوانى" و "مهند"، وهو سيف يصنع بالهند.

(١٣) المراد هنا هو المادة، التى صنع منها السيف، وهو "القلع الهندى"، وهو نوع من الفولاذ الهندى، ويصنع منه أحسن أنواع السيوف...

(١٤) سليماني : نوع من السيف.

(١٥) نصيبى : نوع من السيف من الجائز نسبته إلى بلدة نصيبين بأرض الشام.

(١٦) مريخى : مريخ في علم الكيمياء كناية عن الحديد ، ومن الممكن أن يكون الخيام قصد به "السريجى"، وهو اسم نوع من السيف ينسب إلى حداد اسمه سريج اشتهر بصنع السيوف.

(١٧) سلماني : نوع من السيف ينسب إلى مدينة (سلمية) القريبة من حمص.

(١٨) نوع من السيف.

(١٩) بحرى : نوع من السيف من الممكن نسبته إلى منطقة البحرين بساحل الخليج العربى.

(٢٠) دمشقى : نوع من السيف، من الممكن نسبته إلى دمشق.

(٢١) مصرى : نوع من السيف من الممكن نسبته إلى مصر.

(٢٢) نوع من السيف ينسب إلى أبى بحر صخر الأحنف بن قيس بن معاوية التميمى البصرى. وهو تابعى كبير من العلماء الحكماء ، ولد فى عهد النبى ولم يدركه ، والأحنف لقب له ، وإنما لقب به لحنف كان به ، والسيوف الحنيفيه تنسب له، لأنه أول من أمر باتخاذها..

(٢٣) قراجورى : قراجو بمعنى السيف ، وهو اسم سيف له حد واحد....

(٢٤) مشطب : أى فيه طرائق فى متنه ، وهى عبارة عن مجارٍ أو طرق فى عرض السيف، حواشى الناشر، ص١٠٢ .

(٢٥) ستير: ويقال له الآن "بسير" ، والسير واحد وأربعون منًا وكل سير أربعة دراهم. حواشى الناشر ص ١٠٢ .

(٢٦) الحرمل : عشب نباتى يستخدم لإزالة ألم المفاصل، ولطرد البلغم وتنظيم الدم وتنقيته .. حواشى الناشر ص١٠٢ .

(٢٧) مازو : نتوء على ورق بعض الأشجار ، وأكثر ما يرى على أوراق شجر البلوط ، ويستخدم فى الأدوية .. برهان قاطع – طبع طهران سنة ١٣٤٢هـ.

(٢٨) زراريح : مفردها "زريح" وهو اسم حشرة سامة، شبيهة بالنملة والزنبور، ويستخدم سمها فى علاج "عضة الكلب"، حواشى الناشر : ص١٠٣ .

(٢٩) المقصود : حتى يصير المخلوط وحدة واحدة.

(٣٠) نص الحديث : حق الوالد على ولده أن يعلمه الكتابة، والسباحة، والرماية، وأن لا يرزقه إلا طيبًا "حديث ابن ابى رافع.

(٣١) آرش : ورد ذكره فى الصلح بين منوجهر وأفراسياب ، وقد رمى السهم رمية قوية من طبرستان إلى أقصى خراسان ، وقد خلط الخيام بين آرش رامى السهم المشهور، وآغش وهادان الذى كان فى عصر كيخسرو ملك كيلان .. البيرونى : الآثار الباقية . ص : ٢٢٠ .

(٣٢) هناك نوع من الشجر يسمى "خدنك"، ويؤخذ لحاؤه لصنع أنواع مختلفة من النسيج، يشبه الكتان، ويزرع هذا الشجر فى "جى" عاصمة أصفهان، كما يستخدم أيضًا فى صنع القوس لتقويته.. برهان قاطع : تحقيق محمد مير . طهران ١٣٤٢هـ.

(٣٣) المقصود من هذه العبارة أن القوس يجد حياته من الرامى الماهر الدائم الاستعمال له.

(٣٤) اسم آلة ضخمة أكبر حجمًا من المنجنيق، وتستخدم وقت الحرب، لإحداث هوة أو ثقب أو شرخ فى القلاع والأسوار، بغية اختراقها والاستيلاء عليها ، وتستخدم الحجارة والسهام القوية مع هذه الآلة، إذ تقوم بتوجيهها نحو الهدف لاختراقه، وإحداث ثقب فيه، و"كوشك" فى الفارسية بمعنى "سوراخ كننده باشد"، أى "محدث الثغرة" برهان قاطع.

(٣٥) الكلمة فى النص الفارسى مرسومة هكذا "نيك" بدون إعجام ، وقد وردت فى نسخة "على حصور"، التى نشرها بأفغانستان "١٣٢٣هـ" على أنها "نيك"، ومعناها "الحسن"، وقد ترجمتها بمعناها الأخير، ولكن معنى الجملة غامض ، وقد وضع مجتبى مينوى علامات استفهام فوق أجزائها.

(٣٦) الكلمة فى النص الفارسى هكذا "نور حميد شاه"، وقد كتبت بدون إعجام ، ووضع الناشر فوقها علامة استفهام ، وقد ترجمتها ترجمة حرفية ، واعتبرت الكلمة الأولى بمعنى "نور"، والثانية بمعنى "حمد"، والثالثة : بمعنى "الملك"، فتصير معناها : "نور حمد الملك"، وهى ليست ذات معنى بالنسبة لسياق النص.

(٣٧) القائد الذى يعنيه الخيام هنا هو وهريز بن كامكار الديلمى رامى السهم المشهور فى تاريخ الفرس، لكن هذا القائد لم يقتل أبرهة الصباح – كما يذكر الخيام – وإنما قتل مسروق بن أبرهة بن الأشرم أمير الحبشة آنذاك، ذلك أن أبرهة الصباح الذى يذكره الخيام هنا كان ملكًا من ملوك العرب المعاصرين لشابور ذى الأكتاف.

ابن الأثير : الكامل : ج١ : ص : ٢٦٦ – القاهرة ١٣٤٨هـ.

(٣٨) مكان هذه النقط بالنص عبارات عربية غير مفهومة وغير معجمة، وبالرجوع إلى كتابى "حكماء الإشراق كتّاب الآفاق"، المخطوط ضمن كتاب "نوادر المخطوطات"، الذى نشره عبد السلام هارون ، وجدت العبارة التالية منسوبة إلى ابن المعتز وهى كما يلى :

"القلم يخدم الإرادة، ولا يمل الاستزادة، يسكت قائمًا وينطق سائرًا فى أرض بياضها مظلم وسوادها مضىء".

(٣٩) سورة العنكبوت : الآية رقم ٤٧ ، وهى بتمامها : "وما كنت تتلو من قبله من كتاب، ولا تخطه بيمينك".

(٤٠) هذه العبارة غير مفهومة، وقد ترجمتها ترجمة حرفية.

(٤١) المحرف الكامل : قلم له سن مرتفع من الجهة اليمنى ارتفاعًا قليلاً إذا كان القلم مصويًا . القلقشندى : صبح الأعشى : ج٢ : ص٣ .

(٤٢) المستوى : هو ما تساوى سناه ، وهو أقل تصرفًا فى الكتابة من القلم المحرف، نفس المرجع السابق .

(٤٣) خوانده : استعمل الخيام هذه الكلمة بمعنى "مقروءًا" ، واستعمالها على هذا النحو غريب، لأن "خواننده" فى الفارسية بمعنى "قارئ".

(٤٤) الفعل بالنص الفارسى بالإثبات، وهذا مخالف لما جاء فى الجملة السابقة ، فصححته.

(٤٥) المقصود الصاحب إسماعيل بن عباد الرازى وزير مؤيد الدولة البويهى.

(٤٦) سورة الأعلى : ١٤ .

(٤٧) سورة القيامة: ٣٢ .

(٤٨) من الجائز نسبته إلى الوزير محمد بن مقلة وزير "المقتدى" العباس، وكان مشهوراً بحسن الخط : القلقشندى: صبح الأعشى " ج٢ : ص٤٥٤ .

(٤٩) المهلبى : من الجائز نسبته إلى أبى محمد الحسن بن محمد المهلبى من أسرة المهلب بن أبى صفرة ، وقد ولى الوزارة فى خلافة المطيع العباسى ، واشتهر بحسن الخط.القلقشندى : صبح الأعشى : ج١٢ : ص ٥٩ .

(٥٠) العميدى : من الجائز نسبته إلى العميد أبى عبد الله حسين والد "ابن العميد" الكاتب المشهور.

(٥١) أبو الفضلى : من الجائز نسبته إلى أبى الفضل محمد بن العميد، الكاتب المعروف بابن العميد.

(٥٢) الإسماعيلى : من الجائز نسبته إلى الصاحب إسماعيل بن عباد وزير مؤيد الدولة البويهى ، وكان أديباً فاضلاً.

(٥٣) الشمسى : منسوب إلى شمس المعالى قابوس بن وشمكير الزيارى ، وقد سبق الإشارة إليه.

(٥٤) نص حديث الرسول الكريم : الخير معقود بنواصى الخيل إلى يوم القيامة، ومثل المنفق عليها كالمتكفف بالصدقة " .. رواه أبو هريرة رضى الله عنه، عبد الله الحسينى : الكنز الثمين فى أحاديث النبى الأمين: القاهرة ١٩٦٨ م .

(٥٥) يذكر مجتبى مينوى أنه طبقاً للأساطير الإيرانية، فإن " الوس " اسم حصان، كان يعتقد أنه يجر عربة الشمس، وورد الاسم فى معجم رشيدى بمعنى " الفش المخلوط بالكافور" .. حواشى مينوى على النص ص ١٠٤ .

(٥٦) أسماء الخيل التى ذكرها الحكيم الخيام منقولة إلى العربية، رجعت فيها إلى "برهان قاطع" وكتاب (فرس نامه) المخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٩ طب فارسى.

- چرمه — حصان لونه أبيض وخاصة لون شعره بياضه ناصع.
- سرخ چرمه — حصان بياضه واضح، لكنه يميل أحياناً إلى اللون الغامق "البنى".
- تازى چرمه — حصان عربى أبيض اللون، وخصوصاً شعره ناصع البياض.
- خنك — يسمى الحصان ذو الشعر الأبيض خنك، وكل شىء أبيض اللون يسمى خنك.
- بادخنك — حصان مثل الريح فى السرعة ، ولونه أبيض.

- بيسه كميت — حصان أبيض اللون مختلط السواد.
- كميت — أحسن أنواع الخيل عند العرب والفرس ، وهو حصان أحمر الرقبة، أسود الذيل يحتمل كل الأجواء.
- زرد رخش — رخش اسم حصان، لونه أحمر مختلط بالأبيض، وزرد رخش أى حصان أبيض مختلط بالأصفر أى أن لونه بين الأصفر والأحمر، وكان حصان رستم يسمى، رخش...
- سيارخش — يقال له فى العربية حصان أدهم ، وسياه أوسيار اسم فرس إسفنديار البطل الإيرانى.
- خرماكون — أحسن أنواع الخيل الكميت وهذا الحصان الذى يضرب لونه إلى الحمرة، وخرماكون حصان صبور فى الحر والبرد، ويتحمل المتاعب...
- چشينه — حصان لونه أبيض رائق البياض ، وهذا الحصان يمتاز بجماله الفائق...
- شولك — حصان سريع الحركة، قوى وصلب وصبور.
- پيسه — حصان أبيض، مختلط بالسواد، ويقال له فى العربية أبلق...
- ديزه — حصان أسود، اللون، مائل إلى اللون الرمادى، وسواده مثل غيوم النهار..
- باد روى — يقال إنه فرس سريع مثل الريح ...
- كلكون — حصان أحمر اللون، خالص الحمرة ...
- أرغون — حصان يقال إنه سريع وقوى وحاد...
- نيلكون — حصان يقال إن لونه يميل إلى الزرقة...
- باويار — من الجائز أن تكون فى النص الفارسى "ناويار" وإذا كانت كذلك فيكون معناها حصان جميل لأن "ناو" بمعنى "جميل".

(٥٧) الكلمات الموضوع عليها علامات استفهام وردت فى النص الفارسى هكذا بدون إعجام.

- سپيد زرده — حصان أبيض ، مائل إلى الصفرة.
- بورسار — حصان شديد عال، يميل لونه إلى الحمرة، ويقول صاحب "قابوس نامه" إذا أردت الصيد فاقصد بور يعنى هذا الحصان.
- بنفشه كون — حصان لونه بنفسجى.
- زاغ چشم — حصان يقال إنه لا يرى ليلاً.
- سيمكون — حصان فضى اللون.
- سمند — حصان يميل لونه إلى الصفرة المختلطة بالبياض.

- كور سرخ حصان قوى المراس، يشبه الحمار الوحشى ، ولونه يضرب إلى الحمرة.

- شبديز روى صاحب "برهان قاطع" أن خسرو ابرويز ، كان عنده أكثر من اثنى عشر ألف حصان ، ولم يكن يقدر على حمل جسده من بينها إلا "شبديز" ، وكان له مقام كبير يعادل مقام خسرو بين العظماء والآلهة ، وكان "شبديز" جميلاً ، ولم يكن أحد يجرؤ على النظر إلى عينيه ، وقد أحضر هذا الفرس من الروم، ولما مات حزن عليه خسرو، وكفنه ودفنه، ورسم صورته على حجر ، وكلما نظر إليه بكى، برهان قاطع: طهران ١٣٤٢ هـ .

- سبزنك فرس جميل، لونه أبيض ضارب إلى الخضار.

- خاك رنك حصان لونه رمادى، مثل لون التراب...

(٥٨) العبارة فى النص الفارسى غامضة ، لأن بعض كلماتها بدون إعجام ، وقد وضع المحقق علامات استفهام فوقها.

(٥٩) على كامة : أحد قواد الديالمة فى "الرى"، وقد اشتهر بحبه للصيد والقتال ومهارته فى الحرب، حمدالله مستوفى القزوينى : تاريخ كزيده : ص١٤٤ ، ج ١ لندن ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م.

(٦٠) اشكره : يقال لطيور الصقر الجارحة مطلقًا، والبعض يقول إنه جارح من نوع الباشق، ولكنه أصغر منه، ويسمى أحيانًا "البيغو".

(٦١) سورة الإنسان : (٢١) .

(٦٢) سورة البقرة : (٢١٩).

(٦٣) فى الأصل الفارسى : سپيدبا : وردت فى "برهان قاطع" بمعنى حساء اللبن الزبادى.

(٦٤) فى الأصل الفارسى : تباهه : وردت أيضًا فى "برهان قاطع" بمعنى : "كوشت بخته نرم ونازك راكويند، وكباب هم آمده ، برهان قاطع، طبع طهران ١٣٣٢هـ.

(٦٥) الكلمة فى النص دون إعجام ، وقد وضع عليها المحقق علامة استفهام، وقد ترجمتها بقرينة ما بعدها.

(٦٦) يذكر المحقق أن بيان ضرر هذا النوع من الشراب، قد سقط من النسخة الأصلية للنص.

(٦٧) اسم نوع من الشراب، سقط من النص الأصلى.

(٦٨) فى الأصل الفارسى : "كشكاب" : "بروزن مهتاب : آشن جوراكويند كه بهجت بيمار رابزند : "حساء الشعير الذى يطبخ للمريض، برهان قاطع.

(٦٩) فى الأصل الفارسى : "كوشتابه" بمعنى الحساء وخاصة حساء اللحم "برهان قاطع".

(٧٠) يرى مينوى أن هذا الشراب يقال له فى العربية "القهوة".

(٧١) السكباج : لحم يطبخ بالخل، ويؤخذ عادة مع الخمر : "فرهنك عميد".

(٧٢) السماق : نوع من التوابل الإيرانيه ، يستخدمونه مع الأطعمة المختلفة : "فرهك عميد".

(٧٣) الريباس : نبات طعمه حامض ، وبه نسبة كبيرة من الأملاح، ويصنع من أوراقه نوع من الشراب الحامض "فرهنك عميد".

(٧٤) السكنجبين : "مخفف سيركه انجبين بمعنى" (الخل والعسل) ، وهو نوع من الشراب يصنع من حامض وحلو ، وعادة يصنع من الخل والعسل والماء وينفع في علاج الخفقان وسوء الهضم والصداع المزمن : داود الأنطاكى : تذكرة داود : ج١ : ص ٤١٣ .

(٧٥) في النص الفارسي : "آب كاسنى" وهو نبات به مادة مرة الطعم ، ينمو على ضفاف الأنهار ويصنع منه شراب يستخدم لتقوية الهضم، فرهنك عميد.

(٧٦) فى الأصل الفارسى : "بادام" وفى هامش النص: "باذان"، وفى نسخة من نشر "على حصورى" بأفغانستان "بادان".

(٧٧) الهما : طائر مبارك، لا يقع ظله على أحد إلا ويصير ملكًا، ويقابله فى الأدب العربى طائر يسمى "البلح"، ويتيمن به العرب، فيقال فى أمثالهم : "آنس من الملح وأيمن من البلح" الشرتونى : أقرب الموارد.

(٧٨) نوع من الحبوب تشبه سنابله كيزان الذرة الصيفى ويعطى للحمام، برهان قاطع. "دانه شبيه بارزم كه بيشتر بكبوتران دهند" برهان قاطع.

(٧٩) نوع من الحجارة الكريمة السوداء اللون ، وله لمعان وبريق مثل الكهرمان .. برهان قاطع.

(٨٠) ورد فى كتاب "راحة الصدور" للراوندى حكاية عن ظهور الشراب وسن قواعده، مطابقة لهذه الحكاية التى أوردها الخيام... الراوندى : راحة الصدور : ص٥٨٥ . ت: الشواربى وعبد النعيم حسنين.

(٨١) وهناك حكاية أخرى نقلها المحقق عن ظهور الشراب، ولا يعلم مصدرها، وفيها يرى أن جمشيد هو الذى اكتشف الشراب ، وهى شبيهة أيضًا بروايتى الخيام والراوندى. مجتبى مينوى : حواشى النص : ص١٠٧ .

(٨٢) غوره أو غورج : اسم قرية كانت بمدينة هراة.. ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص٨٢١ .

(٨٣) ذكر صاحب "جهار مقاله" فى الحكاية الثانية من المقالة الثانية أنه يوجد بسواد هراة مائة وعشرون لونًا من العنب ، كل واحد ألطف من الآخر وألذ ، ومنها صنفان لا يوجدان فى جهة أخرى من الربع المسكون.

البرنيان والكلنجرى ... جهار مقاله : ت : عزام والخشاب.

(٨٤) جزء من الآية الكريمة : "خذ العفو وأمر بالعرف" ، الآية (١٩٩) من سورة الأعراف

(٨٥) يقصد السلطان محمود الغزنوى، مؤسس الدولة الغزنوية بالهند .

الباب الثالث

الفصل الأول

عيد النوروز عند الفرس

عيد النوروز عند الفرس

يعد النوروز من أجلِّ الأعياد عند الفرس، وهو يوم مختار عندهم ويسمى هرمز ، وهو اسم الله عز وجل، الخالق الصانع بارئ الدنيا وأهلها .. وللفرس فى النوروز أقوال كثيرة، تظهر مدى حبهم له، واعتزازهم به، وفرط اهتمامهم بالاحتفال به .. ومنها أنهم يقولون إن الله فرغ فيه من خلق الخلائق ، وفيه خلق كوكب المشترى ، وأسعد ساعاته المشترى، وفيه وصل سهم زرادشت إلى مناجاة الله ، وعرج كيخسرو إلى السماء يوم النوروز، وفيه تقسم السعادات بين أهل الأرض ، ولذا فإنهم يسمونه " يوم الرجاء "، ومن أقوالهم كذلك " إنه يرى فى صبيحته على جبل بوشانج شخص صامت بيده طاقة مرو ، فيظهر ساعة ثم يغيب، لا يرى إلى مثله من الحول "[1] .

وقد نقلت المصادر التاريخية فى سبب إيجاد هذا العيد، وفى تسميته بالنوروز روايات كثيرة مختلفة حينًا ، ومتشابهة فى أغلب الأحايين .. وسأعرض لكل الروايات، التى وجدت سبيلاً إليها طبقًا لتسلسلها الزمنى ...

رواية الجاحظ فى القرن الثانى الهجرى :

تأتى هذه الرواية فى مقدمة الروايات التاريخية عن النوروز، من حيث التسلسل الزمنى، وفيها يقول الجاحظ فى كتابه "المحاسن والأضداد" قال: "الكسروى كان أول من أبدع النوروز، وأسس منازل الملوك، وشيد معالم السلطان كياخسرو بن أبرويز

جهان، وتفسيره حافظ الدنيا ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، وكان الأصل فيه أنه في النوروز ملك الدنيا، وعمر أقاليم إيران شهر، وهي أرض بابل، فيكون النوروز في أول ما اجتمع ملكه واستوت أسبابه فصارت سنة[٢] " .

روايات البيروني في القرن الرابع الهجري :

يجمع البيروني في كتابه " الآثار الباقية " روايات كثيرة عن عيد النوروز، رأيت من المفيد نقلها برمتها عنه، وهي تختلف حيناً وتتشابه أحياناً، وأول هذه الروايات يقول فيها : " يقول بعض الحشوية إن سليمان بن داود عليه السلام لما افتقد خاتمه، وذهب عنه ملكه ثم رُد إليه بعد أربعين يوماً، عاد إليه بهاؤه، فأتته الملوك، وعكفت عليه الطيور، فقالت الفرس : " نوروز آمد "، والرواية الثانية يقول فيها :

" وقال بعض علماء الفرس إن السبب في تسمية هذا اليوم بالنوروز، أن الصابئة ظهرت أيام طهمورث، فلما ملك جمشيد، جدد الدين فسمي ذلك الصنيع نوروز فصير عيداً "، وروايته الثالثة تقول : " وقيل في تعييده أيضاً أن جمشيد لما اتخذ العجلة ركبها في هذا اليوم، وحملته الجن والشياطين في الهواء من دباوند إلى بابل في يوم واحد ، فاتخذه الناس عيداً لما رأوه فيه من الأعجوبة، وترجحوا بالأرجوحات تشبهاً به"، ويورد البيروني الرواية الثالثة، ولكن بصورة أخرى، فنراه يقول : " وزعم بعضهم أن جم شيذ كان طوافاً في البلاد وأنه، لما أراد دخول آذربيجان جلس على سرير من ذهب وحمله الرجال على أعناقهم فلما وقع عليه شعاع، ورآه الناس استعظموه، وفرحوا به وعيدوا ذلك اليوم "، وآخر رواية يذكرها البيروني يقول فيها : " وذكر زادويه في كتابه، أن السبب فيه طلوع الشمس من ناحية الجنوب، وهو الافاهتر ، وذلك أن اللعين إبليس، كان قد أزال البركة، حتى صار الناس لا يفرغون عن الطعام والشراب، ومنع الريح عن أن تهب ، فيبست الأشجار، وكادت الدنيا تبطل ، فصارحهم بأمر الله وإرشاده ناحية الجنوب، وقصد مثوى إبليس وأشياعه، وبقي فيها مدة حتى أزال ذلك ، فرجع الناس إلى الاعتدال والبركة، وتخلصوا من البلاء ، فعند ذلك رجع إلى الدنيا، وطلع في هذا

اليوم كالشمس سطع منه النور، لأنه كان نوراً مثلها ، وتعجب الناس من طلوع شمسين، واخضر كل عود يابس ، فقال الناس : روزنو " وزرع كل منهم الشعير في مركن أو غيره، تبركًا به"(٣) .

رواية الفردوسى فى الشاهنامه :

والفردوسى فى حديثه عن جمشيد، نراه يؤرخ لنشأة النوروز فيقول :

- وحين أصبحت الشمس المضيئة فى كبد

السماء جلس عليها ملك نافذ الأمر

- أصبحت الدنيا محفلاً على عرشه

راكعة من مجد سعده

- وقد نثروا على جمشيد اللآلئ

وسموا ذلك اليوم نوروزاً

- وعلى رأس السنة الجديدة هرمز وفروردين

واستراح الجسم من المشقة والقلب من الحقد

- وأضاء الملك الدنيا بالنوروز الجديد

وجلس على ذلك العرش سعيداً باليوم

- وتزين العظماء بالسعادة فطلبوا الخمر والكأس والمطربين

- وهكذا بقى هذا اليوم الميمون من تلك الأيام ذكرى لذلك الملك(٤)

فالنوروز فى رأى الفردوسى يوم ميمون وسعيد ، وهو الذكرى الخالدة الباقية لجمشيد(٥) .

رواية الخيام فى القرن الخامس الهجرى :

يرى الخيام في " كتابه نوروز نامه " أن كيومرث - الأول من ملوك الفرس - حينما تربع على العرش، أراد أن يضع أسماء لأيام السنة والشهر، وينشئ تاريخًا لها كي يعرفها الناس، وفي اليوم الذى دخلت فيه الشمس برج الحمل ، جمع موابذة العجم، وأمرهم أن يبدءوا التاريخ من تلك اللحظة ، فاجتمع الموابذه ووضعوا التاريخ ، وجعل كيو مرث هذا اليوم بداية للتاريخ ، وعلمه، وجعله عيداً ، وأخبر العالم ليعرفه الجميع، ويحتفلوا به، وحين أدرك جمشيد ذلك اليوم، سماه النوروز واحتفل به ، ثم حذا الملوك الذين أتوا بعده حذوه فى صنيعه هذا[٦] " ...

روايتا القلقشندى والمقريزى فى القرن الثامن الهجرى :

يشترك كل من القلقشندى فى كتابه " صبح الأعشى " والمقريزى فى كتابه "الخطط " فى رواية واحدة، تطابق إحدى روايات البيرونى - التى سبق ذكرها - وفحواها : " إن جمشاد لما ملك الأقاليم السبعة، والجن، والإنس، وإنه لما مضى من ملكه ثلاثمائة وست عشرة سنة، أقبل على عجلة من زجاج عملتها الشياطين، وسار بها إلى دباوند إلى بابل فى يوم واحد ، وجعل يسير بها فى الهواء حيث شاء ، وإن اليوم الذى ركبها فيه كان أول شهر افروريزماه ، وكان مدة ملكه لا يريهم وجهه ، فلما ركبها أبرز لهم وجهه ، وكان له حظ وافر من الجمال، فجعلوا يوم رؤيتهم له عيداً، وسموه نوروزا "[٧] .

رواية الألوسى فى القرن الرابع عشر الهجرى :

ينقل الألوسى فى كتابه " بلوغ الأرب "، نفس الرواية السابقة، كما يورد رواية أخرى، يقول فيها : " ومن الفرس من يزعم أن النوروز هو اليوم الذى خلق الله تعالى

فيه النور، وإنه كان معظماً قبل جمشاد ، وبعضهم يزعم أنه أول الزمان، الذى ابتدأ فيه الدوران "(٨) .

رواية جلال همائى فى العصر الحديث :

يذكر جلال همائى فى كتابه " تاريخ أدبيات إيران "، أن بعض الباحثين يعتقدون أن النوروز فى الأصل كان عيداً للأموات ، كما هو الحال بالنسبة ليوم الرغائب لدى المسلمين، وعيد الأموات لدى المسيحيين، فقد كان الإيرانيون القدماء يعتقدون أن أرواح الأموات تعود فى هذا اليوم إلى الأرض، وتطوف بالطرقات والديار ، ولذلك فقد كانوا يرتلون فى هذا اليوم لأرواح السابقين منهم أدعية وابتهالات إلى الله، ولكنى أعتقد أن حفلات النوروز لا تتعلق بعيد الأموات، وذلك لأن عودة الأرواح إلى الأرض لم تكن خاصة بيوم النوروز، دون غيره من أيام السنة، هذا بالإضافة إلى أن عيد الأموات لدى الفرس القدماء، كان عشرة أيام معروفة بـ " فروردكان "، وهى الأيام العشرة فى نهاية شهر اسفند "(٩) .

وفى رأيى أن رواية الخيام عن نشأة النوروز، هى أقرب الروايات إلى التصديق ، وذلك لاتفاقها مع ما ورد فى " الشاهنامه "، عن كيومرث وجمشيد، على اعتبار أن الشاهنامه أوثق المصادر التاريخية عن تاريخ الفرس، ابتداء من كيومرث، حتى يزدكرد الذى دالت دولة الفرس فى عهده وآل ملكهم إلى العرب . هذا بالإضافة إلى ما ذكره عبدالوهاب عزام فى حواشى الشاهنامه عن " كيومرث "، من أن الفرس كانوا يعتقدون أن الفلك قبل كيومرث – وهو الإنسان الأول عندهم – كان واقفاً غير متحرك، والطبائع غير مستحيلة، والكون والفساد غير موجود فيها، والأرض غير عامرة، فلما ظهر كيومرث أبوالبشر، حرك العالم، وحدث الإنسان الأول، وامتزجت العناصر، وانتظم العالم، وكان هذا بداية لتاريخهم "(١٠) .. ويستبين مما ذكرت من روايات تاريخية، حول نشأة النوروز أن الإجماع منعقد، على أن جمشيد صاحب الفضل فى تعييد هذا اليوم، مما دعى إلى تسميته باسمه فى كثير من المصادر، حيث يقال "النوروز الجمشيدى" ...

وقد سن جمشيد تقاليد، للاحتفال بهذا العيد، وجمعت الأمة الإيرانية حولها منذ العصر الأسطورى البيشدادى حتى اليوم ...

تقاليد النوروز :

تحدثت المصادر التاريخية، التى تناولت موضوع النوروز عن التقاليد، التى سنها جمشيد ومن خلفه من ملوك الفرس، وعن هذا يحدثنا البيرونى فيذكر أن ملوك الفرس، كانوا يحتفلون بهذا العيد بستة أيام، تبدأ مع اليوم الأول من شهر فروردين ، " جاعلين كل يوم لطبقة من الطبقات، ويبدأ الملك اليوم الأول من الاحتفالات بالجلوس للعامة، وقضاء حوائجهم، والإحسان إليهم ، وفى اليوم الثانى يجلس لمن هم أرفع درجة، وهم الدهاقين وأهل البيوتات ، وفى اليوم الثالث يجلس لأساورته وعظماء موابذته ، وفى اليوم الرابع لأهل بيته وقرابته وخاصته، وفى اليوم الخامس لولده وصنائعه ، فيصل لكل واحد ما استحق من الرتبة والإكرام ، ويستوفى ما استوجبه من المبرة والإنعام، فإذا كان اليوم السادس، وهو يوم " خورداذ " احتفل بالنوروز الكبير ، وذلك بعد أن يكون قد فرغ من قضاء حقوق الناس فى نوروز لنفسه ، ولا يصل فيه إلا أهل أنسه ومن يصلح لخلوته من الظرفاء"(١١) . ويعتقد الفرس أن جمشيد هزم إبليس يوم النوروز الكبير ، ونادى فيمن حضر وكتب إلى من نأى بأن يخربوا النواويس العتيقة، ولا يبنوا فيها ناووساً جديداً ، فقد سار فيهم سيرة ارتضاها الله، وكان من جزائه إياه أن جنبهم الأسقام، والهرم، والحسد، والفناء، والهموم، والمصايب، فلم يمت شيء من الحيوان مدة ملكه(١٢). ومن تقاليد النوروز ما أجمع عليه الجاحظ فى " المحاسن والأضداد " والبيرونى فى " الآثار الباقية "، والخيام فى " نوروز نامه "، والقلقشندى فى " صبح الأعشى "، والألوسى فى " بلوغ الأرب " أن أول من يدخل على الملك فى صبيحة يوم النوروز هو كبير الموابذة ، " وكان يأتى من الليل، وقد أرصد لما يفعله حسن الاسم والوجه ، ذلق اللسان، فيقف على الباب حتى يصبح ، فإذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان ، ويقف حيث يراه ، فيقول له الملك : من أنت، ومن أين أقبلت، وأين تريد،

ومع من قدمت، وما معك ؟، فيقول : أنا المنصور واسمى المبارك ، ومن قبل الله، أقبلت والملك السعيد، أردت، وبالهناء والسلامة وردت، ومعى السنة الجديدة، ثم يقدم للملك طبقًا من فضة، وعليه حنطة، وشعير، وجلبان، وحمص، وسمسم، وأرز، وعدس، من كل صنف سبع سنبلات، وسبع حبات فى جوانب الطبق ، ووضع فى وسطه سبعة من قضبان الشجر، التى يتفاءل بها، وباسمها، ويتبرك بالنظر إليها، كالخلاف، والزيتون، والسفرجل، والرمان، وقطعة سكر، ودينار ودرهم جديدان، وكأس ذهبية ملأى بالمدام، ويقدم له خاتم، وسيف، وسهم، وقوس، ودواة، وقلم، وجواد، وصقر، وغلام حسن الوجه، ثم يمدح الملك، ويخاطبه بالخطاب التالى: "أيها الملك فى عيد فروردين بشهر فروردين، أشكر الله، والدين الكيانى، ليمنحك ملك الوحى المعرفة، والبصيرة بحسن العمل ، ولتعش طويلاً بالخلق الطيب ، وكن سعيداً على عرش الذهب ، واشرب هنيئًا بكأس جمشيد، واحفظ مع علو الهمة سنن القدامى، ورياضة العدل، والصدق، لتبق شاباً وشبابك كنامى الشعير ، ليكن فرسك منتصراً ومقضى الغرض، وسيفك وضاء وماضياً على الأعداء، وصقرك قبوضاً، وموفقًا فى الصيد ، وعملك مستقيماً كالسهم ، وافتح بلداً جديداً ، ولتبق على العرش مع الدرهم والدينار ، وليكن الفنان والعالم عندك مكرمين، والدرهم ذليلاً، وقصورك عامرة، وحياتك مديدة "(١٣) .

وبعد أن يتلو خطابه يضع الطبق بين يديه، ويعطيه الكأس فى يد، ويضع الشعير فى اليد الأخرى والدينار والدرهم أمام عرشه معبراً بذلك عن تفاؤله فى اليوم الجديد والسنة الجديدة بأن يظل الكبار سعداء، حتى اليوم التالى بأول ما تقع أعينهم عليه، وأن يكون مباركًا عليهم ، لأن سعادة العالم وعمرانه بهذه الأشياء، التى أتى بها للملك .. ثم تقدم إليه الهدايا ، ويكون أول من يدخل عليه بعد ذلك وزيره، ثم صاحب الخراج، ثم صاحب المئونة، ثم الناس على مراتبهم، وبعد ذلك يقدم كبير الموابذة إلى الملك رغيفاً مصنوعاً من تلك الحبوب - التى ذكرت - فى سلة ، فيأكل منه، ويطعم من حضره ، ثم يقول : " هذا يوم جديد، من شهر جديد، من عام جديد ، من زمان جديد ،

يحتاج إلى أن يجدد منه ما أخلق الزمان، وأحق الناس بالإحسان والفضل الرأس لفضله على سائر الأعضاء " .. ثم يخلع الملك على وجوه دولته، ويصلهم، ويفرق عليهم، ما وصل إليه من الهدايا، ويودع الخزائن ما شاء "(١٤) .

عادة تقديم الهدايا :

عقد الجاحظ في كتابه " التاج " فصلاً عن سنة تقديم الهدايا في العصر الساساني، يقول فيه : " والسنة عندهم، أن يهدي الرجل ما يحب من ملكه، إذا كان في الطبقة العالية ، فإذا كان يحب المسك، أهدى مسكًا، لا غيره، وإن كان يحب العنبر، أهدى عنبراً ، وإن كان صاحب بزة ولبسة، أهدى كسوة وثياباً، وإن كان الرجل من الشجعان والفرسان، فالسنة أن يهدي فرسًا، أو رمحًا، أو سيفًا، وإن كان راميًا، فالسنة أن يهدي نشاباً، وإن كان من أصحاب الأموال، فالسنة أن يهدي ذهبًا أو فضة، وإن كان من عمال الملك، وكانت عليه موانيذ للسنة الماضية، جمعها وجعلها بدر حرير صيني وشريحات فضة ، وخيوط حرير وخواتيم عنبر ثم وجهها، وكذلك إنما كان يفعل من العمال من أراد أن يتزين بفضل نفقاته أو بفضل عمالته أو أداء أمانته، وكان يهدي الشاعر الشعر، والخطيب الخطبة، والنديم التحفة، والطرفة، والباكورة من الخضروات . وعلى خاصة نساء الملك وجواريه أن يهدين إلى الملك ما يؤثرنه ويفضلنه – كما قدمنا في الرجال – غير أنه يجب على المرأة من نساء الملك إن كانت عندها جارية تعلم أن الملك يهواها ويسر بها أن تهديها إليه بأكمل حالاتها، وأفضل زينتها، وأحسن هيأتها، فإذا فعلت ذلك فمن حقها على الملك أن يقدمها على نسائه، ويخصها بالمنزلة، ويزيدها في الكرامة، ويعلم أنها قد آثرته على نفسها، وبذلت له ما تجود النفس به، وخصته بما ليس في وسع النساء إلا القليل منهن الجود به، ومن حق البطانة والخاصة على الملك في هذه الهدايا أن تعرض عليه، وتقوم قيمة عدل ، فإذا كانت قيمة الهدية عشرة آلاف أثبتت في ديوان الخاصة ، فإذا كان صاحبها ممن يرغب في الفضل، ويهدف إلى الربح ثم نابته نائبة من مصيبة يصاب بها، أو بناء يتخذه، أو مأدبة يأدبها، أو عرس

يكون من تزويج ابن، أو إهداء ابنة إلى بعلها – نظر إلى ماله فى الديوان، وقد وكل بذلك رجل يرعى هذا وما أشبهه ويتعهده ، فإذا كانت قيمة الهدية عشرة آلاف، ضوعفت له ليستعين بها على نائبته ، وإن كان الرجل ممن أهدى نشابة، أو درهما، أو تفاحة، أو أترجة أمر الملك أن تؤخذ أترجته، فملأ دنانير منظومة، ويوجه بها إليه، وكان لا يعطى صاحب التفاحة إلا كما يعطى صاحب الأترجة، وأما صاحب النشابة، فكانت تخرج نشابته من الخزانة وعليها اسمه، فتنصب ويوضع بإزائها من كسوة الملك ومن سائر الكساء ، فإذا ارتفعت حتى توازى نصل النشابة دعى صاحبها، فدفعت إليه تلك الكسوة .. وكل من قدمت له هدية فى النوروز والمهرجان ، صغرت أم كبرت ، كثرت أم قلت، ثم لم يخرج له من الملك صلة عند نائبه، تنوبه أو حق يلزمه، فعليه أن يأتى ديوان الملك، ويذكر بنفسه، وأن لا يغفل عن إحياء السنة ولزوم الشريعة. وإن غفل عن أمره بعارض يحدث فإن ترك ذلك على عمد، فإن سنة الملك أن يحرمه أرزاقه لستة أشهر، وأن يدفعها إلى عدوه ، إذا أتى شيئًا فيه شين على الملك، ووضعه فى المملكة .. وكان من عادة أردشير بن بابك، وبهرام كور، وأنو شروان أن يأمروا بإخراج ما فى خزائنهم فى النوروز من الكسى، فتفرق على بطانة الملك وخاصته ، ثم على بطانة البطانة، ثم على سائر الناس على مراتبهم، وكانوا يقولون إن الملك يستغنى عن كسوة الصيف فى الشتاء، وعن كسوة الشتاء فى الصيف ، وليس من أخلاق الملوك أن تخبأ كسوتها فى خزائنها، فتساوى العامة فى فعلها، فإذا كان يوم النوروز لبس خفيف الثياب ورقيقها وأمر بكسوة الشتاء كلها ففرقت(١٥) .

ويذكر " البيرونى " أن الملوك بعد جمشيد جعلت هذا الشهر(١٦) كله أعيادًا مقسومة فى أسداسه ، فالخمسة الأولى للملوك، والثانية للأشراف، والثالثة لخدم الملوك والرابعة لحواشيهم، والخامسة لجنده، والسادسة للعامة، وكانت الاحتفالات فى هذه الأيام تسير على النهج الذى ذكر .. ومن تقاليد الساسانيين فى الاحتفال بهذا اليوم " أنه كان يبنى قبل النوروز بخمسة وعشرين يومًا فى صحن دار الملك اثنتى عشرة أسطوانة من لبن، تزرع أسطوانة منها برًا، وأسطوانة شعيرًا، وأخرى أرزًا، وأخرى عدسًا وأخرى باقلى، وأخرى قرطمًا، وأخرى دخنًا، وأخرى ذرة، وأخرى لوبيا، وأخرى

حمصًا وأخرى سمسماً وأخرى ماشًا ، ولم يكن يحصد ذلك إلا بغناء، وترنم، ولهو، وذلك يوم النوروز الكبير، وإذا حصد نثر فى المجلس، ولم يكسر إلى روز مهر من شهر فروردين، وإنما كانوا يزرعون هذه الحبوب للتفاؤل بها، وكان الملك يتبرك بالنظر إلى نبات الشعير خاصة، وكان مؤدب الرماة يناول الملك يوم النوروز قوسًا، وخمس نشابات، بينما يناول الملك قَيِّمَةُ على دار المملكة أترجة، فكان يغنى بين يدى الملك غناء المخاطبة، وأغانى الربيع ، وأغانى يذكر فيها أبناء الجبابرة، وكان الفلهبد - مغنى كسرى - أكثر ما يغنى العجم أيام كسرى أبرويز ، ومن أغانيه مديح الملك، وذكر أيامه ومجالسه وفتوحه، يصوغ له الألحان ، ولا يمضى يوم إلا وله فيه لحن جديد، وشعر جديد، وضرب بديع، وكان يذكر الأغانى التى يستعطف بها الملك، ويستميحه، لمرازبته وقواده، ويستشفع لمذنب، وإن حدثت حادثة أو ورد خبر كرهوا إنهاءه إليه، قال فيه شعراً أو صاغ له لحنًا . كما كان يطير فى كل يوم من أيام النوروز باز أبيض، وكان مما يتيمن بابتدائه فى هذا اليوم لقمة من اللبن الصرف الطرى والجبن الطرى ، وكان جميع ملوك فارس يتبركون بذلك(١٧) ... " وهناك أعمال يقوم بها الملك، ولا تتم إلا يوم النوروز، منها افتتاح الخراج، وتولية العمال، والاستبدال ، وضرب الدراهم والدنانير، وتذكية بيوت النار، وصب الماء، وتقريب القربان وإشادة البنيان(١٨) .

أما عن عادات الناس وتقاليدهم يوم النوروز، فكانت عادتهم فيه إيقاد النار فى ليلته، ورش الماء فى صباحه، والاغتسال(١٩) به تطهيراً من الذنوب، كما جرت العادة بأن يلعق كل فرد ثلاث لعقات عسل قبل الكلام، ويدهن بالزيت، ويتبخر بثلاث مطاع من شمع، وذلك لاعتقادهم أن فى ذلك شفاء من الأمراض، كما جرى الرسم بتهادى الناس السكر فيما بينهم تبركًا به(٢٠) .

النوروز والتقويم :

اتخذ النوروز طابعًا آخر أضفى عليه اهتمامًا خاصًا فى إيران والعالم الإسلامى المحيط بها ، وهو ارتباطه بالتقويم الإيرانى، واتخاذه منذ عهد كيومرث، بداية للسنة

الإيرانية، وكانت السنة فى العهد الساسانى أن يفتتح خراج كل سنة يوم النوروز – على نحو ما ذكرت من قبل – وقد بقيت هذه السنة إلى ما بقى فى دواوين الخلفاء من أمويين وعباسيين ، وجعل النوروز موعداً لافتتاح الخراج الإسلامى أيضًا، لكن طابع السنة الإيرانية منذ القدم غير ثابت، فقد وصف الفلكيون السنة الإيرانية بالمتحركة أو المتنقلة، وذلك لعدم استقرارها على حال واحدة، لا من جهة مطابقة أولها لنقطة معينة فى فلك البروج، كغيرها من السنين الشمسية البالغ عددها خمسًا وستين يومًا وثلاثمائة وربع اليوم تقريبًا، ولا من جهة تكرار تواريخ أعيادها فى مواعيد ثابتة منها، فقد كان الفرس يقسمون السنة اثنى عشر شهراً كل شهر ثلاثين يومًا[٢١] ، وكانوا لتكملة عدة أيام السنة إلى خمس وستين يوما وثلاثمائة وربع اليوم يعمدون أولاً: إلى الشهر الثامن "أبان"، فيضيفون إليه خمسة أيام لأجل النسىء، ويسمونها بالأيام المسترقه "اندركاه"، فيصبح شهر آبان خمسة وثلاثين يومًا، ثانيًا: زيادة شهر على كل دورة زمنية، قدرها مائة وعشرون سنة ، وهذا الشهر هو مجموع أرباع اليوم المتراكمة خلال سنى هذه الدورة ، ويجعلون ترتيبه بالنسبة للدورة الأولى بعد الشهر الأول من السنة " فروردين " ويعطونه اسمه فيقولون "فروردين الثانى"، وهكذا يفعلون بالنسبة للدورة الثانية، إذ يلحقون ذلك الشهر بالشهر التالى .. وهكذا إلى الشهر الثانى عشر ، فيطوف الشهر الكبيس بأشهر السنة الاثنتى عشرة مرة كل أربعين وأربعمائة وألف سنة، وبذا كان الشهر والأيام المكبوسة تأتى دائمًا فى نهاية السنة الثابتة، ولا تتغير مواضعها إلا فى السنة المتنقلة، وقد عمد الفرس إلى ذلك لأن الشهور الإيرانية – كما هو معروف – لم تكن تقسم فى التقويم الفارسى إلى أسابيع، كما هو الحال فى التقويمين العربى والرومى، بل كان لكل يوم من أيام الشهر اسم خاص، يتكرر مرة فى كل شهر ولكل يوم أعمال دينية خاصة به، حسب التعاليم الزرادشتيه ، فإذا أضافوا إلى الشهر يومًا أخل ذلك بترتيب الأيام، وبالنظام الخاص بتتابع الأعمال فى كل يوم .. ولذلك كانوا يؤخرون التكبيس عشرين ومائة سنة، كما ذكرت – حتى يصير الزائد شهرًا كاملاً فيضيفونه إلى شهور تلك السنة، ويعاملونه معاملة بقية الشهور[٢٢] ...

وتتفق جميع المصادر التاريخية أمثال كتب : "المسعودى، والبيرونى، والطبرى، وألغ بك" على أن هذه الكبيسة كان يعمل بها فى العهد الساسانى . ويذكر " البيرونى " أن الفرس كانوا يحتفلون بها احتفالاً كبيراً فى جمع عظيم من العلماء، والمنجمين، والحساب، وكبار رجال الدولة، وينفقون فى ذلك أموالاً طائلة[٢٣] .

وقد حدث خلل فى العمل بهذه الكبيسة فى أواخر الدولة الساسانيه ، ولما حل عهد كسرى ابروين، لم يعمل بالكبيسة منذ هذا العهد .. وعلى ما هو معروف ومشهور، فقد انتهت حلقات سلسلة ملوك فارس بيزدجرد الثالث، الذى دالت دولة الفرس فى عهده، ودخلت بلاد فارس تحت الحكم الإسلامى ، فاستمر حساب السنين من عهد هذا الملك، ونشأ عن هذا "تأريخ يزدجرد"، الذى يبدأ بيوم الثلاثاء ١٦ يونيو سنة ٦٣٢م، وتاريخه هذا على سنى الفرس غير المكبوسة، وقد استعمل هذا التاريخ فى الأزياج لسهولة العمل به بقريب من سبعين سنة[٢٤]، ولما لم يكن هناك كبس فى القرون الأولى من تأريخ يزدجر ، فقد ظلت أيام النسىء تلحق فى موضعها قبل شهر آبان من السنة المتنقلة، ونتج عن إهمال الفرس لكبيستهم أن النوروز فى السنة الجديدة لتأريخ يزدجر ظل على الدوام فى تأخر ، كما ظلت الأعياد التى تقام خلال السنة تتزحزح، وتنتقل من مواعيدها الموقوته بالنسبة لفلك البروج على توالى تلك الدورات الزمنية، ومع مرور الزمن أصبح النوروز يتغير عن موعده، ويتقدم يومًا كل أربع سنوات، حتى صار ذا وطأة على المزارعين والدهاقين تدريجيًا ، إذ كان عليهم أن يؤدوا الخراج قبل موسم الحصاد ... واستمرت هذه الحال حتى زمن المعتضد العباسى، ويوضح ذلك المسعودى قائلاً : " ولما زال ملكهم وفنيت ملتهم، وذهب من كان يكبس ربع اليوم من ملوكهم، انتقلت أيامهم، فدار نوروزهم فى مدة مائتين وخمسين سنة إلى أيام المعتضد العباسى نحواً من شهرين ، وتقدم لذلك استفتاح الخراج عن الوقت الذى يحصل فيه غلال الناس ..."[٢٥] . وسأتحدث عن الإصلاح، الذى أحدثه المعتضد فى التقويم فى الصفحات التالية .

النوروز فى الشعر الفارسى :

أصبح التغنى بالنوروز شاغلاً من شواغل الحياة الأدبية الفارسية، كتعبير عن مقدم الربيع بالنسبة للحياة المادية، وكتعبير عن المجد والرفعة بالنسبة للحياة السياسية، فنوروز السلطان أو الأمير أو الممدوح بصفة عامة، هو المعبر عن قمة حياة المجد، التى كان يحيا فيها، ولذلك فاضت قرائح شعراء الفرس، بما لا يحصى كثرة من أشعار فى ذكر النوروز، والتفنن فى وصفه، وإبراز محاسن الطبيعة، ومفاتنها فيه، واتخذوا من ذلك توطئة تقليدية، يمهدون بها لمدح العظماء، وفى الحقيقة إن القول فى النوروز حل محل القول فى أغراض أخرى، جرت عادة الفرس بطرقها، مستهلين بها قصائدهم ، كالتغزل فى شعر المرأة، ووصف العطر، الذى ينفح منه، فيفعم القلوب بالنشوة ، غير أنهم لم يبلغوا ذلك طفرة واحدة، فقبل أن يصبح وصف النوروز وذكره تقليداً أدبيًا فى مقدمات المدائح يستغرق أبياتًا كثيرة ، ورد ذكره عرضًا فى أبيات معدودة عند شعراء الفرس الأول، وأضرب لذلك مثلاً قول الرودكى فى إحدى قصائده، التى يصف فيها وصول جيش جرار إلى إحدى المدن [٢٦]، يقول :

وقـــد وصلـــوا إلـــى مدينـــة ما أطيبـــها مدينـــة

وضـــرب الجيـش خيامه بين السهل والحزن

لكأنما هم أزهار الريحان من غير أن يكونوا فى النوروز

مستعدين للشد على عدوهم وتحريق روحه

فليكـــن صقـــرك موفقـــًا وروحـــك ســـعيدة

بالنـــاى والعـــود ونبيـــذ فنـــاروز[٢٧]

إذا انتقلنا مع النوروز إلى العصر الغزنوى، وجدنا " الفردوسى " فى الشاهنامه، يؤرخ لنشأة النوروز فى حديثه عن جمشيد[٢٨]، فيقول :

- وحين أصبحت الشمس المضيئة فى كبد

السماء جلس عليها ملك نافذ الأمر

- أصبحت الدنيا محفلاً أمام عرشه

راكعة من مجد سعده

- وقد نثروا على جمشيد اللآلئ

وسمُّوا ذلك اليوم نوروزا

- وعلى رأس السنة الجديدة هرمز وفروردين

واستراح الجسم من المشقة والقلب من الحقد

- ففى يوم النوروز الجديد ، يوم النصر

جلس الملك المنور للعالم على العرش منتصراً

- وتزين العظماء بالسعادة

فطلبوا الخمر والكأس والمطربين

- وهكذا بقى هذا اليوم الميمون من

تلك الأيام ذكرى لذلك الملك(٢٩)

فالنوروز فى رأى الفردوسى يوم ميمون وسعيد ، وهو الذكرى الخالدة الباقية لجمشيد .

وإذا مضينا مع النوروز إلى شاعر آخر معاصر له، وجدنا منوجهرى، يحفل ديوانه بذكر النوروز، حتى أنه يذكره فى اثنتى عشرة قصيدة من قصائد ديوانه الثمانية والستين .. ومن الملاحظ أن الخمر، والطبيعة، والنوروز، هى الموضوعات الثلاثة التى يبدأ بها دائمًا قصائده، فقد ساعد غنى الدولة والأموال التى تدفقت على خزائنها

من فتوحات الهند على إقامة احتفالات كبيرة، لإحياء السنن القديمة، وإشاعة الرفاهة والرخاء بين الناس ، مما أفضى إلى تقلبهم فى النعيم، وقدرتهم على إقامة حفلات النوروز، فقد كان العصر عصر حرب ، ودائماً فى عصور الحرب تكون هناك أيضاً إلى جوارها فترات لهو، وإقبال على الطبيعة، ومن ثم نستطيع تفسير الكثرة الغالبة من شعر الطبيعة والإقبال على الحياة عند شعراء الفرس فى العصر الغزنوى، وعيد النوروز هو الإطار الذى يتجلى فيه الربيع وجماله، وحيثما كان هناك ربيع تكون هناك احتفالات وخمر وغزل .. وهذه بعض النماذج من قصائد منوجهرى فى النوروز ، أبدؤها بقصيدة يمدح فيها أحمد بن عبد الصمد الميمندى، ويستهلها بالتغنى بالنوروز، يقول فيها :(٣٠)

عيد النيروز يوم فرح وسعادة لا حصر لها

ويوم طواف الساقى ذى الوجه المضىء كالشمس

فيجب أن ينتقل المجلس إلى الحديقة لأن لها الآن

أغطية من الجوهر ومساند من الند

وانظر إلى هذه الأكمام لزهرة الريحان وأغصانها

تشبه مائة ألف همزة على طرف المد

والنرجس يبدو وكأنه حلقة ذهبية

وفى وسط هذه الحلقة الذهبية وتد

ووسط الشقائق الحمراء قلب عنبرى

فالقلب من العنبر والجسد كالعقيق

والثرى والدولة من الورد ولد

فما أكثر رشد الوالد الذى يكون له ابن لطيف

وللسحاب الناشر للجوهر عشرين مرة فى اليوم

الضحك والبكاء والجزر والمد

والشمس مثل الحبيب المعذب مع حبيبه

فحينا فى حرب وصلح وحينا فى وصل وصد

ولزهرة الإقحوان الصفراء عين أهدابها صفراء ومقلتها سوداء

وعليه قناع زبرجدى ورمد فى لون العقيق

والسنبل يبدو وكأنه جديلة مجعدة ذات عقود

فما أجمل تلك الجدائل التى يكون الدر فيها عقداً

وحينما تهمس الأمطار إثر بعضها فى يوم عاصف

فإنها تشبه يد أحمد بن عبد الصمد الكريمة(٣١)

ومن أروع ما قاله منوجهرى فى النوروز هذه القصيدة، التى يصور فيها معركة بين النوروز والشتاء ، فالنوروز قد أعد جيشًا قوامه الحديقة، والسهل، والجبل، والجدول، والنهر ، وأعد الشتاء جنده من العواصف والبرد، وفى هذه المعركة أغارت جند الشتاء على ملك النوروز ، وسلبت الزهور تيجانها، وخطفت من الأشجار سواعدها من الأوراق، وأخذت العمامات الحريرية الخضراء الموضوعة على رءوس الرياحين، وخلعت الأساور والأقراط من معشوقات النوروز الصغيرات، وهى الورود، والرياحين، وزهور الرمان، والياسمين . يقول منوجهرى مصوراً هذه المعركة :

لقد عزم النوروز الشهير على الهجوم

ورفع راية الهجوم وقصد الحرب على جند الشتاء

- وذلك لأنه قد ظهر لخمسين يومًا مضين

عيد السذق الذى هو طلائع النوروز والربيع

- نعم ففى كل وقت يسير الجيش إلى الحــرب

يجــــب أن تســـبقه طلائـــع بعـــدة أيـــام

- وهذه الحديقة والسهل ملك لشهر النــوروز

وكذلك الجبــل والســفح والجـــدول والنـــهر

- فجدوله ملىء بالصنوبر وجبله ملىء بالياسمين

وسهله ملىء بالبنفسج وحديقته مليئة بزهور البرتقال

- وعنــــدما رأت أشـــــهر الشـــــتاء أن

شـــهر النـــوروز قـــد بقـى أربعة أشهر فى السفر

- سارعـــت فأغـــارت علـــى ملكـــه

بعســـكر كثيـــف وجيـش نـزق الفعـــال(٣٢)

- وسـلبت تيجـــان كل مفـــارق الياســـمين

وحمـــلت كل قبضـــات شـــجر البلـــوط

- وأخذت العمامات الحريرية الخضراء الموضوعة على رءوس الرياحين

وكســـرت الحلقانى الذهبيه والدرية، المليئة بالفواكه

- وقـــد أجلســـت فـــى الحديقـــة فرقـــة من بعـــد فرقـــة

وقـــد رســمت في الســـهول صــفًا بعد صـــف

- مـــن هـــؤلاء الســـادة ذوى الأقبـــية ذوات الربـــاط الأبيــــض

ومن هؤلاء الزنوج ذوى الأفواه الحمر سودى الفعال

- وعندما رأت رياح الشمال مثل هذا من الشتاء

وقفت باضطراب مثل جاسوس بلا قرار

- وقالت للنوروز إن كل ما كان لأسرتك الملكية

من عظمة وزينة فيما مضى

- قد أغار عليه جنود الشتاء في خزائنك

كما أغارت على كنزك العظيم ودرك الملكي

- وعلى معشوقاتك الصغيرات الورد وزهر الرمان والياسمين

وقد خلعوا من أيديهن الأساور ومن آذانهن الأقراط

- وعلى مطربيك : الحمامة البرية والعندليب

وقد كسرا الناي فى أيديهما وحطّما الطنبور في جنبيهما(٣٣)

- قال شهر النوروز بروح ورأس الأمير

إنني أكاد أسلم الروح وأحدث بعض الدمار

- وسأحشد جيشًا من لابسي الديباج الأخضر

شعورهم ملتوية كالسلاسل وقدودهم كالسرو وسحناتهم ممزقة

- وأعمل من الأرجوان مناطق ومن الريحان دروعًا

ومن الأشجار الحور مشاة ومن أشجار الصفصاف فرسانًا

- وسأجعل من قوس قزح قوسًا ومن أغصان الكافور سهمًا

وسأجعل من أوراق الشقائق راية ومن البرق ذو الفقار

- وسأجعل من السحاب فيلاً ومن الرياح فيالاً

ومن صوت الرعد مرايا على دروع الفيلة لا عدد لها

- وقبل أن يسدل النوروز ستائر خيمته

على نبات الحديقة وعرائس السهل

- أرسل من قبل مجيئه عيد السذق

الميمون مثل الطلائع المباركة

- وقال له اذهب واهجم على الشتاء

واطو الصحراء واقطع الفيافى

- وعندما تصل إليه فى الليل الحالك الظلمة

أشعل النار المرتفعة بسرعة مثل النهار

- وقد وطدت العزم ونويت على الحركة

تجاه ملك الملوك(٣٤)

- فبلغ عنى أيها الرسول هذا الخبر

إلى سادة كل الشرق والغرب

- وحذار أن تتحدث معه عنى

على لسانك مرة ثانية ، حذار

- ذلك أن هيبته أعظم مما يتحدث مثلك

إليه مباشرة وبوضوح(٣٥)

- فقـــــل للحاجـــب هـــذا الحديـــث فـــى الخفـــاء

حتـــى يوصـــل الصـــاحب هـــذا الكـلام إلى السلطان[٣٦]

وفى هذه القصيدة نلاحظ تأثير الروح الحربية السائدة فى العصر الغزنوى، حتى على الأشعار التى تصف الطبيعة، فقد جعل الشاعر من الشتاء والربيع جيشين، كل فى مواجهة الآخر ، وكلاهما له سلاحه ، والحرب بينهما سجال .. ومن ألوان الشعر الأخرى التى تغنى فيها منوجهرى بالنوروز تهنئته الأمراء والسلاطين بهذا العيد، وهو فى هذا اللون من الشعر يخصص غالبية أبيات القصيدة لوصف الطبيعة الساحرة فى النوروز وأركان الجمال، التى تحظى بها الطبيعة من ورود، ورياحين، وأزهار، ويختم القصيدة بتهنئة ممدوحه بالعيد، والدعاء له بطول البقاء والسعادة . ومثال لهذا اللون هذه الأبيات، التى قالها فى مدح أبى القاسم كثير[٣٧] :

- أقبـــل النـــــوروز ســــعيداً وبديعـــــاً وســـاراً

وجـاء معــه بطالع السـعادة والكـواكب المنيـرة[٣٨]

- والسحاب الأسـود يبدو وكأنه مرضعة حبشـــية وتبدو

الأمطار كاللبن وخمائل الشقائق كالطفل الرضيع[٣٩]

- وإذا كان الرضيـــــع هــــو حمـــــر الشــــــقائق

فلمـــاذا يصفـــر بلبـــل الجبـــل مثـــل الرضيـــع

- ويغنــــى الحمـــــام البـــــرى عنـــــد الفـــجر

بألحـان زلـزل الـرازى(*) أشـعار أبى نـواس وجـرير

- ويغرد العندليب على أغصان الصفصاف عصر شهريار

ويشدو البلبل على أشجار السرو نغمـة عـرش أردشير

- وقد أصبح النرجس الجـــديد عاشــقًا فى صغــــــره

حتـــى احدودب ظهره مثل الشيخ وهو بعد حدث

- وتشبه زهـره الأقحـوان الصـفراء مكحـــلة ذهبيـــــة

وقـــــد وضـع الصنـــوبر فى المكحلة مكان الكحل

- وزهـــرة الجلنـــــار مثـــل حائـــــك ماهـــــــــر

يخيـــــط قطـــعة مـن الحرير فــى لـون العقيــق

- وعلــــى غصـــن شـــجرة الرمــــان وردة حمـــــراء

كوعــــــاء صغــــير للنرجـــس من العقيـــــق

- والنــــــرجس يشـــــبه مطـــــــربًا ألقـــــــى

حلقـــــة صفـــــراء فـــــوق الـــربــــاب

- وصـــــارت أوراق البنفســــــج زرقـــــــــاء

كظفـــــر يد طفـــل رضـيع تجمـــد من البــــرد

- وذلك النرجــــس كبـــائع المســـك المشــــــهور

مخمــــــــر العنبــــر فــى كـــأس بلـــورية

- وها هى رياح الربيع المحملة برائحة الكافور وكأنها رسول

بيـــن الســــــحاب وحـــدائق الياســــــمين

- وها هى الطيور تدعو عند الفجر فوق أغـصان الزهـــور

بطـــول البقـــاء لروح حيــاة أبى القـاسم كثير(٤٠)

ومما لا شك فيه أن منوجهرى وشعراء الطبيعـــة فى هذا العصـــر، قد وجدوا فرصة مواتية في النوروز، ليعبروا عن فرط ولوعهم بوصـــف محاســـن الطبيعـــة، وجمالها، ومفاتنها فى النوروز ، كما اتخذوا من النوروز حلية تزيّن قصائدهم ومقدمة يستهلون بها قصائد المديح والتهنئة، كتعبير عن اتجاه أدبى، ساد فى الشعر فى هذا العصر .

النوروز فى العصر السلجوقى :

إذا انتقلنا مع النوروز إلى العصر السلجوقى، وجدناه يحظى بقدر غير قليل من اهتمام شعراء هذا العصر، ولا يخلو ديوان من دواوينهم من التغنى به، ووصف الطبيعة فيه ، والاحتفاء بعيده، وقد اخترت شاعرين من شعراء هذا العصر، للحديث عن أثر النوروز فى الشعر خلال العصر السلجوقى .

أولهما : الشاعر معزى: ويتبين من دراسة ديوانه أن فن المديح، هو اللون الغالب على قصائد الديوان .. ورغم ذلك فقد حظى النوروز، باهتمام معزى، وورد ذكره فى اثنتى عشرة قصيدة من الديوان، متخذاً منه مقدمة يستهل بها قصائده فى المديح، ومتغنيًا بمحاسن الطبيعة فيه، ومهنئًا ممدوحه بحلول الربيع، ورغم الكثرة الغالبة من قصائد المديح، فهناك بعض القصائد التى يخصصها معزى للحديث عن النوروز فى وصف مسهب مفصل، وهذه القصائد وإن كانت قليلة ، إلا أنها تعكس اهتمام معزى بوصف الطبيعة فى النوروز

ومثالاً لذلك الأبيات التالية(٤١) :

نسيم النـــوروز يختـــال عـــلى البســـتان

وسحاب نيسان ينثر اللؤلؤ على الورد(٤٢)

وكـــأن كنـــــز الياقـــوت مثمــــر بالجواهــــر

وكــأن كــرخ بغــداد بســـتان مـــن كثرة طــرائفه

صار السهل كقماش شــوشتر والبستان مـثل المشـــترى

وصــار المــاء كالسلسـبيل والتــراب كالحــــرير

وامتــــلأ الجبـــل بالحـــلل والمرعـــى بالحلـــى

وامتـلأ النـهر بالأنـوار وامتـلأت الـروضة بالجـواهر

كل شـــجرة من البراعـــم ناثـرة للفضـــة لابســـة للـدر

ومن البنفسج صارت كل أرض فواحة بالمسك ونيلية

لقـد اتخــذ كل نبـات كســـــاء من حبيبـــــة أخــرى

ولـــكل شـــجرة طيلســـــان من لـــون مختلــــف

حتى لا تميز السماء من الأرض الجبلية من كثرة كواكبها

كما لا تميز الأرض الجبلية من السماء من وفرة شقائقها

انظـــــر إلـــى المـــــــرج المحــــاط بالياســــمين

وانظـــر إلى شــقائق النعــمان وقد تمنطقت بالسنابل

فتـلك تبـدو كالـكأس البلـــورية وســـط اللازورد

وهـــذه كأنــها طســت ذهــبى وســـط زعـــفران

انظـر إلى الحديقـة وهى سعـــيدة بما صنـــعه الربيـــع

وانظــــر إلى البـــستان وهــــو مفـــتون بالحبـيب

ذلك الحبيب الذى يبدو من وصـله وهجــره

ربيعًا فى خريف عمرى وخريفًا فى ربيعه

ومعزى فى هذه الأبيات يجرى على مألوف عادته من عرض الصور الشعرية والتشبيهات المختلفة، فهو يشبه كرخ بغداد بالبستان، والسهل فى النوروز كقماش شوشتر ، والماء كالسلسبيل، والتراب كالحرير، والسماء لا تستطيع تمييزها من الأرض من كثرة ما اكتست بالشقائق، والأزهار والورود التى تشبه كواكب السماء .. وهذه البراعة فى تصوير الطبيعة فى النوروز، تعكس مهارة معزى فى "فن الوصف" وتمكنه منه، بعد أن أمده جمال الطبيعة فى النوروز بمادة خصبة، ينسج منها خيوط قصائده .

أنــورى : هو الشاعر الثانى، الذى اخترته، للحديث عن أثر النوروز فى الشعر فى هذا العصر، وأغلب قصائد ديوانه فى المديح أيضًا، وتمتزج عديد من هذه القصائد بوصف شاعرى للربيع والنوروز، إما كبراعة استهلال، أو كخاتمة فياضة بأحاسيس شاعر ملهم، يعشق الطبيعة وجمالها . وقد تحدث عن النوروز فى اثنتين وعشرين قصيدة من الديوان .

وقد اخترت بعض النماذج، التى يتضح فيها أثر النوروز فى شعر أنورى، ومنها الأبيات التالية :

إنه يوم اللهـو والطـرب فى البســتان

إنه يوم سوق الزهور والريحان

والتــــربة ممزوجــــة بالعبيــــر

وذيــل الريـح ينثــر ماء الورد

ومن ملاقاة ريح الصبا بوجه الغدير

تــراب مثــل ذرات مبــرد

وشقائق النعمان على الغصـن الزمــردى

كــأنه حجـــر المرجـــــان[٤٣]

وما دام الصبا قد أشرع خنجره الصفصافى

فصحــن الــروض ملــىء بالأسـنة

والبــازى فـــى ألحـــان البلبـــل

مطـــرب منتـــدى البســتان

ولأجـــل تهنئـــة عيـــد النـــوروز

حـل نسيـم الصبا ضيفـًا علـى الروض

وساعـد الغصـن بتأثيـر مشاطـة الطبيعـــة

قــد غـرق فـى جــواهر الألــوان[٤٤]

ووجـــه الــروض من رســـام الربيـــع

صار فى الجمال مثل معرض الصور[٤٥]

ومن قصـائد المديح التى يستـهلها بوصف النوروز، ومفـاتن الطبيـعة، فيه هذه الأبيات :

أحضر الخمـر يا ساقى فـإن نوروز الدنـيا

يوم مبـــارك مثـــل طلعـــة المـــلك المعـــظم

لقد أودع النسيم الروح فى جسم الأرض

كـــأنه نفـــس عيـسى بـــن مـــريم

لقد تعطرت ساحة المرج من نسيم الصـبا

نعم إنه فى الأصل مسك وعندما تتعمقه فإنه نفس

لقد ازداد النبات قـــوة من الرطـــوبة فلا تعجـــب

لأن الرطوبة غذاء النبات النامى كاللبن للطفل

واعتبر كأس شقائق النعمان هى الكأس المظهرة للعالم

فأطراف البوستان من حلاوة مجلس جم[٤٦]

وفـــى النـــوبة جعـــل الخـــلق ورد لســـــانه

التهنئـــة بمناسبـــة قـــدوم الـــــربيع

إن لـــم يكـــن الفـــلك ظالمـــًا فلمـــــاذا

قيـد الأحـــرار وصـــار الســـوسن أبكـــم

وفى فصل الزهور وهو موسم الفرح بياض للبســـتان

لمـــاذا يجلـــس البنفســـج حزيـــنًا

هكـــــذا، اتـــــرك هـــــــذا الـــــكلام

ولا تتحـــــدث فـــى هـــذا الموضـــوع

إذ إن هذا الفصل فصل أقداح الشراب التى تدور فى النوروز .

ووصف النوروز[٤٧] فى هذه القصيدة يمتزج بالمديح ، فهو فى بداية القصيدة يشبه طلعة الملك المعظم باليوم المبارك ، ثم يمضى إلى الحديث عن موسم النوروز ، موسم الفرح والسرور، ويصف ساحة المرج، والبستان، ونسيم الصبا، وينتهى إلى المديح ثانية .

ومن الملاحظ أنه بينما كانت القصيدة فى العصر الغزونى، مقسمه إلى قسمين : المقدمة وصلب القصيدة يفصلها بيت القصيد " كريزكاه " وهو ما منح الشاعر الغزونى الفرصة، للتعبير عن وصف الطبيعة باستفاضة، فإن نظام القصيدة فى العصر

السلجوقى، واختلاط المقدمة بالصلب، قد حد من مقدرة الشاعر فى التسلل والارسترسال فى وصف النوروز، ودفعه فى أحيان كثيرة إلى الدخول فى موضوع شعره مباشرة، ولذا فإن قصائد النوروز فى العصر الغزونى أكثر حياة، وعمقًا من قصائد العصر السلجوقى، ذلك لأن شعراء العصر السلجوقى يمزجون بين شخصية الممدوح والنوروز، هذا فى حين كان النوروز موضوعًا قائمًا بذاته فى العصر الغزونى، كما لاحظنا عند منوجهرى .

الهوامش

(١) البيرونى : الآثار الباقية : ص ٢١٥ . طبع ليبزج ١٩٢٣م .

(٢) الجاحظ : المحاسن والأضداد : ص ١٧٥ . القاهرة ١٣٣١هـ .

(٣) البيرونى : الآثار الباقية ص ٢١٥ – ٢١٧ . طبع ليبزح ١٩٢٣م .

(٤) جو خورشيد تابان ميان هـــوا   نشسـتـه برو شـاه فرمـــان روا

جهان انجمن شد برتخت أوى   فـرو مـانده ازفـره بخـــت أوى

بجمشيد بركوهر افشا نندنـــد   مـرآن روز را روز نوخـوانندنـد

سر بسال نو هرمز فروردين   بر آسـوده از رنـج من دل زكيـن

بنو روز نو شـاه كيتى فـروز   بر ان تخت بنشـين فيـروز روز

بزركان بشادى بيار ستنـــد   مـى وجام وزايشكران خواستنـد

جنيـن روز فـرخ ازآن روزكار   بمـاند ازان خسـروان يادكـــار

(٥) الفردوسى : الشاهنامه : جـ ١ . طبع بروخيم . طهران بسنة ١٣١٣ هـ .

(٦) عمر الخيام : نوروز نامه : ص ٨ ، ٩ ، طبع طهران ١٣٥٢ هـ .

(٧) المقريزى : الخطط : ج ١ ص ٢٦٤ . القاهرة ١٢٧٠ هـ .

(٨) الألوسى : بلوغ الأرب : ج ١ : ص ٢٤٨ . القاهرة ١٣٤٢هـ .

(٩) جلال همائى : تاريخ أدبيات إيران ص ٣٧٢ . طبع طهران : ١٣٢٠ هـ .

(١٠) عبد الوهاب عزام : الشاهنامه : المدخل : ص ١٥ ، ١٦ . القاهرة : ١٣٥٠ هـ .

(١١) البيرونى : الآثار الباقية : ص ٢١٨ .

(١٢) البيرونى : الآثار الباقية : ص ٢١٩ .

(١٣) عمر الخيام : نوروز نامه : ص ١٩ ، ٢٠ . طهران : ١٣٥٢ هـ .

(١٤) الألوسى : بلوغ الأرب : ج ١ : ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، الجاحظ : المحاسن والأضداد : ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

(١٥) الجاحظ : التاج : ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ . القاهرة ١٣٣٢ هـ .

(١٦) يقصد شهر فروردين .

(١٧) الجاحظ : المحاسن والأضداد : ص ١٧٦ ، ١٧٧ . ليدن ١٨٩٨م .

(١٨) حسين مجيب المصرى : فارسيات وتركيات : ص ٥٤ . القاهرة ١٣٨٧ هـ .

(١٩) يذكر البيرونى أسباب اغتسال الناس بالماء يوم النوروز، فيقول : " والسبب فى اغتسالهم بالماء أن جم شيذ كان قد أمر بحفر أنهار وأن الماء أجرى فيها هذا اليوم ، فاستبشر الناس بالخصب، واغتسلوا بذلك الماء المرسل، فتبرك الخلف بمحاكاة السلف، وقيل إن السبب فى الاغتسال هو أن يوم النوروز لهروذا وهو ملك الماء ، والماء يناسبه ، فلذلك صار الناس يقومون فى هذا اليوم عند طلوع الفجر فيعمدون إلى ماء القنى والحياض، وربما استقبلوا المياه الجارية فيضيفون على أنفسهم تبركًا ودفعًا للآفات، وقيل أيضًا إن رش الماء إنما هو بمنزلة التطهير مما اكتسبته الأبدان من دخان النار، وما التزم بها من أدناس الإيقاد، ولأنه يدفع عن الهواء فساده المولد للأوبئة والأمراض " ... البيرونى : الآثار الباقية : ص ٢١٧ .

ويذكر " القلقشندى " سببًا آخر لرش الماء والاغتسال به ، فيقول : "إن السبب فى رش الماء فيه أن فيروز ابن يزدجرد لما استتم بناء سورجي، لم تمطر سبع سنوات فى مملكته ، ثم مطرت فى هذا اليوم ، ففرح الناس بالمطر وصبوا من مائة على أبدانهم من شدة فرحهم ، فصار ذلك سنة عندهم فى ذلك اليوم من كل عام " ... ورأى القلقشندى يتفق مع ما جاء فى الشاهنامه عن فيروز بن يزد جرد " ....

القلقشندى : صبح الأعشى : ج ٢ : ص ٤١٧ .

وأنا أميل إلى رأى الشاهنامه على اعتبار أنها أوثق المصادر عن هذه الفترة ... الفتح بن على البندارى : الشاهنامه . الترجمة العربية – ج ٢ ، ص ١٠٨ .

(٢٠) يذكر البيرونى أن السبب فى تهادى الناس السكر أن قصب السكر إنما ظهر فى مملكة جم شيذ يوم النوروز ، ولم يكن يعرف قبل ذلك الوقت، وهو أنه رأى قصبة كثيرة الماء قد مجت شيئًا من عصارتها، فذاقها، فوجد فيها حلاوة لذيذة ، فأمر باستخراج مائها ، وعمل منها السكر ، فارتفع فى اليوم الخامس وتهادوه تبركًا به ... " .

البيرونى : الآثار الباقية : ص ٢١٦ .

(٢١) عمر الخيام : نوروز نامه : ص ٤ ، ٥ .

(٢٢) دائرة المعارف الإسلامية : مادة أبان ماه .

(٢٣) البيرونى : الآثار الباقية ص ١٢٥ .

(٢٤) جلال همائى : تاريخ أدبيات إيران . ص ٤٤٤ . طبع طهران سنة ١٣٢٤ هـ . ش .

(٢٥) المسعودى : التنبيه والإشراف : ص ١٤٨ . طبع ليدن . سنة ١٨٩٤ م .

(٢٦) الرودكى : ديوان الرودكى : ص ٢٦٧ . استالين أباد سنة ١٩٥٨م .

(۲۷) رسید ند زی شهر جند ان فـراز   سیه خیمه زد در نشیب وفـــراز
جون سبرم نه میان بزم بنو روز   در مه بهمن بتاز وجان عد وسوز
باز تویی رنج وجان تو خــــرم   بانی ویارود ویانبیـذ فنـــا روز
(۲۸) شاهنامه الفردوسی : ج ۱ - طبع بروخیم - طهران سنة ۱۳۱۳ هـ .
(۲۹) جو خورشید تابان میان هوا   نشسته برو شـاه فرمـان روا
جهـان انجمـن شـد برتخـت اوی   فرو مانده ازفـره بخـت اوی
بجمشـید برکـو هـرا فشـاندند   مران روز را روز نو خـواند ند
سر سـمال نو هـرمز وفروردین   برآ سوده از رنج تن دل زکین
بنـو روز نو شــاه کیـتی فـروز   برآن تخت بنشـین فـیروز روز
بـزرکان بشـادی بیـار ستنــد   مشـــکران خـــــواستند
جنیـن روز فـــرخ از ان روزکار   بماند از آن خـسروان یادکار
(۳۰) نـوروز خـر مـی بیعـــدد بود   روز طـواف سـاقی خورشـید خد بود
مجلس بباغ باید بردن که باغ راد   مفرش کنون زکوهــر ومسـند زند بود
آن برکهای شاسبرم بین وشاخ او   جون صد هزار همزه که برطوف مدبود
نرکس بسان حلقـه زنجیر زر نکر   کانـدر میـان حلقـه زرین وتد بـود
اندرمیـان لاله ولی هسـت عنبرین   دل عنبرین بود جو عقیقیـن جسـد بود

(۳۱) آن خـاك هسـت والد وکل باشـدش ولد   بس رشـد والدی که لطیفـش ولـد بـود
آبرکهـر فشازاهـر روز بیسـت بار   خنـد یـدن وکریـسن وجـزر ومد بـود
خورشید جون فسرده حبیبی که یا حبیب   کاهیش جنك وصلح وکهی وصل وصد بود
جشم خجسته رامره زرد ومیان سـیاه   بـسرده زبرجـدین وعقیقـین رمد بـود
سـتبل بسـان زلفـی بایج ویاعقــود   زلـف آن تکـو بـود که بدو در عقـد بود
باران جـون بیـابی بـارد بروزیـاد   جون دست راد احـمد بن عبدالصـمد بود
منوجهری : دیوان منوجهری : ص ۲۰ - قصیدة رقم ۱۵ - طبع طهران ۱۳۲۲ هـ . ش .
(۳۲) برلشـکر زمسـتـان نـوروز نامـدار   کرده است رای تاخته ومصد کارزار
واینك بیامده است به بنجاه روزبیش   جشـن سـده طلایـه نوروز ونوبهـار
آری هرانکهی که سباهی شور برزم   زاول بجنـد روز بیایـد طلایـه دار

این باغ وراغ ملکت نوروز ماه بـود	این کوه وکوهپایة واین جوی وجویبار
جویش براز صنوبر وکوهش براز سمن	راغش برا ز بنفشه وباغش براز بهار
جون دیدماهیان زمسـتان که در سـفر	نوروز مه بماند قریب مهـی جهـار
انـدر رویـد ومملکـت او بغـارید	بالشکری کران وسبـاهی کـزافه کار
(٣٣) برادشت تاجهـای همـه تارك سـمند	برادشت بنجه های همه سـاعد جنار
بستد عمامه هـای خز سـبز ضمیران	بشکست حقهـای زر ودر مـیوه دار
در باغها نشـا ندکـروه ازبـس کـروه	در راغها کشـید قطار ازبـس قطـار
زین خواجکـان بنبه قـبای سـبید بند	زین زنکیان سرخ دهـان سـیا هـکار
بارشمال جـون زز مستـان جـون بدید	اندرتك ایستادجون جاسوس بی قرار
نوروز را بکفـت که در خانـدان مـلك	از فز وزینت توکـه بیـرار بود وبـار
بنـکاه توسـیاه زمسـتان بغارتیـد	هم کـنج شـایکانت وهـم در شاهوار
معشوق کانت را : کل وکلنا روباسمین	از دست باره بربود ازکوش کوشوار
خنـیا کرانـت : فاختـه وعندلیـب را	بشکست نای در کف وطنبور در کنار
(٣٤) نوروز ماه کفت بجـان وسـر أمیـر	کزجان در بر آرم تاجـند که دمـار
کرد آورم سباهی دیبای سـبز بـوش	زنجـیر زلف وسـرو وسلسـله عذار
أز ارغوان کمر کنم از شـاخ بیتـیر	از نارون بیـاده واز ناروان سـوار
قوس قزح کمان کنم از شـاخ بیتـیر	از برك لا له رایت واز برق ذو الفقار
از آبر بیل سـازم وازبـاد بیلـبان	واز بانك رعـد آیـنه بیل بـی شـمار
نوروز بیش ازانکه سرا برده زد بـدر	بالعـبتان باغ وعروسـان مـرغ زار
این جشن فرخ سده راجون طلایکان	ازبیش خویشـتن بفرسـتاد کامکار
کفتا برو بنزد زمسـتان بتاخـتن	صحراء هی نورد بـیابان هـی کذار
جو اندرو رس بـشب تـیره سیاه	زود آتشـی بلند برا فـروز روز وار
این عزم جنبش ونیـت من کـر ده ام	نـزد شهـنشه ملکـان بر با کلنـار

(٣٥) منوجهری : دیوان منوجهری – ص ٢٩ رقم ١٧ . طبع طهران ١٣٦٢ هـ .

(٣٦) از من خدایکان همه شرق وغرب را | در ساعت این خبر بکزار ، ای خبر کزار
زنهار ، تانکوی با أو حدیث من | توبر زبان خویشن ، دکر باره زینهار
زیراکه هست حشمت او ، بیش ازانکه تو | باوی سخن مواجهه کوی وأشکار
باصاجبی بکوی نهانی تواین حدیث | تاحاجب این سخن برساند بشهریار

(٣٧) كان صاحب ديوان الجيش فى عصر السلطان محمود الغزنوى، واسمه بالكامل : عميد الدولة أبو القاسم منصور بن أبى الحسين محمد بن منصور كثير بن أحمد الخراسانى، وقد ولد فى هراة، وكان ابنه صاحب ديوان خراسان فى عهد السلطان مسعود .

(٣٨) ديوان منوجهرى : ص ٢٣ رقم ١٨ .

(٣٩) نوروز فرخ آمد ونغز آمد وهش پر | باطالع سعادت ويا كوكب منير
آبر سياه جون جيشي دايه بى شده است | باران جوشير ولا له ستان كودكى بشير
كر شيرخواره لاله سرخست بس جرا | جون شير خواره ، بلبل كوهى زند صفير
صلصل بلحن زلزل وقت سپيده دم | اشعار بو نواس همى خواند وجرير
بربيد ، عندليب زند ، باغ شهريار | برسرو زند واف زند تخت ارد شير
عاشق شده است زكس تازه بكودكى | تاهم بكودكى قد او شد جو قد بير
باسرمه وان زرين ماند خجسته راست | كرده بجاى سرمه ، بدان سرمه دان عبير
كلنار همجود رزى استاد بركشيد | قوارة حرير زبيجاده كون حرير
برشاخ نار ، بشكفة سرخ نار | جون ازعقيق نركس دانى بود صغير
نركس جنانكه برورق كاسة رباب | خنيا كرى فكنده بود حلقه بى ز زير
برك بنفشه جون ناضن شده كبود | دربست شير خواره بسرماى زمهرير
وان نسترن جو مشكفو وشى معاينه است | در كاسته بلور كند عنبرين خمير

(٤٠) اكنون ميان آبر وميان سمن ستان | كافور بوى باد بهارى بود سفير
مرغان دعا كنند بكل بر بسپيده دم | برجان وزند كانى بو القاسم كثير

(٤١) معزى : ديوان معزى . طهران سنة ١٢١٨ ش .

(٤٢) باد نوروزى همه كله زند در بوستان | آبر نيسان هى بركل شود لؤلؤ فشان
ازجواهر كنج ياقوتست كوبى ميوه دار | وز طرايف كرخ بغدادبست كوى بوستان
راغ شد جون ششترى وباغ شدجون مشترى | آب شد جون سلسبيل وخاك شد جون برنيان
بر حلل شد كوهسار وبرحلى شد مرغزار | بر حشر شد جويبار وبر كهرشد كلستان

از شکوفه هر درختی سیم باش ودر لباس　　وز بنفشه هرز مینی مشکسای وبیلسان

هر نباتی راز دانکی دیکر آید بیرهن　　هرد رختی راز رنکی دیکر آید طیلسان

ازکواکب نیست بید اسمان از کوهسار　　وز شقایق نیست بیدا کوهسار از آسمان

بنکر اندر سبزه زار وباسمینش برکنار　　بنکر اندر لا له وشنبلیدش در میان

آن یکی جون جام مینا در میان لا جورد　　وأین دکر جون طشت زرین درمیان زعفران

راغ را بنکر بکردار بهاری دلکشای　　باغ را بنکر بکر دار نکاری دلستان

آن تکاری کز وصال وهجرا وبید اشود　　از خزان من بهار وازبهار من خزان

(٤٣) روز عیش وطرب بستانست　　روز بازار کل وریحانست

توده خاك عبیر آمیزست　　دا من باد کلاب افشا نست

وزملاقات صبا روی غدیر　　راست جون آزدة سوها نست

لاله برشاخ زمرد ، بمثل　　قدمی از شبه مرجا نست

(٤٤) تاکشیدست صبا خنجر بید　　روی کلزاربر ازبیکانست

باز در برده الحان بلبل　　مطرب بزمکه بستانست

کز بی تهنیت نو روزی　　باغ را باد صبا مهما نست

ساعد شاخ زمشاطه طبع　　غرقه اندر کهر الوا نست

جمهرة باغ زنقاش بهار　　بنکویی جو نکار ستا نست

(٤٥) أنوری : دیوان أنوری : ص ٥٧ طبع طهران سنة ١٣٢٧ هـ .

(٤٦) ساقی بیار باده ، که نوروز عالمست　　روز خجسته جون رخ شاخ معظمست

درجسم خاك تعبیه کردست باروح　　کویی که باد جون دم عیسی مریمست

شد مشکبوی صحن جمن ازدم صبا　　آری در أصل مشك جومی بنکری دست

قوت کرفته نامیه ازنم ، عجب مدار　　زیراکه طفل نامیه را شیراز غنست

جام جهان نمای شمر قحف لا له را　　کاطراف بوستان زخوشی مجلس جمست

(٤٧) در نوبتی جنین که قدوم ربیع را　　ورد زبان خلق همه خیر مقدمست

کز ظلم جرخ نیست بر آزد کان جرا　　هم سرور بای بسته وهم سوسن ابکمست

در فصل کل جو موسم سرورست باغ را　　آخر جرا بنفشه نشسته بما تسمت

بکذار این حدیث ود رین باب دم مزن　　کین فصلی وقت وطال شرب دما دمست

انوری : دیوان انوری ص٥٧ . طبع طهران سنة ١٣٢٧هـ .

الفصل الثانى

النوروز فى إيران فى العصر الحديث

النوروز فى إيران فى العصر الحديث

احتفظ النوروز بتقاليده الرئيسية المتأصلة فى نفوس الإيرانيين منذ أقدم العصور، ولم يطرأ عليها أى تغيير جوهرى ، وإن ظهر فى تفاصيلها بعض الفروق تبعًا لاختلاف المناطق . ولم يتغير مع مرور الأزمان وتعاقب الدهور اهتمام الناس بهذا العيد والاحتفال به ورعاية سننه وتقاليده . وسبق أن ذكرت – نقلاً عن البيرونى وغيره من المؤلفين – أن الملوك الساسانيين كانوا يحتفلون بالنوروز بستة أيام، وأن اليوم السادس له (النوروز الكبير) كان بمثابة خاتمة الاحتفالات بهذا العيد . وأما اليوم فإن الهيئة الحاكمة فى إيران تحتفل بهذا العيد خمسة أيام كاملة ، ويرأس هذه الاحتفالات الإمبراطور بنفسه(1) . وبينما تعيِّد الحكومة الإيرانية خمسة أيام رسميًا ، نرى أيام النوروز الحقيقية عند عامة الناس ثلاثة عشر يومًا . ويأتى النوروز الكبير فى اليوم الثالث عشر من فروردين ... ولا تزال عادة إيقاد النار ليلة النوروز مرعية حتى اليوم . لكن مع شىء من التغيير . ففى ليلة العيد حلت الألعاب النارية محل إيقاد النيران ، وتستمر هذه الألعاب ثلاث ليال : ليلة العيد وليليتين قبله وبعده . وأما إيقاد النار التقليدى فقد تحول من ليلة العيد إلى الأربعاء الأخير قبله ويسمونها : "جهار شنبه سورى" . ولهذه الليلة تقاليد خاصة ضمن تقاليد النوروز ، منها إيقاد النار على الطريقة الخاصة . والسنة عندهم فى ذلك أن يضعوا الوقود، وهو عادة من الأخشاب السريعة الاشتعال والحشائش أكوامًا متعددة، أقلها ثلاثة يجعلونها فى صف واحد على فواصل معينة ثم يشعلونها، ويقفزن من عليها واحدة بعد أخرى وهم يرددون :

"حمرتك لى واصفرارى لك " ويتفننون فى ضروب هذه الألعاب والقفز على النار ، كما يتفننون فى إعداد الحشائش للاشتعال فيلونونها بألوان زاهية، وقد قالوا فى تعليل هذه العادة منذ القديم أن فى إيقاد النار تحليلاً للعفونات التى أبقاها الشتاء فى الهواء ، وقيل إنما فعلوا ذلك تنويها بذكره واشتهاراً لأمره ، ولكن ذلك ليس اليوم إلا تقليداً اعتاد الناس أن يأتوا به منذ القديم دون نظر إلى علته وفلسفته القديمة ...... ومن تقاليده هذه الليلة – عدا إشعال النيران – نوع من التفاؤل تتسلى به الفتيات بمختلف الطرائق لمعرفة مستقبلهن وحظوظهن فى السنة الجديدة ، ومن هذه الطرائق مثلاً أن تقف الفتاه المتفائلة عند غروب الشمس خلف باب الدار بحيث تسمع المارة ولا يرونها ، فأول قول تسمعه من حديث المارة تستخرج منه ما تتكهن به لمستقبلها ، ويسمون هذا النوع من التفاؤل " فال كوش " وهناك نوع آخر من التفاؤل يكون بالشعر، وهذا بالطبع أكثر ملاءمة لمطالب الشباب العاطفية . والسنة فى ذلك أن يؤخذ قبل غروب شمس الأربعاء السابق للنوروز بإناء صغير كجرة صغيرة أو كوز فيه ماء، ويضع كل واحد من أفراد العائلة شيئًا صغيراً مما يخصه كخاتم أو زر أو خرزة وما شاكل دون أن يراه غيره . وبعد أن يضع الكل أشياءهم يغطى الإناء، ثم يعلق على ميزاب أو يضعونه على السطح، ويجب أن يبقى هناك حتى بعد ظهر يوم الغد، والمفروض أن يسمع ثلاثة آذانات : أذان المغرب، وأذان الصبح، وأذان الظهر، فإذا جاء الظهر من يوم الغد يجتمع الكل ويأتون بالإناء ببهجة وفرح ، ثم يختارون فتاة غير بالغة، يضعون عليها وعلى الإناء غطاء لتخرج الخواتم . وطريقة إخراجها هى أن ينشد أولاً أحد الحاضرين بيتين أو بيتًا من الشعر مناسبًا للمقام ، ثم تدخل الفتاه يدها فى الإناء وتخرج من جوفه واحداً من الأشياء الموجودة فيه، وبعد إخراجه يتكهن من مضمون الشعر لمستقبل صاحبه . وهكذا دواليك حتى يخرج آخر خاتم أو خرزة من الإناء . ومن السنن القديمة المتبعة حتى الآن سنة زرع الحبوب والغلات قبل النوروز لتكون مخضرة أيام العيد، وقد سبق أن ذكرت أنهم كانوا فى العهود السابقة للإسلام يبنون قبل العيد ببضعة أيام سبع أسطوانات، يزرع فى كل واحدة منها نوع من أنواع الغلات والحبوب . ولا زال

هذا التقليد على أهميته فى إيران حتى اليوم، بحيث لا يكاد يوجد بيت فى أيام العيد يخلو من هذا النوع من الخضرة . إلا أنهم تركوا عادة التقيد بالعددين سبعة واثنى عشر. ولا شك فى أن بناء الأسطوانات لزرع الحبوب فيها هو من الاحتفالات الخاصة ببلاط الملوك، التى تعكسها المصادر التاريخية . أما عامة الناس فكانوا ولا يزالون يزرعون الحبوب فى أوعية خاصة . ونرى اليوم ربات البيوت يتفنن فى زرعها وفى أشكال آنيتها وأوعيتها وكيفية تزيينها، بحيث تظهر بشكل أنيق وجذاب . ولئن زال التقيد بالعدد "سبعة" فى زراعة الحبوب، إلا أن هذا العدد انتقل إلى تقليد آخر من تقاليد هذا العيد الرصينة ، وهو ما يسمونه " هفت سين " . وهى عبارة عن مائدة تتضمن أنواعًا كثيرة من الخضر والفواكه وسواها من الأطعمة والمأكولات، التى يتفاءلون بها ، على أن تضم سبعة أصناف[٢] يبتدئ اسمها فى الفارسية بحرف (س) وفى مقدمتها الخضرة "سبزة"، وقدح ماء صاف نقى فيه أسماك ملونه ومرآة وثريات مضاءة . وتتفنن بعض العائلات فى تزيين (هفت سين) بالزهور والثريا، حتى يبدو فيها من الظرف والغنى والطرافة ما يثير الإعجاب حقًا .. ومن السنة المتبعة الآن فى إيران أن يجتمع كل أفراد الأسرة صغيرهم وكبيرهم حول المائدة عند ساعة التحويل[٣] وتحتل " هفت سين" فى النوروز منزلة شجرة عيد الميلاد فى أعياد رأس السنة المسيحية . هذا وقد سبق أن ذكرت ضمن تقاليد النوروز القديمة قبل الإسلام تفاؤلهم بالدينار والدرهم الجديدين ، وإنه كان من السنة أن يهدى الملك قطعة من دينار ودرهم ضربا فى العام الجديد ، وقد استمرت هذه السنة حتى اليوم ، فالهدية التقليدية للنوروز ظلت كما كانت قطعة نقد من ذهب أو فضة تضرب لهذا الغرض، خاصة وعليها عبارات التهنئة . وتختلف صور النقود على حسب اختلاف الأهواء والأذواق ، ففى حين يتبرك الشيوخ والكهول والمتمسكين بأهداب الدين يتهادى النقود التى نقشت عليها إحدى البقاع المقدسة وخصوصًا النقود المضروبة باسم الإمام الرضا – نرى الآخرين – يتهادون بأنواع أخرى من النقود ذات النقوش والعبارات المختلفة ، كما تحاول بعض الفئات أحيانًا استغلال هذه السنة العريقة بضرب نقود، تحمل إلى جانب عبارات

التهنئة عبارات أخرى تتضمن دعوة لمبدأ أو نظرية اجتماعية أو سياسية . إلا أن هذا النوع من المحاولات لا يلقى تشجيعًا ، ولا يحظى بإقبال ، فكأن النوروز وقد عبر القرون والأجيال من فوق النزعات الطارئة والمتطرفة، يأبى بتقاليده وسننه العتيدة أن يخضع لهذه الظروف، ويخرج عن نطاقه الإنسانى الذى يجعله فوق هذه الاعتبارات الآتية .

سبق أن قلت إن آخر يوم من النوروز تُختم به حفلات العيد فى العصر الحاضر هو اليوم الثالث عشر من الربيع ، ويظهر أن النوروز الكبير- الذى كان فى اليوم السادس من الربيع، والذى كانت الاحتفالات تختتم به فى القديم – انتقل تدريجيًا إلى اليوم الثالث عشر، وانتقلت معه بعض تقاليده إلى هذا اليوم ، ولكن دون أن يسمى بالنوروز الكبير بل يسمونه اليوم، يوم " سيزده بدر" . وهذا الاسم مستمد من أعرق تقاليد هذا اليوم، وهو خروج الناس إلى الحدائق والبساتين والسهول الخضراء خارج المدن، وقضاء كل النهار فى اللهو والرقص والموسيقى أو الألعاب الرياضية المختلفة، وكان من أهم الألعاب فى هذا اليوم لعب الكرة والصولجان " بولو" وألعاب الفروسية والرماية . أما اليوم فقد استحدثت ألعاب رياضية أخرى . ومن تقاليد هذا اليوم أن تحصد الحبوب المزروعة لهذه المناسبة الخاصة، وتلقى خارج البيت . وقد تأصلت عادة الخروج من البيت فى هذا اليوم لدرجة أنه إذا كان أحدهم لا يقدر على الخروج إلى الحقول والبساتين طوال النهار، فلا أقل من أن يغادر البيت حتى ولو لم يمش إلا بضعة أقدام . ويأتى هذا التمسك الشديد من امتزاج بعض السنن والمعتقدات القديمة وتشابكها ، وهى سنن النوروز الكبير التى كانت ذات جذور راسخة ، والتطير من العدد (١٣) والإيمان بشؤمه والنحس فيه . ويعتقد الناس أن نحوسه لا تخرج إلا بمغادرة البيت وقضاء اليوم بهيجًا سعيدًا لينقضى العام كله ببهجة وسعادة . ولهذا اليوم تقاليد ممتعة أخرى للشباب والفتيات . وتنتهى بغروب شمس اليوم الثالث عشر من الربيع " فروردين" أعياد النوروز وتقاليده، فيعود الناس إلى بيوتهم مع الشعور بحياة جديدة مع تجدد الربيع وتعود الحياة مع صباح الرابع عشر التى أخذ مجراها

الطبيعى الدائب الاستمرار . وهناك مشاعر روحية فى تقاليد النوروز لا تزال باقية حتى اليوم منذ أقدم عصور النوروز . فكأن النوروز – كان منذ القديم ولا يزال – خير وسيلة لتقوية الروابط، وتجديد الحياة فى أول كل عام بجميع نواحيها ، وبخاصة الناحية الروحية، التى تربط الإنسان بعالم أسمى مما يعيش فيه . فقد رأينا ضمن سنن هذا العيد – فى العهود القديمة قبل الإسلام – أن أول داخل على الملك فى صبيحة يوم النوروز كان الموبذان موبذ . وكما هو معروف فقد كان الموبذان بمثابة كبير علماء الدين فى ذلك الوقت . وكان الموبذان يخاطبه قبل كل شخص بعظات وأناشيد دينية . وقد احتفظ هذا العيد بهذه المسحة الدينية والروحية فى كل عصوره وأدواره ، مع تغيير فى الشعائر حسب المعتقدات الدينية . فمن التقاليد المتبعة الآن أن يكون على بساط العيد نسخة من القرآن الكريم، ليكون أول ما يقع عليه النظر عند حلول السنة الجديدة. وكما كانوا يتفاءلون قديمًا بأن يكون أول داخل فى البيت أول السنة رجلاً ميمون النقيبة مبارك المحيا ، حتى أنهم كانوا يرصدون لذلك شخصًا حسن الاسم والوجه، يدخل عليهم فى الصباح قبل كل شخص ، فيقول أنا المنصور واسمى المبارك ومن قبل الله أقبلت وبالهناء والسلامة وردت ومع السنة الجديدة . والسنة اليوم لا تزال كما هى منذ آلاف السنين ؛ إلا أن أول داخل فى البيت هو عادة رب البيت، الذى يخرج بعد حلول السنة هنيهة ليعود فيدق الباب ويدخل . ومن الضرورى أن يأخذ بيده القرآن الكريم، ويدخل به جميع أركان البيت . وقد كتب أحد الكتاب المحدثين ذكرياته عن النوروز فقال : كانت أمى أول داخل فى البيت عند حلول السنة الجديدة ، كانت تدخل وفى إحدى يديها القرآن الكريم ومرآة ، وفى يدها الأخرى شمعة مضاءة ووردة ، وبهذا الوضع كانت تدخل كل غرفة من غرف البيت مرتلة الآيات القرآنية والأدعية المأثورة لتجلب بذلك الخير والرحمة لكل أرجاء البيت . والقرآن الكريم مظهر من مظاهر الخشوع لله وعبادته ، والمرآة رمز الصفاء والطهر، والشمعة آية للإشعاع والحرارة، والوردة علامة الطراوة والريعان . أى أن الإنسان يجب أن يبقى طوال السنة خاشعًا لله، طاهر القلب منور الوجدان متفتح الخاطر . وعندما يجتمع كل أفراد العائلة بلباس

العيد وزينتة حول خوان :" هفت سين" المزدان بأنواع الرياحين وألوان الزهور ومختلف الأنوار بانتظار حلول السنة الجديدة، وعلى جانبه مبخرة ينفخ منها طيب البخور، يجلس الشيوخ والكبار على الخوان حيث وضع القرآن الكريم ويرددون هذا الدعاء المأثور للنوروز خاصة :

يا مـقلب القلوب والأبصـار   يا مـدبر الليل والنهـار

يا محول الحـول والأحـوال   حول حالنا إلى أحسن حال

***

الهوامش

(١) أعدت هذه الدراسة عن النوروز في عهد الإمبراطور الراحل رضا شاه بهلوى ..

(٢ سبزة ، بسيب ، بسير ، بسيركه ، سنجد ، سبزى ، بسلك .

(٣) أى تحويل السنة القديمة إلى السنة الجديدة .

الباب الرابع

الفصل الأول

القسم الأول: عيد النوروز عند العرب

عيد النوروز عند العرب

أولاً : فى بدء الإسلام وفى العصر الأموى :

لم تجر العادة فى العصر الإسلامى الأول بـ الاحتفال بعيد النوروز؛ فقد كانت الدولة عربية خالصة بكل ما تنطوى علية الكلمة من معنى ... فلم تتأثر بالفرس ، بل كانت قوميتها عربية ونزعتها قبلية . وكانت بعيدة شديدة البعد عن الأخذ بحضارة الفرس والجرى على عادتهم فى التمسك بمظاهر مدنيتهم فى ماضيهم المجيد .

ورغم ذلك فإن هذا العيد لم يفقد شيئًا من رونقه وأهميته لدى سواد الناس . فقد أضحى الاحتفال به وإحياء سننه القديمة عادة متأصلة فى نفوسهم ولم يكن ليؤثر فى ذلك المؤثرات الخارجية وتغيير الكلام وانقلاب الأحوال .... ومن المسلم به أن الإيرانيين تركوا بعد إسلامهم كثيراً من التقاليد والسنن الناشئة عن ديانتهم القديمة ، إلا أن النوروز لم تكن له صبغة دينية فقط ، بل كان كذلك عيداً شعبيًا اجتماعيًا ، ولذلك احتفظوا به وبالغوا فى الاحتفاء به ، ولم يروا فى ذلك ما يتنافى مع دينهم الجديد .

وعلى مر الأيام وتتابع الأزمان والدهور زاد الاهتمام به، وإذا به يتطور ويتبدل فى معتقدات الناس، حتى اتخذ سمة دينية . فقد ورد فى بعض المصادر أحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضيلة النوروز ، وترددت هذه الأحاديث بين جماهير المسلمين، وكان لها أثرها الهام فى اكتساب النوروز هذه السمة الدينية . ومن هذه الأحاديث ما أورده القزوينى فى حديثه عن النوروز، إذ قال : "وعن عبد الصمد بن على يرفعه إلى جده عبد الله بن عباس أنه أهدى إلى النبى جام فضة فيه حلواء . فقال : ما هذا ؟ قالوا حلاوة النوروز . فقال : ما هو ؟ قالوا : عيد عظيم للفرس . قال نعم هو اليوم

الذى أحيا الله فيه العسكر . قالوا : وما العسكر يا رسول الله ؟ قال الذين خرجوا من بيوتهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ، فى هذا اليوم رد عليهم أرواحهم وأمر السماء فمطرت عليهم فلذلك اتخذ الناس صب الماء سنة فيه ، ثم أكل عليه السلام الحلواء وقسم الجام بين أصحابه"[1].... ويذكر البيرونى حديثًا آخر للرسول فى النوروز على هذا النحو : " وقسم الجام بين أصحابه، وقال ليت لنا كل يوم نوروزًا"[2] .... كما يذكر البيرونى أنه أثر عن الصحابى الجليل سلمان الفارسى قوله فى النوروز: " كنا على عهد الفرس نقول إن الله أخرج زينة لعباده من الياقوت فى النوروز ومن الزبرجد فى المهرجان ، ففضلهما على غيرهما من الأيام كفضل الياقوت والزبرجد على سائر الجواهر.......[3]

ومن جهة أخرى يذكر حسن تقى زادة أن الشيعة وفرق الشعوبية منهم خاصة كانوا يعتبرون الاحتفال بالنوروز أحد الآداب القومية والإسلامية ، ويسرى بينهم اعتقاد بأن الإمام على تولى الخلافة يوم نوروز، هم لذلك يرددون أقوالاً عن الإمام على فى فضل النوروز ....[4] ومن هذه الأقوال ما أورده الجاحظ فى "المحاسن والأضداد" عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، والذى جاء فيه :" وروى عن أمير المؤمنين على عليه السلام أن قومًا من الدهاقين أهدوا إليه جامات فضة فيها الأخبصة ، فقال ما هذا ؟ قالوا يوم نوروز ، فقال نيروزنا كل يوم ، فأكل الخبيص، وأطعم جلساءه، وقسم الجامات بين المسلمين، وحسبها لهم فى خراجهم[5] . كما يردد الشيعة رواية أخرى عن الإمام جعفر الصادق فى النوروز ، وفى ذلك يقول محسن فيضى : " حدثنى رجل قال : كنت عند الإمام جعفر الصادق فى ليلة النوروز فسألنى: أتعلم فى أى وقت نحن؟ فقلت: جعلت فداك فى يوم تعظمه العجم وتتهادى فيه . فقال : ورب الكعبة إن لهذا التعظيم سببًا قديمًا سأبينه لك . فالنوروز هو اليوم الذى عاهد الله عباده على أن يطيعوه ولا يشركوا به شيئًا ويؤمنوا بالرسل والأئمة صلوات الله عليهم ، وهو أول يوم طلعت فيه الشمس، وأرسلت فيه الرياح لواقح ، واليوم الذى رست فيه سفينة نوح، ونزل جبريل بالوحى على محمد صلى الله عليه وسلم ، واليوم الذى أمر فيه النبى أصحابه بأن يبايعوا عليًا عليه السلام "[6] .

وعلى الرغم من أن هذه المعتقدات والأقوال الشيعية حول النوروز، لم يرد لها أساس وسند صحيح عن الرسول الكريم، وعن على كرم الله وجهه ، فإنها أكسبت يوم النوروز أهمية دينية، ساعدت على التمسك به وبتقاليده والحرص على ممارسة سننه والتبرك به والاستبشار بما يقع فيه من أحداث ، وانتشار هذه السنن بين جماهير المسلمين من الشيعة وغيرهم ، واعتباره عيداً له موقعه الهام من السنة ضمن الأعياد والمواسم الإسلامية التى يحرص المسلمون على تعييدها والاحتفال بها ....

هذا فيما يتعلق بالأهمية التى ناطها الناس بالنوروز . أما فيما يتعلق بالهيئة الحاكمة، فإن هذا اليوم لم يجد البواعث والمسببات التى تجعل الاهتمام به وبتعييده شبيهاً بما كان عليه فى العهود السابقة للإسلام ..ومع ذلك فهناك عوامل ساعدت على استمرار هذا العيد فى العصر الأموى ، وجعلت الخلفاء الأمويين أنفسهم يولونه جانباً عظيماً من اهتمامهم وعنايتهم ، وإن كان هذا الاهتمام قد تركز على كونه يوم جباية الخراج السنوى .... فقد ظل النوروز فى الدول الإسلامية كلها – على تباين نزعاتها – رأس السنة الزراعية والمالية ، وعليه كان مدار ديوان الخراج وغيره من الدواوين المالية[٧] . فلما دالت دولة الساسانيين فى إيران وآل الأمر إلى الخلفاء المسلمين من العرب ، وجد هؤلاء فى تلك البلاد الشاسعة التابعة للنظم الإدارية الساسانية من القواعد المعقدة وأنظمة الضرائب والخراج فى الدواوين المالية ما اضطروا معه إلى أن يبقوا نظام الدواوين والقواعد المتبعة فيه على ما كانت عليه فى الماضى دون أن يتناولوها بتحوير أو تبديل[٨] ، ومن ثم بقى نظام الدواوين فى الإسلام على ماكان عليه قبل الإسلام ، وبقى تصريف شئون تلك الدواوين فى أيدى أولئك الذين كانوا يتولون مقاليدها ويدبرون أمورها من قبل ...[٩] ولما نقل ديوان العراق من الفارسية إلى العربية فى عهد عبد الملك بن مروان لم يتعد ذلك اللغة ، وبقيت الأنظمة كما هى ، بل بقيت بعض الدواوين – كدواوين مقاطعة فارس وأصبهان وغيرها من المدن الفارسية – بقيت فارسية مدى أعوام طويلة بعد هذا النقل ...... ولما كان مدار

الخراج على السنة الزراعية ، وكانت السنة الشمسية هى التى يعمل بها فى الدواوين الفارسية أكثر ملاءمة من السنة العربية للمواسم والفصول ، والقائمون بالأمر فى هذه الدواوين فى تلك المقاطعات الإيرانية من نفس الطبقة التى كانت تدير أعمال الدواوين منذ عهد الأكاسرة، فقد بقى العمل فى الدواوين المالية وفى أمور الخراج بالتقويم الإيرانى ، وبقيت الشهور الفارسية بأسمائها الفارسية ، بل حتى أيام الشهر الفارسية ظلت مستعملة أيضًا فى بعض تلك الدواوين[١٠] ..... ويحدثنا المقدسى فى "أحسن التقاسيم" عن ذلك عند وصفه الفارسى وعن كيفية استعمال هذا التقويم الفارسى فى الدواوين فيقول : ولكل يوم من الشهر اسم عليها تاريخات الدواوين مثل أيام الجمع بسائر الأقاليم ......[١١] ثم يعدد المقدسى تلك الأسماء الفارسية فى الدواوين .... فطبيعى والحال هذه أن يبقى بذلك عيد النوروز مادام عيد رأس السنة التى اعتمدها الخلفاء وجعلوها السنة الزراعية والمالية لدولتهم . وبذلك احتفظوا بهذا العيد رسميًا بكيانه فى قلب الدولة .... وهناك عامل آخر كان بعيد الأثر فى تمسك الخلفاء وعمالهم بهذا العيد يكمن وراء سنة من سنن النوروز القديمة وهى تبادل الهدايا والتحف التى كانت رمزًا لتأليف القلوب ووسيلة لتجديد الروابط المعنوية فى هذا العيد بين الناس على اختلاف طبقاتهم ، وخاصة بينهم وبين حكامهم . فقد تطورت هذه السنة على عهد الخليفة عثمان بن عفان، وتحولت إلى نوع من الضريبة تجبى يوم النوروز .... وفى ذلك يذكر الصولى أن الوليد بن عقبة بن معيط ثم سعيد بن العاص بعده طالبا الناس بهدايا النوروز فضج الناس بالشكوى إلى عثمان رضى الله عنه فكتب إليهما ناهيًا عن ذلك[١٢] ....ولما ولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة اشتد عماله فى مطالبة الناس بضريبة النوروز ... ويذكر ابن واضح الإخبارى : "أن معاوية بن أبى سفيان لما ولى عبد الله بن دراج مولاه خراج العراق ، وكتب إليه أحمل إلىَّ ما أستعين به . فكتب إليه ابن دراج يعلمه أن الدهاقين أعلموه بأنه كان لكسرى وآل كسرى صوافى يجتبون مالها لأنفسهم، ولا تجرى مجرى الخراج، فكتب إليه معاوية أن أحص تلك الصوافى واضرب عليها المسنيات . فجمع الدهاقين فسألهم فقالوا الديوان بحلوان، فبعث فأتى به ، فاستخرج منه كل ما كان لكسرى وآل كسرى واستصفاه

لمعاوية ، فبلغت جبايته خمسين ألف درهم من أرض الكوفة وسوادها ، وكتب إلى أبى عبد الرحمن بن بكرة بمثل ذلك فى أرض البصرة، وأمرهم أن يحملوا إليه هدايا النوروز والمهرجان . فكان يحمل فى النوروز وغيره وفى المهرجان عشرة آلاف ألف . ولهذا زاد الخراج فى عهد عمر وعثمان خمسين ألف ألف نتيجة لذلك ، فلما ولى الحجاج صار إلى الأربعين ألف ألف ، وما كان يصل ذلك إلا بضرب الأبدان[١٣]، وقد ظل الأمر هكذا إلى عهد عمر بن عبد العزيز حتى نسخه بعد أن ضج الناس بالشكوى إليه ..... إلا أن نسخه لم يدم طويلاً لأن يزيد الثانى من بعده عاد وأقره ثانية[١٤] .. وقد شاع أمر هذه الضرائب الخاصة بالنوروز فى المجتمع الأموى وأصبح جزءاً من حياة الناس العامة أنفسهم، حتى أن جريراً شاعر الهجاء فى هذا العصر أنشد قصيدة يهجو فيها الأخطل وقبيلته تغلب ، ويذكر فيها خضوعهم لدفع جزى النوروز وفى ذلك يقول :

عجبــت لفخــــر التغلبى وتغـلب

تـؤدى جـزى النـيروز خضـعا رقـابها[١٥]

وعلى الرغم من هذه الأهمية للنوروز لدى حكام بنى أمية وعمالهم ، فإنهم أهملوا تحديد موعده من السنة بما يتفق ومصلحة الناس . فكانوا يفتحون خراج النوروز والزرع أخضر. حتى صار النوروز ذا وطأة على المزارعين والدهاقين تدريجياً ، إذ كان عليهم أن يؤدوا الخراج قبل موسم الحصاد. فضجوا بالشكوى فى خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥- ١٢٥هـ) إلى خالد بن عبد الله القسرى عامله على العراق (١٠٦ -١٢٠هـ)، وطلبوا إليه تأخير النوروز، وبذلوا له مائة ألف دينار على ذلك . فكتب فيه إلى هشام ، فأجاب هشام : " أخاف أن يكون هذا النسىء الذى قال فيه جل وعز "إنما النسىء زيادة فى الكفر " فامتنع خالد عن ذلك ، وبقى الأمر كما كان ، وظل النوروز - نتيجة لامتناع الأمويين عن كبس السنة - متقدماً عن موعده حتى صار يقع فى نيسان والزرع أخضر[١٦] حتى زمن الخليفة الرشيد العباسى .... وسأكمل الحديث عن أمر النوروز على الصفحات التالية ...

ثانياً : النوروز فى العصر العباسى :

استعاد النوروز فى بلاط الخلفاء العباسيين شيئًا من رونقه الذى كان له فى العصور السابقة للإسلام، وكان احتفالهم به مظهراً لإحياء الحضارة الفارسية والقومية الفارسية . ولا بدع فى ذلك ، فقد كانت الدولة عربية فى مظهرها فارسية فى حقيقتها وتأثرها بالحضارة الساسانية والنزعات الفارسية القديمة ....

وتجلى اهتمامهم به فى إصلاح نظام السنة المالية التى كانت قائمة على يوم النوروز بما يتفق ومصلحة الناس وقدرتهم على دفع الخراج ... ولقيت السنة الفارسية التى كان يجبى الخراج على أساسها – كما سبق أن ذكرت – عناية واهتمام خلفاء بنى العباس حتى عاد النوروز إلى وضعه الصحيح كما كان أيام الساسانيين وأصبحت السنة المالية ملائمة لأحوال الناس .... وقصة هذا الإصلاح الذى أحدثه العباسيون كالآتى :

سبق أن ذكرت أن إهمال الفرس لكبيستهم أدى إلى تقدم النوروز عن موعده الطبيعى من السنة حتى صار ذا وطأة على المزارعين والدهاقين الذين كان عليهم أن يؤدوا الخراج قبل موسم الحصاد ، وأنهم اشتكوا من ذلك فى خلافة هشام بن عبد الملك ورفض طلبهم فى تعديل موعده . وبقى الأمر كما كان .. وفى عصر الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) راجع الدهاقنة – أيضًا – يحيى بن خالد البرمكى وزير الخلافة ، طالبين إجراء الكبيسه وتأخير النوروز شهرين، فعزم يحيى على ذلك أولاً إلا أنه انصرف عنه أخيراً حينما بلغه أن قومًا من أعدائه قالوا : " أراد أن ينصر المجوسية [١٧] "وهكذا ظل الأمر على حاله إلى أن جاء المتوكل فى "٢٤٣" هـ، فعزم على التكبيس وتأخير النوروز إلى سبعة وعشرين من حزيران . وفى ذلك يقول القلقشندى: "ذكر أبو هلال العسكرى فى الأوائل أن أول من أخّر النوروز المتوكل على الله أحد خلفاء بنى العباس ، وذلك أنه بينما هو يطوف فى متصيد له إذ رأى زرعًا أخضر ، فقال استأذننى عبيد الله بن يحيى فى فتح الخراج، وأرى الزرع أخضر، فقيل له إن جباية الخراج الآن تضر بالناس، إذ تلجئهم إلى أنهم يقترضون ما يؤدون فى الخراج .

فقال : أهذا شيء حدث أو لم يزل كذا . فقيل له : بل حدث وعرف أن الشمس تقطع الفلك في ثلاثمائة وخمسة وستين يومًا وربع اليوم ، وأن الروم تكبس فى كل أربع سنين يومًا فيطرحونه من العدد ، فيجعلونه فى شباط ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرين يومًا، ويسمون تلك السنة الكبيسة ، وكانت الفرس تكبس للفصل سنيها وبين سنة الشمس فى كل مائة وست عشرة سنة ، فلما جاء الإسلام عطل ذلك ولم يعمل به . فأضر بالناس ذلك . فأحضر المتوكل حينئذ إبراهيم بن العباس وأمره أن يكتب كتابًا عنه فى تأخير النوروز بعد أن تحسب الأيام ، فوقع الاتفاق على أن يؤخر النوروز إلى سبعة وعشرين يومًا من حزيران . فكتب الكتاب على ذلك ثم قتل المتوكل قبل دخول السنة الجديدة ، وولى المنتصر واحتيج إلى المال، فطولب به الناس على الرسم الأول ، وانتقض ما رسمه المتوكل فلم يعمل به ، حتى ولى المعتضد ، فقال لعلى بن يحيى المنجم: تذكر ضجيج الناس من أمر الخراج فى وقت لا يتمكن الناس من أمر الخراج ، فكيف جعلت الفرس مع حكمتها وحسن سيرتها افتتاح الخراج فى وقت لا يتمكن الناس من أدائه فيه، فشرح له أمره وقال ينبغى أن يرد إلى وقته ويلزم يومًا من أيام الروم، فلا يقع فيه تغير . فحسبنا حسابه على ذلك فوقع فى اليوم الحادى عشر من حزيران فأحكم أمره على ذلك وأثبت فى الدواوين، وكان النوروز الفارسى إذ ذاك يوم الجمعة لإحدى عشرة خلت من حزيران(١٨) وهو نفس اليوم الذى كان يقع فيه أواخر العهد الساسانى . واشتهرت هذه السنة بالسنة المعتضدية ، كما عرف النوروز الجديد الذى أقره المعتضد بالنوروز المعتضدى ، وأصبحت السنة المعتضدية معتمدة للسنة المالية والزراعية ، وعمل بها فى الدواوين مدة من الزمن .... وما مر طويل زمان حتى اشتهر النوروز المعتضدى ، وحل محل النوروز القديم ، وزاد احتفال الناس به حتى أن السنن والتقاليد التى كانت مرعية فى بغداد فى النوروز القديم نقلت إلى النوروز المعتضدى .... ويحدثنا الطبرى عن مغالاة الناس فى صب المياه وإشعال النار فى النوروز المعتضدى حتى اضطروا إلى منع ممارسة هذه التقاليد . إلا أنهم عادوا فأجازوها ... يقول الطبرى : وفى يوم الأربعاء لثلاثين خلون من جمادى الأولى ولإحدى عشرة ليلة خلت من حزيران نودى فى الأسواق ببغداد بالنهى عن وقود النيران ليلة

النوروز وعن صب الماء في يومه . ونودى بمثل ذلك في يوم الخميس . فلما كان عشية يوم الجمعة نودى على باب سعيد بن يسكن صاحب الشرطة بالجانب الشرقى من مدينة السلام بأن أمير المؤمنين قد أطلق للناس فى وقود النيران وصب الماء ، ففعلت العامة من ذلك ما جاوز الحد حتى صبوا الماء على أصحاب الشرطة فى مجلس الجسر .... [١٩] ويصف البيرونى النيران التى كانت توقد ليلة النوروز فيقول: " وأعجب من هذا نيران كلواذا ، وإن كان القلب لا يطمئن إليها دون مشاهدتها ، فقد أخبرنى أبو الفرج الزنجانى المحاسب أنه شاهد ذلك مع جماعة قصدوا كلواذا سنة دخول عضد الدولة بغداد وأنها نيران وشموع لا تحصى كثرة تظهر فى الجانب الغربى من دجلة بإزاء كلواذا فى الليلة التى يكون فى صبيحتها النوروز فإن السلطان وضع هناك رصدة ليتجسسوا الحقيقة كيلا يكون ذلك من المجوس أمراً مموها ، فلم يقفوا إلا على أنهم كلما قربوا منها تباعدت، وكلما تباعدوا قربت[٢٠] ... وكانت هذه المغالاة فى الاحتفال بالنوروز دافعاً للإمام الغزالى فيما بعد إلى المناداة بإلغاء الاحتفال به واعتبار من يحتفل به خارجاً على تعاليم الشرع[٢١] . ولم تجد دعوة الإمام صدى إلا بين أقلية ضئيلة من أهل التقوى الواقفين عند حدود الشرع . وأما الأغلبية فقد مضت فى المغالاة بالاحتفال به على نحو ما ذكر، بل أخذ الوزراء والكتاب يحتفلون به احتفالاً رائعًا ويقيمون فيه الولائم، ويعقدون حلقات الغناء . وشاعت من جديد سنة تقديم الهدايا مع ما كانت لها من قيمة أدبية ومعنوية بكيفية، يتجلى فيها روعة الأدب وسحر البيان وتنم عن تطور فى المفاهيم والقيم وتقدم فى مستوى الحضارة ورقة فى العواطف فى هذا العصر ....

الهوامش

(١) القزوينى : عجائب المخلوقات : ص ٨٠ درسدن ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م .

(٢) البيرونى : الآثار الباقية : ص ٢١٥ .

(٣) البيرونى : الآثار الباقية : ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٤) يذكر تقى زادة فى كتابه " كاه شمارى " أن اعتقاد الشيعة عن خلافة الإمام على يوم نوروز – غير صحيح – وذلك لأن المقدسى فى " أحسن التقاسيم " يؤكد أن حديث الرسول عند غديرخم قبل يوم ١٨ ذى الحجة من السنة السادسة من الهجرة ، وهذا التاريخ كان مطابقًا ليوم التاسع والعشرين من أبريل، والثانى عشر من شهر بهمن ، وعلى هذا فإن خلافة الإمام على لم تكن يوم نوروز لأن النوروز يأتى دائمًا فى شهر فرودين من كل سنة، وليس شهر بهمن . تقى زادة : كاه شمارى : ص ١٥٤ يلاحظ أن تقى زادة يعتبر حديث الرسول يوم غديرخم بمثابة تولى على الخلافة بتكليف من النبى .

(٥) الجاحظ : المحاسن والأضداد : ص ١٧٦ .

(٦) مجيب المصرى : فارسيات وتركيات : ص ١٤٩ – القاهرة سنة ١٩٤٨ م .

(٧) حسن تقى زادة : كاه شمارى در إيران قديم : ص ٥٤ . طهران ١٣٥٦هـ .

(٨) الإصطخرى : مسالك الممالك . ص ١٤٦ ليدن – ١٨٧٣ م .

(٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص٣٣١ – القاهرة ١٣٤٨ هـ .

(١٠) البيرونى : الآثار الباقية : ص ٦٨

(١١) المقدسى : أحسن التقاسيم : ص ٤٤١ – ليدن ١٩٠٦م .

(١٢) محمد بن يحيى الصولى : أدب الكتاب : ص ٢٢٠– القاهرة ١٣٤١هـ .

(١٣) ابن واضح الأخبارى : تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ١٩٣ وص ٢٥٩ . بغداد ١٣٠٨هـ

(١٤) الصولى : أدب الكتاب ن ص ٢١٩ – القاهرة ١٣٤١هـ .

(١٥) جرير : ديوان جرير : ص ٥٤ – طبعة الصاوى – القاهرة ١٣٦٢هـ .

(١٦) القلقشندى : صبح الأعشى : ج ١٢ : ص٥٥

(١٧) البيرونى : الآثار الباقية : ص٣١ ،٣٢ .

(١٨) القلقشندى : صبح الأعشى : ج ١٢ : ص ٥٦ .

(١٩) الطبرى : تاريخ الطبرى : ج ٨ : حوادث ٢٨٤هـ ص ١٨٠- القاهرة ١٣٦٦هـ.

(٢٠) البيرونى : الآثار الباقية : ص ٢١٥ .

(٢١) تقى زادة : كاه شمارى : ص ١٥٣ .

الفصل الثانى

النوروز فى الأدب العربى

النوروز فى الأدب العربى

شق النوروز لنفسه بواسطة الكتاب والوزراء طريقًا إلى الأدب العربى ، فتبارى الشعراء والأدباء، وتفننوا فى الكتب والرسائل والقصائد التى كانوا يكتبونها أو ينشئونها فى مناسبات الاحتفال بهذا العيد . فأتوا بنوع جديد من الشعر والكتابة وهو ما نراه من كتب التهانى أو الهدايا الأدبية التى نجدها مبعثرة فى كتب الأدب والتاريخ، والتى تعد من روائع الأدب العربى فى ذلك العصر..... وفى ذلك يقول القلقشندى : "والنوروز من أجلٍّ أعياد الفرس، وكان للكتاب به اهتمام فى أوائل الدولة العباسية فى العراق جرياً على ما كان عليه الفرس من قديم الزمان ، وفيه لأبى الحسن بن سعيد : هذا يوم شرفته العجم وراعى ذمامه الكرم، وهو من أسلاف سيدى ذوى النباهة وأخلافه ذوى الطهارة بين منشئ رسمه ومؤدى حقه، وكاس له بقبول انتسابه إليه جمالاً يبقى على الأيام، وحالاً ينفق فيها لدى الأنام ، فليس أحق بالتهنئة به ممن سنه آباؤه ، وشيدته آلاؤه " وفيه له : " هذا أيد الله سيدى يوم عظَّمه السلف من العجم، وسيدى وارث سنة الكرم، وللسادة على العبيد فى هذا اليوم رسم الألطاف، وعليها لهم حق فى القبول والإسعاف ، وقد بعثت بما حضر جاريًا على سنة الخدمة وعادلاً عن طريق الحشمة ومقتصراً على ما اتسعت له الحال ، وما يوجبه قدر سيدى من المبالغة والاحتفال، فإن رأى أن يشرف عبده بالاحتمال إليه وأجرائه مجرى الأنس عنده - ففعل إن شاء الله تعالى" ..... وفيه للكرجى : هذا يوم تسمو له العجم ويستعجم فى العرب تشريفًا له واعترافًا بفضله، واقتداء بأهله وأخذًا بسنتهم فيه، فلتهن لإحراز الدولة فى العز منزلاً بحيث لا يرام ولا يضام، ولا ترقى إليه الأمانى، ولا يطمع فى

مساواته المساوى، وإنه بعد تصرم الدولة على حميد وجميل الذكر فيها أعلام تضرب بهم الأمثال، وتزهو بأيامهم الأيام وآثارهم تقتفى، وأعيادهم تنتظر ، يتأهب لها قبل الأوان ، ويعرف فيها أثر الزمان منهم فى الذروة السامية والرتبة العالية ...."(١)

وهناك أمثلة أخرى كثيرة يوردها القلقشندى فى باب التهنئة بالنوروز فى الجزء التاسع من كتابه ، تعكس الأثر الكبير الذى أحدثه عيد النوروز فى الأدب العربى ، فقد أصبح الكتاب يتبارون فى الكتابة إلى الخلفاء والأمراء مهنئين بالنوروز ، ومباهجه وإعجابهم بالأمير أو الخليفة لإحيائه سنة أسلافهم وأخوالهم من الفرس. والأمثلة الأدبية على ذلك كثيرة ، منها ما أورده المبرد فى كتابه " الكامل " عن هدية أبى العتاهية إلى الخليفة المهدى فى النوروز، يقول المبرد :" وخبرت أن أبا العتاهية كان قد استأذن فى أن يطلق له أن يهدى إلى أيدى أمير المؤمنين المهدى فى النوروز فأهدى فى إحداها برنية ضخمة فيها ثوب ناعم مطيب قد كتب فى حواشيه :

نفسى بشىء من الدنيا معلقة   الله والقائم المهدى يكفيها

إنى لأيأس منها ثم يطعمنى   فيها احتقارك للدنيا وما فيها(٢)

ويذكر الألوسى أن أول من فتح الهدية فى النوروز أحمد بن يوسف الكاتب فإنه أهدى للمأمون سفط ذهب فيه قطعة عود هندى فى طوله وعرضه وكتب معه : هذا يوم جرت فيه العادة بإتحاف العبيد للسادة وقد قلت :

على العبد حق وهو لا شك فاعله   وإن عظم المولى وجرت فواضله

ويقول بعده :

ألم ترنا نهدى إلى الله ماله   وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله

فلو كان يهدى للجليل بقدره   لقصر عنه البحر يوماً وساحله

ولكننا نهدى إلى من نجله   وإن لم يكن فى وسعنا ما نشاكله(٣)

وفى كتاب "المحاسن والأضداد" نقرأ أن حسن بن وهب أرسل إلى المتوكل فى تهنئته بالنوروز كتاباً ومدحه فيه :" أسعدك الله يا أمير المؤمنين بكر الدهور وتكامل السرور، وبارك الله فى إقبال الزمان وبسط بيمين خلافتك الآمال وخصك بالمزيد وأبهجك بكل عيد وشد بك أزر التوحيد ، ووصل لك بشاشة أزهار الربيع المونق بطيب أيام الخريف المغدق ، وقرب لك التمتع بالمهرجان والنوروز بدوام بهجة أيلول وتموز وبمواقع تمكين لا يجاوزه الأمل . ويقول فى نهايتها هذه الأبيات :

فداك الزمان وأهل الزمان إمـام الهـدى بك مستبشـرينا

قد ألقوا إليك مقاليدهـم جميعهم مطيعين مستوسقينا

ولا زلت زينـاً لأعيادهـم وللدين كهفًا وحصنـاً حصينًا

ونقرأ فيه كذلك أن المازنى أرسل يوم النوروز بهذه الأبيات إلى الخليفة :

جعلت فداك للنيـروز حـق فأنت على أعظم منه حقًا

ولو أهديت فيه جميع ملكى لكان جليله لك مستدقًا

فأهديت الثناء بنظـم شـعر وكنت لذاك مستحقًا(٤)

كما ذكر أيضاً أن حسن بن وهب بعث الأشعار التالية إلى الخليفة المتوكل مع كأس من الذهب هدية للعيد يقول فيها :

يا إمام الهدى سعدت من الدهر بركـن من الله عـزيز

لا تـزال ألف حجـة مهرجـان أن تقصى به إلى النيروز

ونعيـم ألـذ من نظـر شـوق من بعد نبـوة ونشوز(٥)

***

هذا .. وقد أورد الألوسى فى " بلوغ الأرب" نماذج لا حصر لها ، من الآثار الأدبية والشعرية فى النوروز . والدارس لهذه النماذج يلحظ باندهاش كم أثر النوروز فى فنون الأدب والشعر العربى، حتى يخيل إلى الإنسان أنه طرق أبواب الشعر كلها وألوانه المختلفة ... ومن هذه النماذج ما كتبه سعيد بن حميد إلى صديق له فى يوم نوروز : هذا يوم سهلت فيه السنة للعبيد الإهداء للملوك، وتعلقت كل طائفة من البر بحسب القدرة والهمة ، ولم أجد فيما أملك ما يفى بحقك ، ووجدت تفريطك أبلغ من أداء ما يجب لك ، ومن لم يؤت فى هدية إلا من جهة قدره فلا طعن عليه فى همته(٦)
ومنها أيضًا ما قاله أحد الشعراء من أبيات يعتذر فيها عن عدم تقديمه هدية فى النوروز وإهدائه القريض بدلاً منها :

دخلت السـوق أبتاع　　وأستطرف ما أهـدى
فما استطرفت للإهداء　　إلا طـرف الحمـد
إذا نحـن مدحنـاك　　رعينـا حـرمة المجـد

ومنها ما قاله ابن الرومى مهنئًا بعيد أضحى صادف يوم نوروز :

عيدان أضحى ونوروز كأنهما　　يوما فعالك من بؤس وإنعـام
كذاك يوماك يوم سيفه ديـم　　على العفاة ويوم سيفه دامى(٧)

ومنها ما قاله بعضهم لأحد الخلفاء :

عيد جديد وأنت جـدته　　يا من به للزمان تجـديد
لا زال طول الزمان يرجعه　　وظل ملك عليك ممدود

***

ومن لطيف الأشعار التى أوردها الألوسى عن النوروز لأحد شعراء هذا العصر يصف فيها النوروز، يقول :

كيف ابتهاجك بالنيروز ياسكنى   وكل ما فيه يحكينى وأحكيه

فتارة كلهيب النار فى كبدى   وتارة كتوالى عبرتى فيه

أسلمتنى فيه ياسؤلى إلىَّ وصب   فكيف تهدى إلى من أنت تهديه(٨)

***

وأكثر شعراء البويهيين من قصائد التهنئة بهذا العيد . فقد كان تشيع أمراء هذه الدولة وحكامها باعثًا على اهتمامهم بهذا العيد والاحتفال به، وممارسة سننه وتقاليده، وقد أورد الثعالبى فى " يتيمة الدهر" كثيراً من النماذج للآثار الأدبية التى قيلت فى النوروز فى ظل الدولة البويهية .... ومنها ما أنشده أبو إسحق الصابى – أحد شعراء العراق وبلغائها – وبعث به إلى عضد الدولة البويهى فى يوم نوروز :

تهن بهذا اليوم واحظ بخيره   وكن أبداً بالعود منه على حدٍّ

أرى الناس يهدون الهدايا نفيسة   إليك ولم يترك لى الزمان ما أهدى

سوى سكر يحلو لك العيش مثله   وآس أخى عمر كعمرك ممتد

وبينهما من ضرب قومك درهم   وأبيات شعر من ثنائى ومن حمدى

فإن كنت ترضى ما به انبسطت يدى   وتقبله منى فهذا الذى عندى(٩)

ومنها ما كتبه الصابى إلى صمصام الدولة فى النوروز يقول :

دامت لمولانا سعادته   موصولة دائمًا تترى

ونال ما أمل من ربه   فى هذه الدار وفى الأخرى

وزاده النيروز فى ملكـــه　　　عزا وفى دولتـه نصــــراً

لما رأيت الناس لم يتركوا　　　فيما ادّعوا نظما ولا نثــراً

فقلت بيتًا واحدًا كافيــًا　　　لم يعد فى مقداره سـطرًا[١٠]

وفى باب التهنئة بالنوروز أورد النويرى فى نهايه الأرب هذه الأبيات :

نوروز الناس ونورزت　　　ولكـــن بدموعـــى

وذكـــت نار همــــو　　　والنار ما بـين ضلوعى[١١]

ومن لطيف ما قيل فى النوروز وهداياه ما نقله أبو الهلال العسكرى فى كتابه (الصناعتين) قال : " وأهدت امرأة من العجم إلى هوى لها فى يوم نوروز وردًا وكتبت إليه : " هذا اليوم أحد فتيان الدهر، وشباب أقسامه، والقصف فيه عروس، والورد فى البرد كالدر فى النحر ، وقد بعثت إليك منه مهرًا يسموك فزوج السرور من النفس والطرب من القلب، ولا تستقل برًا فإنا لا نستكثر على قبوله شكرًا "[١٢] .

والدارس لديوان مهيار الديلمى يدرك إلى أى حد أثر النوروز فى الشعر العربى وفنونه المختلفة . ففى هذا الديوان ثمان وستون قصيدة قالها مهيار فى النوروز ، بين تهنئة ومديح ووصف وإشادة بالنوروز نفسه بين أعياد السنة .... ومن هذه الأشعار قوله يصف موقعه من السنة :

أبناء كسرى نشرت مجداً　　　ما أدرجت منهم الليالى

واليوم عن ملكهم حديث　　　ينبـــى بأيامـــه الأوالى

بنو على العدل كل شــىء　　　فانتخبـــوه يـوم اعتدال

والبيت الأخير يوضح حديث الشاعر عن النوروز ، فقد اختار الخلفاء يوم النوروز ضمن أيام السنة التى يعتدل فيها المناخ . وفى قصيدة أخرى يمدح أحد الوزراء مهنئًا إياه بالنورز . يقول فيها :

وأطلع على النيروز شمسًا إذا ساق الغروب الشمس لم تغرب

يوم من الفرس أتى وافدا فقالت العرب له قرّب

بات من الإحسان فى داركم وهو غريب غير مستغرب

لو شاء من ينسب لم يعره لغيركم عيدًا ولم ينسب

ومنه قوله يشير إلى تقادم عهده :

صحبتك بالنيروز عز قادم حمل التحية من حبيب واصل

يوم أحب حضور أنديه فأتاك فى وفد الثناء الحافل

يدلى إليك بفضله فى فارس وبحقه المتقادم المتطاول

وبذم فيك بألف يوم مثله فى العز يشهد عامها بالقابل[١٣]

وأبيات البحترى التى يصف فيها الطبيعة الجميلة فى النوروز والتى تعد من أجمل ما قيل فى النوروز :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكًا من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النيروز فى غسق الدجى أوائل ورد كن بالأمس نومًا

يفتقهـا بـرد النـدى فكأنه يبث حديثًا كان من قبل محرمًا

فمن شجر رد الربيع لباسه عليه كما نشرت وشيًا منمنمًا[١٤]

وكان للتعديل الذى بدأه المتوكل لإصلاح ميعاد يوم النوروز أثره الطيب على سواد الناس مما حدا بالشعراء إلى الثناء على المتوكل ... فقال البحترى :

إن يوم النيـروز قـد عــا	د للعهـد الذى سـنه أردشير
أنت حـولته إلـى الحــالة	الأولى وقد كان حائراً يستدير
فأفتحت الخراج فيه فــلأ	مة فـى ذاك مرفـق مذكـور
منهم الحمد والثناء ومنك	العدل فيم والنائل المشكور[١٥]

وبعد أن تم هذا التعديل فى عهد المعتضد العباسى ، استبشر الناس وعمهم الفرح والسرور ، وفى ذلك يقول المسعودى : " وغم الناس تأخر الخراج عنهم وكان إنعام المعتضد عليهم، فقالت الشعراء فى ذلك وأكثرت ووصفت فى أشعارها ذلك وأطنبت ، فأحسن يحيى بن على المنجم فقال يمدح المعتضد :

يامحى الشـرف اللبـا	ب ومجـدد الملك الخراب
ومعيد ركن الدين فينا	ثابتـاً بعـد اضطـراب
فتً الملوك مبرزاً فــو	ت المبــرز فى الحــلاب
أسعد بنيروز جمعت	الشكر فيـه إلى الثـواب
قدمت فى تأخيــره	ما أخــروه من الصــواب

وقوله :

يــوم نيـــروزك	يوم واحـد لا يتـأخر
من حزيران يوافى	أبـداً فى أحد عشر[١٦]

ويفرد صاحب كتاب " محاسن أصفهان " صفحات كثيرة من كتابه لقصائد شعراء أصفهان فى وصف الطبيعة الساحرة فى النوروز والتغنى به والتهنئة بحلوله .

وقد اخترت نموذجاً لذلك من شعر أبى عيسى النوشجان بن عبد المسيح الأصفهانى - أحد شعراء أصفهان فى القرن الخامس الهجرى - يقول :

حسن الربيع وبهجة النيروز حثا الرياض وزهرها ببروز

وسرت إليها ديمة بملابس منسوجة بالعسجد الإبريز

فغدت إلينا فى حلى العرائس من بعد ما اشتملت بثوب عجوز

وبدأت تتلألأ فى ملابس سندس ومحبر من وشيها وخزوز

وبدائع تنشد بأكناف الثرى وطوالع من نورها المكنوز

فاهنأ بنيروز أتاك مبشراً بربيعه وبيوم هرمز روز[١٧]

ولست هنا فى مقام من يعدد القصائد الشرعية أو القطع الأدبية الرائعة التى أنشدت فى النوروز ، فالدارس لدواوين الشعر العربى يجد كثرة مفرطة منها .... وكان من أثر الاهتمام الكبير الذى كان يبديه الخلفاء والوزراء والكتاب فى العصر العباسى بالنورز وتباريهم فى إعداد الرسائل البديعة والأشعار اللطيفة فى التهنئة بهذا العيد وبغيره من الأعياد الفارسية أن ظهر فى الأدب العربى مؤلفات خاصة فيها ، منها على سبيل المثال لا الحصر : "كتاب النوروز والمهرجان "لأبى الحسين على بن هارون بن على[١٨] ومنها كذلك : "الرسالة النيزروية" للشيخ الرئيس ابن سينا ، وكان قد قدمه هدية فى يوم نوروز إلى أحد أمراء عصره[١٩] ومنها أيضاً" كتاب النوروز " وهو بحث لغوى جمع فيه مؤلفه " أبو الحسين أحمد بن فارس " الألفاظ التى توافق كلمة نوروز[٢٠] .

وهناك كتب كثيرة أخرى عن الأشعار التى قيلت فى النوروز . كما نجد أمثلة لهذه الأشعار فى كتب الثعالبى والجاحظ وغيرهما .

الهوامش

(١) القلقشندي : صبح الأعشى : ج ٩ : ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) المبرد : الكامل : ص ٤١٩ – القاهرة ١٣٥٥ هـ .

(٣) الألوسي : بلوغ الأرب : ج ١ ص ٣٥١ – القاهرة ١٣٤٢هـ .

(٤) الجاحظ : المحاسن والأضداد : ص ١٨١ .

(٥) الجاحظ : المحاسن والأضداد : ص ١٨١ .

(٦) الألوسي : بلوغ الأرب :ج ١ :ص ٣٥١ ، ٣٤٢ .

(٧) النويري : نهاية الأرب :ج ٥ :ص ١٣٥ – طبع دار الكتب المصرية – القاهرة ١٣٤٤هـ.

(٨) الألوسي : بلوغ الأرب :ج ١ :ص ٣٥٥ .

(٩) الثعالبي : يتيمة الدهر : ٢ : ٢٥٧ . دمشق ١٢٠٣ هـ .

(١٠) الثعالبي : يتيمة الدهر : ٢ : ٢٥٧ .

(١١) النويري نهاية الأرب : ١: ١٨٧ .

(١٢) أبو هلال العسكري : الصناعتين : ص ٢٧٢ .

(١٣) مهيار الديلمي : الديوان : ج١ : ص ٨٢ ، ٨٨ . طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٥هـ.

(١٤) البحتري : الديوان : جـ١ : ص ٨٢ ، ٨٨ ، طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٥هـ .

(١٥) الألوسي : بلوغ الأرب : ج ١ : ص ٣٥١، ٣٥٢.

(١٦) المسعودي : مروج الذهب : ج ٤ : ص ٢٧١ – القاهرة ١٩٦٤ م .

(١٧) مفضل بن سعد الأصفهاني : محاسن أصفهان : ص ٦٥ – طبع طهران .

(١٨) ابن النديم : الفهرست : ج١ : ص ٢٠٦ ليبزج ١٨٨٢م .

(١٩) عبد السلام هارون : نوادر المخطوطات : المجموعة الخامسة . القاهرة ١٣٧٠هـ

(٢٠) المصدر السابق .

الفصل الثالث

النـوروز فى مصـر

كيف جاء النوروز إلى مصر

كان المصريون القدماء وكل من أخذ عنهم من الأمم كالكلدانيين والآشوريين، يبدءون أول سنتهم بالاعتدال الربيعى ، وعرفت هذه السنة بـ " السنة الفلكية "، وكان السبب الذى دعاهم إلى ذلك هو الاعتقاد بأن بدء الخليقة، كان أول الاعتدال الربيعى . ومن المعروف أن السنة المصرية أقدم السنين، التى استعملت فى العالم أجمع[١]، إذ لم يكن عند الأمم علم يمكنهم به معرفة ضبط الوقت، ويقول "جرجس عوض ": ولكن المصرى أول من تعلم وعلم ، فنبغ فيهم توت[٢] وأدرك أن بلاده فى حاجة إلى تعيين وقت فيضان النيل ، وأراد أن يجعل مقياساً ثابتًا لأوقات ظهوره بالدقة الفلكية فوجد أن الشمس التى يعبدونها، ويوجهون إليها صلواتهم عند شروقها هى التى تنيرهم، وتحيى الأرض بحرارتها ، وأن هناك نجمًا آخر - يرونه لبعده صغيراً ولكنه أكبر من الشمس بكثير - يظهر فى يوم مقارنًا للشمس فى الصباح والغروب .

فرأى أن يجعل هذا اليوم - المعروف بقران الشمس بالشعرى اليمانية - هو رأس سنتهم، لأنه يكون فى وقت تنفس النيل، ونزول مياهه من المنابع الأصلية، فاحتفل بهذا اليوم ، ودعاه " نى يارءوه "، فلما دخل اليونان بلادنا وتملكوا علينا لم يتركوا هذه الكلمة على حالها، بل أضافوا إليها حرف " س " للإعراب، فصارت " نى ياروس "[٣]. وأصبح هذا اليوم بداية للسنة الزراعية المصرية، التى يبدأ الشهر الأول منها باحتفال المصريين بيوم " نى ياروس " .

وكانوا يحتفلون به احتفالاً عظيماً ، فيخرج أكثرهم إلى الحقول، تاركين وراءهم كل أعمالهم ، معتقدين أن الكسل يلازم من لا يبكر للاحتفال به ، كما يخرجون فى رحلات بالقوارب فى النيل ، وفى الليل، يقومون بأداء بعض الطقوس الدينية، التى تعبر عن تقديسهم للنيل واهب الحياة لهم[٤] .

ولما احتل الفرس مصر على يد " قمبيز " سنة ٥٢٩ق . م[٥]، أخذ هذا العيد صبغة فارسية ، وانتقلت تقاليد النوروز الفارسى إلى هذا العيد ، بعد أن وجد الفرس فى تقاليده ، ما يتشابه مع تقاليد عيد النوروز ، واستمر احتفاء المصريين بهذا العيد إلى أن دخلت مصر فى الدين المسيحى، فاكتسب هذا العيد طابعًا جديداً ، بعد أن ارتبط بذكرى جليلة لدى أقباط مصر وهى ذكرى " يوم الشهداء " ، ففى عهد " دقلديانوس الإمبراطور " الرومانى، الذى تولى الحكم " ٢٨٤ م " رفض أقباط مصر ترك الدين المسيحى والارتداد إلى الوثنية ، فقام " دقلديانوس " بقتل بضعة آلاف منهم، وقد حدث ذلك يوم احتفال المصريين بيوم " نى ياروس " أول شهر توت ، ومن ثم رأى أقباط مصر أن يجعلوا هذا العيد رأسًا لتقويم جديد أسموه " تقويم الشهداء "، واستبدلوا ذكرى فيضان النيل بذكرى فيضان دماء نحو مليون منهم[٦] .

ولما فتح العرب مصر ، ودخل أغلب أهلها فى دين الإسلام أفواجًا ، وجدوا أن عيد "نى ياروس" أول السنة القبطية يشبه فى أغلب تقاليده عيد النوروز الفارسى ، فقاموا بتحوير لفظى لكلمة "نى ياروس" واستبدلوها بكلمة " نيروز "، وظلت تقاليد النوروز الفارسى، التى كانت مرعية فى مصر منذ الاحتلال الفارسى لها ، ظلت مرعية كما هى فى هذا العيد . وشارك العوام من مسلمى مصر إخوانهم الأقباط فى إحياء هذا العيد، وفى ذلك يقول الألوسى : " وعند القبط بمصر عيد النيروز ويتخذونه رأس سنتهم، وهم يظهرون فيه من الفرح والسرور، وإيقاد النيران، وصب المياه ضعف ما يفعله الفرس ، ويشاركهم فى ذلك العوام من المسلمين[٧] .... وتفاصيل الاحتفال بهذا العيد فى مصر كلها كما يلى :

تقاليد النيروز القبطى فى مصر

ذكرت كثير من المصادر التاريخية المختلفة، التى تناولت موضوع النوروز، أن تقاليد النوروز كانت، قد انتقلت من إيران إلى مصر، وربما يؤكد ذلك ما لوحظ من شبه بين التقويمين فى كثير من الأصول والفروع . فالسنة المصرية القديمة مثل السنة الإيرانيه الشمسية زراعية ، والتقسيم المصرى للسنة يوافق ما سبق ذكره فى التقسيم الفارسى، من حيث عدد أيام الشهور، وقصر مدة كل شهر على ثلاثين يومًا، ثم إضافة خمسة أيام آخر السنة " المسترقة " ، وتسمية كل يوم منها باسم أحد الآلهة، وكذلك عند تقسيم الشهر إلى أسابيع ، وتسمية كل يوم من أيام الشهر باسم خاص ، وغير ذلك من الأمور المشتركة بين التقويمين، مما لا يدع مجالاً للشك، فى أنهما كانا متأثرين ببعضهما تأثرًا واضحًا ، وأن التيار الفكرى والمدنى كان قويًا بين الأمتين فى العصور القديمة، ويرجع حسن تقى زادة " حدوث هذا التفاعل فى عهد " قمبيز "، ولما جاء " دارا " - خليفته فى الحكم - أخذ فى عهده بعض الإصطلاحات من التقويم المصرى وأدخلها فى التقويم الفارسى ، وعم ذلك ممالك إيران (٤٨٧ق.م)[٨]، وأوجد هذا نوعًا من الروابط الثقافية بين البلدين آنذاك، استطاع النوروز من خلالها أن يجد طريقه إلى مصر بسننه وتقاليده الإيرانية، ضمن هذا التفاعل الثقافى، ويؤكد ذلك ما ورد فى " كتاب تاريخ مصر "[٩] لأحمد بن إياس فى وصف الاحتفال بالنيروز القبطى فى مصر، يقول ابن إياس : " وكان من اصطلاح ملوك القبط فى النيروز - وهو أول يوم من السنة القبطية - أن يأتى الملك رجل فى صبيحة ذلك اليوم فيدخل عليه بغير إذن ، ويكون ذلك الرجل حسن الثياب ، طيب الرائحة ، فصيح اللسان ، فيقف بين يدى الملك، بحيث أن يراه ، فيقول له الملك من أنت، ومن أين أقبلت، وإلى أين تريد ، وما اسمك، وما معك، ولأى شيء وردت ؟ فيقول الرجل : أنا المنصور، واسمى المبارك، وإلى الملك السعيد أردت ، وبالهناء والسلامة وردت ، وبالعام الجديد قد أقبلت ، ثم يجلس بين

يدى الملك، ويرد بعده رجل معه طبق من الفضة، وفيه قمح، وشعير، وفول، وحمص، وبسلى، وعدس، وسمسم، وقطعة سكر، ودينار ذهب، ودرهم فضة ضربا فى ذلك العام، وطاقة آس فيضع ذلك الطبق بين يدى الملك، ثم يقدم إلى الملك رغيفاً، قد صنع من تلك الحبوب السبعة ، فيأكل الملك منه ويطعم من حوله من أرباب الدولة ، ثم يدخل عليه الوزراء والحجاب وعمال الخراج، ثم بقية الجند على قدر مراتبهم، ثم يقول الملك : هذا يوم جديد، من عام جديد، من زمان جديد، فنحتاج إلى أن نجدد فيه ما أخلق من الزمان، ثم يأمر أن يفرق ما فى حواصله جميعًا من ملابس، ومن فرش على جنده ، ثم يجدد غيرها ويقول :ما من أخلاق الملوك أن يساووا العامة فى أفعالهم، ويدخروا فى حواصلهم كسوة الصيف إلى الشتاء ولا كسوة الشتاء إلى الصيف(١٠) ".. وهذه التقاليد هى بعينها ما سبق أن ذكرته نقلاً عن الجاحظ، والبيرونى، والخيام فى حديثهم عن تقاليد النوروز فى إيران .

والفرق بين النوروز الفارسى والنيروز القبطى فى مصر، هو فرق فى التوقيت الزمنى، فالفرس يحتفلون به يوم الاعتدال الربيعى " ٢٥ آذار – مارس "، بينما يحتفل المصريون بالنيروز القبطى أول شهر توت " ١١ أيلول – سبتمبر "، وهو بداية سنتهم .

ومن الجدير بالذكر فى هذا المقام، أن احتفال المصريين بيوم " شم النسيم " رأس سنتهم الفلكية – التى استعملت فى بادى الأمر، والذى يعتبر عيداً وطنياً، تعطل فيه المصالح الحكومية، ويخرج الناس فيه إلى الرياض والحدائق احتفالاً به – يتفق فى توقيته الزمنى مع عيد النوروز فى إيران، كما يتفق معه أيضاً فى بعض التقاليد الشعبية، وفى الاعتقاد بأنه أول الخليقة ، وأنه اليوم الذى عفا الله فيه عن آدم عليه السلام .

والدارس لكتابى " تاريخ مصر " لأحمد بن إياس و" الخطط " للمقريزى، يرى إلى أى مدى حظى النوروز وتقاليده وعاداته بعناية واهتمام من المصريين، لا يقل عن اهتمام الإيرانيين به، وإن زاد عليه فى بعض الأحيان، وشارك حكام مصر شعبها فى

الاحتفال به، وإقامة مراسمه وسننه، ويذكر المقريزى أن الفاطميين، كانوا أكثر حكام مصر اهتمامًا، بإحياء تقاليد النوروز . فقد ورد فى كتابه " الخطط " ذكر للأيام، التى كانوا يتخذونها أعيادًا ومواسم ، ويذكر من جملتها النيروز، الذى كانت تعطل فيه الأسواق، ويقل سعى الناس فى الطرقات، وتصرف فيه الكسوة لرجال الدولة، وأولادهم ونسائهم، والرسوم من المال، وحوائج النيروز، وأصنافها من البطيخ، والرمان، وعراجين الموز، وأقفاص السفرجل، وبكل الهريسة ، ويركب الخليفة الفاطمى إلى منظرة تعرف باللؤلؤة، ليشاهد الناس فى فرحهم بالعيد[١١] ..... وأما عن تقاليد الناس فى الاحتفال بالنوروز، فإن ابن إياس يعطى تفصيلاً دقيقًا لذلك، فيقول : " والنيروز من أجل المواسم فى الديار المصرية . ومما كان يعمل فى ذلك اليوم بالديار المصرية أنه كان يجتمع فى ذلك السواد الأعظم من الناس، فيقفون على أبواب الأكابر من أعيان الدولة ، ويركب فيه أمير، موسوم بأمير النيروز، ومعه جمع كثير، فيكتب أمير النيروز وصولات بالجمل الثقال، وكل من امتنع من العطاء من الأكابر بهدلوه، وسبوه سبًا قبيحًا، ولا يزالون مترسمين على بابه، حتى يأخذوا منه ما يقرون عليه من الدراهم، بحسب ما يقرره عليه أمير النيروز، فيأخذوا ذلك منه غصبًا ويمضوا، وكان ذلك لأسود الأعظم، يقفون فى الطرقات ويتراشون بالماء المتجنس، ويتراجمون بالبيض النيئ فى وجههم، ويتصارعون بالأنطاع والأخفاف ، ويقطعون على الناس الطريق ، ويمتنع الناس من الخروج فى ذلك اليوم إلى الأسواق ، وتغلق فى ذلك اليوم أسواق القاهرة ودكاكينها ، وكل من ظفروا به فى الطرقات بهدلوه، ولو أنه أمير ومن أعيان الناس، فيرشونه بالماء المتجنس، ويرجمونه بالبيض النيئ فى وجهه، ويصفعونه بالأخفاف ، فتتعطل[١٢] الناس فى ذلك اليوم عن البيع والشراء، وكان الناس يتجاهرون بشرب الخمر وكثرة الفسق فى أماكن المتفجرات، حتى يخرجوا فى ذلك عن الحدود . وكان هذا الأمر مستمرًا فى كل سنة على القاعدة القديمة من الدول الماضية، ولا ينكر ذلك بين الناس، وكان يحمل فى ذلك اليوم لأكابر مصر من القبط والمباشرين أصناف الفواكه، الرمان، وعراجين الموز، ومشنات السفرجل، والتفاح الشامى، وقفص البسر،

وأقفاص العنب، وقدور الهريسة المعمولة من لحوم الدجاج، ومعها بطط الجلاب، وصحون الحلاوة القاهرية، وغير ذلك من الأنواع اللطيفة(١٣) .

وكانت مغالات الناس فى الاحتفال بالنيروز القبطى، دافعًا للمعز لدين الله الفاطمى إلى منع الاحتفال به، "فقد زاد لعب الناس بالماء، ووقود النيران، فأمر بالكف، وأن لا توقد نار، ولا يصبّ ماء، وأخذ قوم فحبسوا، وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال .....(١٤) ولم يستمر هذا المنع طويلاً، وعاد الناس إلى ممارسة عاداتهم فى الاحتفال به .

وإذا انتقلنا مع النيروز إلى عصر المماليك فى مصر، وجدناه يحظى بعظيم اهتمام من الناس حكامًا ومحكومين، فقد حاكى مسلمو مصر فى عصر المماليك إخوانهم الأقباط فى الاحتفال بذلك العيد والتوسعة على أهلهم فيه، فلابد فى ذلك اليوم من عمل بعض أصناف خاصة من الحلوى : الزلابيا والهريسة، بحيث تصنع ليلة النيروز، فإذا أشرقت الشمس ذلك اليوم، أرسلوا منها لمن يختارون من الأقارب والأصحاب، ودعوا الأهل والأحباب إلى تناول الطعام ، لاسيما البطيخ الأخضر، والخوخ، والبلح، وغير ذلك "مما يلزمه النساء لأزواجهن"، حتى صار ذلك كأنه فرض عليهن، لأنهن اكتسبن ذلك من مجاورة القبط، ومخالطتهن بهم(١٥) " وإذا امتنع أحدهم عن فعل ذلك"، كان ذلك سببًا لوقوع التشويش بين الرجل وأهله(١٦) .

أما خارج المنازل، فجرت العادة أن يجتمع العامة فى ذلك اليوم بالطرقات، ويلعبون بالتراش بالماء، والتصافح بالجلود، وغيرها ... وقد أصبح ذلك من الأشياء العادية، حتى أن الوالى لا يحكم لأحد ممن ضربوا أو سلبت نقودهم فى ذلك اليوم(١٧)، وهكذا اقترن هذا العيد بمجاوزة الحدود إلى "الفجور والعهور"(١٨)، فالخمر يشرب جهاراً ، والنساء يلعبن فى بيوتهن مختلطين مع الشبان، فيرش بعض بعضًا بالماء دون أن تستحى الجارة من الجار، أو من ابن العم، أو من الصهر، أو من أصدقاء زوجها. وإذا ضاقت بهم المنازل، خرجوا إلى البرك، والخلجان، وغيرها من أماكن النزهة، حيث يصل بهم الأمر إلى نزع ثيابهم، فيصبح أكثرهم عرايا فى حين يقنع المحتشم، أو

المحتشمة منهم بقميص رقيق[١٩]، ومن خصائص يوم النوروز فى عصر سلاطين المماليك عمل مهرجان فى شوارع القاهرة وطرقاتها ، على نحو ما ذكرت فى العصر الفاطمى، فهم يأخذون إنسانًا منهم يكون "قوى الطباع"، ويسمونه أمير "النوروز"، ويغيرون صورته وخلقته، ويجعلون على رأسه طرطوراً طويلاً من الخوص، ويركبونه حماراً، وهو شبه عريان، ويجعلون حوله الجريد الأخضر، وشماريخ البلح، وبيده شئ يشبه الدفتر، كأنه يحاسب الناس ، ثم يطوفون به أزقة المدينة وشوارعها على البيوت والأسواق، فيقف على باب كل فرد ، سواء كان من الأكابر أو غير الأكابر، ويكتب عليه إيصالاً بأموال وأشياء معينة يجب عليه دفعها فوراً وإلا أهانوه بصب الماء عليه ، وظلوا مرابطين أمام داره، حتى يأخذوا ما فرضوه عليه ، وهم فى كل ذلك يحتمون بالنوروز، ويقولون : " ليس فيه حرج ولا أحكام تقع "[٢٠] .

واعتاد السلطان فرج بن برقوق – شأنه فى ذلك شأن أغلب سلاطين المماليك – أن يحتفل بيوم النيروز، احتفالاً كبيراً، فيقضى اليوم مع ندمائه فى معاقرة الشراب، ولقد حاول بعض سلاطين المماليك، أن يضعوا حداً للمفاسد، التى تحدث يوم النيروز، ولكن جهودهم ذهبت أدراج الرياح، إذ كان من المصطلح عليه عند المعاصرين – مسلمين وذميين – أن النيروز عيد قومى، يجب أن تتعطل فيه الأسواق عن البيع والشراء ، وأن تغلق المدارس أبوابها ليقضى طلبتها يومهم فى اللعب[٢١] .

على أن الاحتفال بهذا اليوم، أخذ مع الزمن طابعًا عاديًا ، وترك الناس مغالاتهم، التى عرضت لها فى الصفحات السابقة، وفى ذلك يقول المقريزى : " ولم يبق الآن للناس من الفراغ ما يقتضى ذلك، ولا من الرفه والبطر ما يوجب لهم عمله[٢٢] .... وأما فى عصرنا الحاضر، فإن الاحتفال به يتم داخل الكنائس والجمعيات القبطية، وتلقى فى هذه الاحتفالات العظات الدينية، التى تذكرهم بذكرى شهدائهم، الذين ضحوا بأنفسهم فى سبيل العقيدة فى مثل هذا اليوم من مئات السنين، كما يحتفل به

جماهير الشعب من الأقباط، فيخرجون إلى النيل للاستحمام فيه وتناول خبز خاص يعرف "بالزلابية"، ويصنعونها مجردة من الخمير، وفي هذا إشارة إلى نقاوة القلوب من خمير الشرور، على حد وصية الرسول بولس، الذى قال : " إذن فلنعيد لا بخمير الخبث والرياء ، بل بفطير الإخلاص والحق[٢٣] ..... " كما يحرصون على تناول البلح الأحمر، وذلك إشارة إلى لون الدماء، التى جرت أنهارها فى مثل هذا اليوم من أجدادهم، على يد الإمبراطور الرومانى دقلديانوس ، وإشارة إلى شجرة النخيل، التى اختارها الأقباط شعاراً لهم[٢٤] ..... "

النوروز والشعر فى مصر

لا أستطيع أن أزعم، أنه كان للنوروز تأثير على الشعر فيها، بمثل ما كان له فى الشعر عند العرب فى العصر العباسى ، وعند الفرس فى مختلف العصور الإسلامية، لكن الدارس لديوان الأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمى، يلحظ عميق تأثره بهذا العيد فى ثنايا ديوانه ... فهناك كثير من القصائد، التى يتغنى فيها الأمير تميم بالنوروز والطبيعة الساحرة فيه . وليس ذلك فقط ، بل إنه يستهل قصائد المديح بالتهنئة به ... ومن هذه القصائد قوله مخاطباً الخليفة العزيز بالله يوم نوروز :

أرانى إذا هذبت فيك قصيدة — من المدح واتانى الكلام المهذب

وإن رمت تقريظاً لغيرك عاقنى — لسانى وراح القول فيه يهذب

لأنك مجبول على الفضل والعلا — وإن العطايا فيك طبع مركب

بل انصلحت أيامنا بعد جورها — وذل الزمان الجامح المتقلب

فـإن طاب نيـروز وعيـد فإنمـا بنورك أضحـى ذا وذا وهـو طيب

فعش تعمر الأوقات عمران ماجد فإن لم تكن معمورة بك تخرب[٢٥]

وقد أحسن الأمـير تميم اختيـار الوقت الذى يخاطب فيـه الخليفة العـزيز بالله ، فـاختار يوم النوروز ، مادحًا وداعيًا له بطول العمر ليطيب ويسعد بعيد النوروز . وفى قصيدة أخرى يمدح العزيز بالله - أيضًا - ويهنئه بحلول عيد النوروز، ويصف الطبيعة وفيضان النيل يوم النوروز ، يقول :

ليهنـك نـوروز تباشـرت العـلا بسعدك فيه واضمحلت بك النـوب

وعادت بك الأيـام فيـه أوانسـًا وأصبح فيه مبعـد الخيـر مقتـرب

وزادت مدود النيل حتـى كأنمـا أتتك ارتغابًا تقذف المـوج أو ذهب

كأن نبات الماء فاضت على الثرى بمسك ومجت فيه عنبـرها التـرب

فقد غصت الخلجان حتى كأنهـا مدائن تدعو من جيوشك بالحرب[٢٦]

ولم يقـتـصـر تأثيـر النوروز على المديح والوصف فى شـعـر تميم، بل تعـداه إلى خـمرياته، فـقد أصبح الشـاعـر يطلب الخـمـر يوم النوروز، يوم الجـمـال، والحسن فى الطبيعة يوم البهجة والسعادة فى الدنيا، يقول تميم فى ديوانه، ومن خمرياته ما كتبه إليه بعض أصحابه، يستهدى منه نبيذًا . يقول :

هجرت شراب الراح فى فتية ما منهم من يهجـر الخمرا

وخمرنا بعد فما استـكملت فى دنها معصـورة شهـرا

وليس غمر الخمر ما لم يحل حول عليها عنـدنا عمـرا

وقـد أتى النيـروز مستجهـلاً من لم يجده ميتًا شكرا[٢٧]

وباستسناء ديوان الأمير تميم، الذى يبدو تأثره الكبير بالنوروز فى ثنايا قصائده، فقد أصبح الشعراء على مر العصور، يتناولون النوروز فى مناسبات الاحتفال به متغنين به ، أو متغزلين فى معشوقاتهم وجمالهن فيه، مثل قول القائل :

كيف ابتهاجك بالنيروز يا سكنى — وكل ما فيه يحكينى وأحكيه

فتارة كلهيب النار فى كبدى — وتارة كتوالى عبرتى فيه

وقول شاعر آخر :

ولما أتى النيروز يا غاية المنى — وأنت على الإعراض والهجر والصد

بعثت بنار الشوق ليلاً على الحشا — فنورزت صبحًا بالدموع على الخد(٢٨)

ومن الأمثلة الشعرية لقصائد قيلت فى مناسبة الاحتفال بالنوروز فى العصر الحديث، هذه القصيدة، التى أنشدها عباس العقاد ، والتى يقول فيها(٢٩) :

أهلاً بنيروز وليد — أهلاً بميلاد سعيد

يوم جديد قلت بل — عهد على مصر جديد

النيل أقبل من بعيد — وكأنه حبل الوريد

يا صحبة الأقباط وفقتم — إلى النهج السديد

حييتم النيل المبارك — واحتفيتم بالصعيد

عيد الوفاء إذا استعيد — فمن وفاء المستعيد

عيد الأوائل والأواخر — والخمائل والورود

العالمية وصفه — المعهود فى كل العهود

من فارس عنوانه — وصداه فى الدنيا بعيد

كـم صـان مصريـون ذكـراه وحيـاه هنـود

وترنمت فيـه العـروبة بالقصيـد وبالنشـيد

ما بيـن شـعر البحتـرى وبين نثر ابن العميـد

اسـم يؤلـف بينهـا من حيث فرقها الجدود

ما أحرج الدنيا إذا اختلفت إلى عيـد وحيـد(٣٠)

ومن هذه الأمثلة كذلك :

نيروز عيـدك قبلـة الأعـياد تأتى ديار النيـل فى الميعـاد

بالخير دفاقـاً لخـير البـلاد وبسـيرة الآبـاء والأجـداد

يا مصر كم روت الدماء ثراك وعن العقـيدة لم يحـد أبناك

ماتوا ، لأجل الحق ، أو لهواك ماتوا وثغـرهمـو يقبـل فاك

نيروز أنت معلـم الأهلينـا أن الردى فى الحق ، كان قمينا

نيروز عيـدك سـيد الأعيـاد

نيروز عيـدك أروع الأعيـاد

نيروز عيـدك أطهـر الأعيـاد

نيروز عيدك أقدس الأعياد(٣١)

***

الهوامش

(١) سليم حسن : مصر القديمة . القاهرة .

(٢) توت : أحد آلهة المصريين ، رأوا فيه رسول السماء إلى من فى الأرض، يحمل إليهم العلم والمعرفة، ويعلمهم عدد السنين، والحساب، وإليه يضرع طلاب العلم والمعرفة، يلتمسون فى رحابه الهداية والحكمة، ويسمى عند العرب " إدريس"، وعند اليهود" أخنوع"، وعند اليونان " هرمس"، وقد عرف المصريون فضله، فدعوا الشهر الأول من اسمه ، وكذلك السنه فقالوا :" شهر توت والسنة التوتية . " فتوت هذا هو واضع نظام السنة المصرية، قبل أن تحلم أمه فى الوجود بالعلم " .

جرجس عوض : تصحيح حساب الأيام والسنين القبطية . ص ١٩ ، ٢٢ . القاهرة ١٩١٥م .

(٣) جرجس عوض : المرجع السابق ص ١٣ .

(٤) سليم سليمان : مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية . القاهرة ١٩١٤م .

(٥) أحمد فخرى : تاريخ الحضارات الشرقية . القاهرة ١٩٥٧م.

(٦) جرجس عوض : أساس التقاويم . القاهرة ١٩١٥م.

(٧) الألوسى : بلوغ الأرب : ج١ : ص ٣٥٠ .

(٨) حسن تقى زاده : كاه شمارى در إيران قديم : ص١٣٧ .

(٩) أحمد بن إياس : تاريخ مصر : ج١ : ص٢٦٣ . القاهرة ١٣١١هـ .

(١٠) ابن إياس : تاريخ مصر : ص ٢٦٣ . القاهرة ١٣١١هـ .

(١١) المقريزى : الخطط : ج١ : ص٢٦٧ .

(١٢) ابن إياس : تاريخ مصر : ج١ ص ٢٦٣ .

(١٣) أحمد بن إياس : تاريخ مصر : ج١ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(١٤) المقريزى : الخطط : ج ٢٦٧ .

(١٥) ابن الحاج : المدخل : ج٢ ص ٤٨، ٤٩ ، القاهرة ١٣٢٠هـ .

(١٦) المصدر السابق . ص٤٩ .

(١٧) ابن الحاج : المدخل : ج ٢ ص٤٩ .

(١٨) المقريزى : الخطط ¯ ج٢ : ص٢٢ .

(١٩) ابن الحاج : المدخل : ج٢ ص ٥١ .

(٢٠) ابن إياس : تاريخ مصر : حوادث سنة ٧٨٧هـ .

(٢١) ابن الحاج : المدخل : ج٢ ص٤٩ .

(٢٢) المقريزى : الخطط : ج١ص ٢٦٧ .

(٢٣) مجلة مارجرجس : العدد السابع والثامن . سبتمبر سنة ١٩٦٩م . السنة الحادية والعشرون .

(٢٤) المصدر السابق .

(٢٥) تميم بن المعز لدين الله الفاطمى : ديوان تميم : ص٥١: طبع دار الكتب المصرية ١٣٢٣هـ / ١٩٥٧م.

(٢٦) المصدر السابق ص :٦٢ .

(٢٧) تميم بن المعز لدين الله : الديوان : ص٦٥ .

(٢٨) المقريزى : الخطط : ج ١ ص ٢٦٧ .

(٢٩) ألقيت هذه القصيدة (١٩٦٢م) فى احتفال جمعية الشبان المسيحية بالنوروز .

(٣٠) مجلة مارجرجس : العددان السابع والثامن . سبتمبر سنة ١٩٦٩م .

(٣١) مجلة مارجرجس : العددان السابع والثامن . سبتمبر سنة ١٩٦٩م .

المراجع

أولاً - المراجع العربية المطبوعة :

١ - ابن الأثير " عز الدين بن الأثير الجزرى "

الكامل فى التاريخ - القاهرة ١٣٤٨هـ .

٢ - ابن الحاج " أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى القيروانى "

المدخل : أو مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة" .

القاهرة ١٣٢٠هـ .

٣ - ابن خلدون المقدمة ، بيروت ١٩٠٠م .

٤ - ابن النديم " محمد بن إسحق النديم " .

الفهرست : ليبزج ١٨٨٢ م .

٥ - ابن إياس " محمد أحمد بن إياس المصرى " .

بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، المشهور بتاريخ مصر .

القاهرة ١٣١١هـ .

٦ - ابن تغرى بردى : " جمال الدين يوسف بن تغرى بردى " .

النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة .

القاهرة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م .

٧ – ابن خلكان ″ شمس الدين أبو العباس أحمد ″

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .

القاهرة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .

٨ – ابن مسكويه ″ أبو على أحمد بن محمد ″ .

تجارب الأمم وتعاقب الهمم – القاهرة ١٩١٥م .

٩ – ابن واضح الإخبارى : ″ أحمد بن جعفر بن وهب الكاتب ″ .

تاريخ اليعقوبى . بغداد ١٣٥٨هـ .

١٠ – أبو الفضل عبد الله الحسنى : الكنز الأمين فى أحاديث النبى الأمين .

القاهرة ١٣٣٣٨هـ / ١٩٦٨م .

١١ – أبو النصر مبشر الطرازى : كشف اللثام عن رباعيات الخيام . القاهرة ١٩٦٧م .

١٢ – أحمد فخرى : تاريخ الحضارات الشرقية . مترجم . القاهرة ١٩٥٧م.

١٣ – الإصطخرى : أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسى .

مسالك الممالك ليدن ١٨٧٣م .

١٤ – الألوسى : محمود شكرى الألوسى البغدادى .

بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب . القاهرة ١٣٤٢هـ .

١٥ – الدوميلى : العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ت . عبد الحليم النجار ومحمد يوسف . القاهرة ١٩٦٢م .

١٦ – الباخرزى : " أبو القاسم على بن الحسن بن أبى الطيب الباخرزى " .

دمية القصر فى محاسن أهل العصر . حلب ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م .

١٧ – بروان : "إدوارد جرانفيل براون" .

تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى . ت : الشواربى القاهرة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

١٨ – البندارى : " الفتح بن على بن محمد البندارى " – مترجم – الشاهنامه . القاهرة ١٩٣٢م.

١٩ – البندارى : " ناشر ومحقق وملخص " .

تاريخ دولة آل سلجوق . القاهرة ١٣١٨هـ.

٢٠ – البيرونى : " أبو الريحان البيرونى " .

الآثار الباقية عن القرون الخالية .

ليبزج ١٩٢٣ م .

٢١ – البيهقى : "ظهير الدين أبو الحسن على بن القاسم"

تاريخ حكماء الإسلام . دمشق ١٩٤٦م .

٢٢ – الثعالبى : " أبو منصور عبد الملك بن محمد ابن إسماعيل الثعالبى " .

غرر ملوك الفرس وسيرهم . باريس ١٩٠٠م .

٢٣ – الثعالبى : يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر .
دمشق ١٣٠٣ هـ .

٢٤ – الجاحظ : " أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ " .
التاريخ فى أخلاق الملوك . القاهرة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م .

٢٥ – الجاحظ : المحاسن و الأضداد . ليدن ١٨٩٨م .

٢٦ – جرجس فيلوثاؤس عوض أساس التقاويم القاهرة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م.

٢٧ – جرجس عوض تصحيح حساب السنين والأيام القبطية . القاهرة ١٣٦٤هـ .

٢٨ – الجواليقى : " أبو منصور موهوب أحمد بن محمد الخضر الجواليقى " .
المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم . القاهرة ١٣٦١هـ .

٢٩ – جورج سارتون : تاريخ العلم . ت : كامل حسين . القاهرة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م .

٣٠ – حامد الصراف : عمر الخيام . بغداد ١٩٤٩م.

٣١ – حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى . القاهرة . ١٩٦٧ م .

٣٢ – حسين مجيب المصرى : فارسيات وتركيات . القاهرة ١٩٦٧م .

٣٣ – حمزة بن الحسن الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء .
برلين ١٣٤٠هـ .

٣٤ – داود الضرير الأنطاكى : تذكرة أولى الألباب . القاهرة ١٢٨١هـ .

٣٥ – دونلد ولبر : إيران ماضيها وحاضرها . ت : عبد النعيم حسنين . القاهرة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م.

٣٦ – الدينورى : " أبو حنيفة أحمد بن داود " .

الأخبار الطوال . القاهرة ١٩٦٠م .

٣٧ – الراوندى : " محمد بن على سليمان الراوندى " .

راحة الصدور وآية السرور . ت : الشواربى . عبد النعيم حسنين . الصياد . القاهرة ١٩٦٠م.

٣٨ – سعيد عاشور : المجتمع فى عصر سلاطين المماليك . القاهرة ١٩٦٢م.

٣٩ – سليم حسن : مصر القديمة . القاهرة .

٤٠ – سليم سليمان : مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى : الوثنية والمسيحية . القاهرة ١٦٣١هـ/ ١٩١٤م .

٤١ – الصولى : " أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس " . أدب الكتاب . القاهرة ١٣٤١ .

٤٢ – الطبرى : " محمد بن جرير " .

تاريخ الأمم والملوك . القاهرة ١٣٣٦هـ .

٤٣ – عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم . القاهرة ١٩٦٦م .

٤٤ – عبد الرحمن الخازن : ميزان الحكمة . الدكن – الهند ١٣٥٩هـ .

٤٥ – عبد السلام هارون : "محقق وناشر"

نوادر المخطوطات . القاهرة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م .

٤٦ – عبد المنعم ماجد : دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر . القاهرة ١٩٦٤م .

٤٧ – عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر . القاهرة ١٩٥٥م .

٤٨ – عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق . القاهرة ١٩٥٩م .

٤٩ – عمر الخيام : رسالة فى شرح ما أشكل من مصادرات إقليدس . الإسكندرية ١٩٦١ م .

٥٠ – عمر الخيام : الجبر والمقابلة . نشر ويكة . باريس ١٨٥١م .

٥١ – فيليب حتى : تاريخ العرب . بيروت ١٩٦١م .

٥٢ – قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى . القاهرة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م .

٥٣ – القزوينى : زكريا بن محمد محمود القزوينى .

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات . درسدن ١٨٤٩م .

٥٤ – القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد . ليدن ١٨٤٨م .

٥٥ – القفطى : "جمال الدين أبو الحسن بن على القفطى"

تاريخ الحكماء . ليبزج ١٩٠٨م.

٥٦ – القلقشندى : " أبو العباس أحمد القلشندى " .

صبح الأعشى فى صناعة الإنشا .
القاهرة ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م.

٥٧ – كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية . ت . أمين فارس ، بيروت ١٩٤٩م.

٥٨ – المبرد : " الإمام أبو العباس المبرد " .

الكامل فى اللغة والأدب والنحو والصرف .

القاهرة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م .

٥٩ – محمد كامل شاكر : شم النسيم والأعياد بمصر . القاهرة ١٩٤٧م.

٦٠ – محيى الدين صبرى : جامع البدائع . القاهرة ١٩١٧م.

٦١ – المسعودى : " على بن الحسين " .

التنبيه والإشراف . ليدن ١٨٩٤م.

٦٢ – المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر . القاهرة ١٩٦٤م .

٦٣ – المقدسى : " شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن بكر" أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . ليدن ١٩٠٦م .

٦٤ – المقريزى : " تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر ابن محمد " .

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .
القاهرة ١٢٧٠هـ .

٦٥ – ناصر بن على الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية . نشر إقبال . لاهور ١٩٣٣م.

٦٦ – النظامى العروضى السمرقندى : المقالات الأربع . ت : عزام والخشاب . القاهرة ١٩٤٩م.

٦٧ – النويرى : " شهاب الدين بن عبد الوهاب : .

نهاية الأرب فى فنون الأدب، القاهرة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م .

٦٨ – هارولد لام : قصة حياة الخيام . ت : محمد توفيق مصطفى . القاهرة .

٦٩ – هربرت سبنسر : الفلك العام . ت : سماحة وآخرين . القاهرة ١٩٥٦م.

٧٠ – ياقوت الحموى : معجم البلدان . بيروت ١٩٥٥م .

ثانيا – داوين الشعر العربى :

١ – البحترى : " أبو عبادة الوليد بن عبيد البحترى "

الديوان . القاهرة " طبعة دار المعارف " ١٩٦٣م.

٢ – تميم بن المعز لدين الله الفاطمى : ديوان تميم . طبع دار الكتب المصرية . ١٣٣٣هـ/ ١٩٢٧م.

٣ – جرير : " جرير بن عطيه اليربوعى "

الديوان . طبعة الصاوى . القاهرة ١٣٦٣م.

٤ – مهيار الديلمى : الديــوان . طبــع دار الكتــب المصــرية ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م .

ثالثاً – المعاجم العربية :

١ – حاجى خليفة " مصطفى بن عبد الله " كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون . تركـيــا ١٣٦٢هـ / ١٩٤٢م .

٢ – خير الدين الزركلى : الأعلام . القاهرة ١٩٥٤م .

٣ – رضا كحالة : معجم المؤلفين . دمشق ١٩٥٧م .

٤ – زام باور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة . ت : زكى حــسن وآخــرين . القاهرة ١٩٥٢م .

٥ – السعيد سعد الخورى الشرتونى اللبنانى : أقرب الموارد فى تصحيح العربية والشوارد . بيروت.

٦ – مرتضى الحسين الزبيدى : تاج العروس . القاهرة ١٢٨٦هـ .

٧ – يوسف إليان سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة . القاهرة ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م

رابعاً - المراجع الفارسية :

أولاً - المخطوطات :

فرس نامه : مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٩ طب فارسى .

ثانياً - مراجع مطبوعة :

١ - ابن البلخى : فارس نامه . نشر نيكلن كمبريدج ١٩٢٩م .

٢ - البيهقى : أبو الحسن على بن زيد البيهقى .
تاريخ بيهق . طهران ١٣١٧هـ .

٣ - حسن برنيا : إيران باستان . طهران ١٣٢٣هـ .

٤ - حسن تقى زادة : كاه شمارى در إيران قديم . طهران ١٣١٦هـ . ش = ١٣٥٦هـ .

٥ - جلال الدين همائى : تاريخ أدبيات إيران . طهران ١٣٤٠هـ . ش = ١٣٨٠م.

٦ - ذبيح الله صفا : تاريخ علوم عقلى در تمدن إسلامى . طهران ١٣٣٦هـ . ش / ١٣٧٦هـ .

٧ - صادق هدايت : نيرنكستان . طهران ١٣٣٤هـ/ ١٩٥٦م.

٨ - على دشتى : دم باخيام . طهران ١٣٣٤هـ .

٩ - عمر بن إبراهيم الخيام : نوروز نامه . طهران ١٣٥٢هـ .

١٠ – الفردوسى : الحسن بن على الطوسى .

الشاهنامه . طهران – طبع بروخيم ١٣١٣هـ .

١٢ – القزوينى : حمداً لله مستوفى .

تاريخ كزيده . لندن : ١٩١٠ م .

١٣ – الكرديزى : " أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود " .

زين الأخبار " برلين ١٩٢٨م/ ١٣٤٧هـ .

١٤ – محمد تقى بهار سبك شناسى . طهران ١٣٣٧هـ .

١٥ – محمد معين : " ناشر ومحقق " .

جهار مقالة . طهران ١٣٣٢هـ .

خامساً – دواوين الشعر الفارسى :

١ – أوحد الدين الأنورى الخاورانى : الديوان . نشر سعيد نفيسى . طهران ١٣٣٧ هـ .

٢ – الرودكى : " أبو جعفر بن محمد " .

آثارة باقى مانده أبو جعفر الرودكى "

استالين آباد ١٩٥٨م.

٣ – معزى : " محمد بن عبد الملك النيشابورى " . الديوان . نشر عباس إقبال . طهران ١٣٥٨هـ .

٤ – منوجهرى الدامغانى : الديوان . نشر محمد دبير سياقى . طهران ١٣٦٢هـ .

المعاجم الفارسية :

١ – برهان : " محمد حسين بن خلف " برهان قاطع . طهران ١٣٤٢هـ .

٢ – حسن عميد : " فرهنك عميد " . طهران ١٣٤٣هـ .

٣ – على أكبر نفيسى : " فرهنك نفيسى " طهران ١٣١٧ – ١٣١٨ هـ .

سادساً – المراجع الأوربية :

Ball : A short history of Mathematica , London 1927

Cajori : A history of Mathematics . New york 1926

Daoud kasir : The Algebra of khayyam . P .I , New york 1931

Le Nouveau Journal Asratique . May 1934 .

Rosen : The quatrains of Omar Khayyam, Lond on 1930

Sarton : Introduction to the history of Sciene Washington Vol I. 1921

Smith : History of Mathematics, Colombia 1925.

سابعاً – الدوريات :

١ – دائرة المعارف البريطانية .

٢ – دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية .

٣ – مجلة مارجرجس ، العدد السابع . سبتمبر ١٩٦٩ . السنة الحادية والعشرون. القاهرة .

المؤلف فى سطور:

عمر بن إبراهيم الخيام :

- يعد عمر الخيام واحداً من أهم فلاسفة إيران، وشعرائهم، وعلمائهم فى القرن الخامس الهجرى .

- ولد الخيام فى مدينة نيسابور بسنة (٤٢٨ هـ / ١٠٣٨م)، وتوفى بها بسنة (٥٢٦ هـ) .

- طبقت شهرته الآفاق بعد ترجمة رباعياته من الفارسية إلى مختلف لغات العالم، فطغت شاعريته على شهرته كعالم فى الفلك والرياضيات .

- يقول عنه المؤرخ العلمى "جورج سارتون" : "إنه أعظم عباقرة الرياضة فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى" .

- تعمل إيران اليوم بالتقويم الفلكى الدقيق، الذى وضعه الخيام، وأطلقت اسمه عليه فيقال : "تقويم عمر" .

- أثبت الخيام فى كتابة "نوروز نامه" مقدرته الفائقة فى علوم الطب، والفلك، والتنجيم، بلغت مؤلفاته فى الطب، والفلك، والرياضيات، والفلسفة أكثر من تسعة كتب، ترجمت إلى مختلف لغات العالم .

المترجم فى سطور:

رمضان رمضان متولى :

من مواليد محافظة الغربية بسنة ١٩٤١م .

– بدأ حياته العلمية والعملية مترجماً للغة الفارسية بدار الكتب المصرية .

– بعد حصوله على درجتي الماجستير والدكتوراه، اشتغل بتدريس اللغة الفارسية وآدابها بجامعة وهران بالجزائر .

– عمل مترجماً للغة الفارسية بوزارة العدل بالمملكة العربية السعودية ما يربو على العشرين عاماً .

– اختتم حياته الوظيفية فى وظيفة (كبير مترجمين) بالتليفزيون العربى .

المراجع فى سطور :

الدكتور السباعى محمد السباعى

- من مواليد محافظة الغربية ١٩٤١م .
- بدأ حياته العلمية والعملية منذ عين معيداً بكلية الآداب – جامعة القاهرة – بقسم اللغات الشرقية .
- تدرج فى المناصب العلمية، فتولى رئاسة قسم اللغات الشرقية، ثم عمادة كلية الآداب – جامعة بنى سويف .
- له مؤلفات علمية عديدة فى اللغة، والأدب، والحضارة الفارسية .
- شارك فى العديد من المؤتمرات العلمية حول الدراسات الشرقية بالداخل والخارج .

نوروزنامه واحد من المؤلفات والرسائل الكثيرة التى نسبت إلى عمر الخيام باعتبارها نموذجًا للنثر الفارسىّ فى القرن الخامس الهجرى. والخيام فى هذا الكتاب عالم محيط بألوان شتى من العلوم والفنون والآداب.

والكتاب على الرغم من صغر حجمه أشبه بموسوعة وجيزة عن عيد النوروز، وكل ما يتصل به من عادات وتقاليد فارسية كان لها تأثيرها فى حياة الفرس والعرب وآدابهما على حدٍ سواء، وهى تسوق الدليل على غزارة علم الخيام، وبُعد غوره، واتساع باعه فى شتّى العلوم وأصولها وفروعها. وكان المستشرق فريدريك روزن أول من أشار إلى هذه الرسالة وقيمتها الأدبية والعلمية المهمة عام ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م.

تصميم الغلاف : مروة أحمد